صحيفة

صحيفه

تمت فهرسة الجزء الثاني من كتاب نفح الطيب

الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامة المقرى

رحمه

الله

م

وفارقت من غرب البلاد موآطنا * فيسقى رباغرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
ومابلغ المأمول قصدا ولامنى * ولاحط عن وجه المراد نقاب
وأخشى سهام الموت تعجأ غفلة * وماسار بي نحو الرسول ركاب
وقلبي معمور بحب محمد * خالى فى غير الحجاز طلاب
يحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فأسعد أيامى اذاقيل هذه * منازل من وادى الحمى وقباب
بجسمى فى مصر وروحى بطيبة * فللروح عن جسمى هناك مناب
على مثل هذا العجز والعمر منقض * تشق قلوب لاتشق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحى محمدا * وما كل مثن فى الزمان يثاب
به أخمدت من قبل نيران فارس * وحقق من طى البلاد خطاب
وكم قدسقى من كفه الجيش فارتووا * وكم قدشفى منه العيون رضاب
أجيب لما يختار فى حضرة العلا * وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولاشغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات مايحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد دل جار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب اصماته * فمادح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهى مدائحى * وان رجائى راحة وثواب
اذاقيل من تعنى بمدحك كله * فأنت اذا خيرت عنه جواب
فليتك تحيا لو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب
فأنت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله رثى العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك نقادبها وبصير
فجمالمقتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فسلمها للنائبات معرض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن أن العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهى طويلة ولم يحضرنى سوى ماذكرته *(ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم ابن عبد الرحمن الغسانى الوادى اشى أبو محمد وله أخبار كثيرة فى الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما تعمم محمد ومد ابن غانية بعمامة بيضاء ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء
فديتك بالنفس التى قدملكتها * بماأنت موليهامن الكرم الغض
تردّيت للحسن الحقيقى بهجة * فصار لها الكلى وذلك كالبعض

الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد ارلت فى دار اكتريت لى بسبعة دراهم فى الشهر وأجرى على سبعة دراهم فى اليوم وطالع بكتابى وقيل من المرقى الذى وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربى ثائر على استاذه وأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الى وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره فأعدت الى محل اكترى لى بسبعين درهما وأجرى على مثلها فى اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لى شئ له خطر من صلته وانصرفت الى أيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدرى وترجمته رحمه الله تعالى واسعة *(ومنهم عبد المنعم بن عمر الغسانى الوادى اشى المؤلف الرحالة المتجول بلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التى منها جامع أنماط السائل فى العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجى من الغمرات

توفى سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبى الخزرجى كان اماما فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه الله تعالى

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه انى * أرى البستان يحمله قضيب

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ *(ومنهم أبو العباس القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصارى المالكى الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكلمه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا فى الفقه والعربية عارفا بالحديث وممن أخذ عنه القرطبى صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم فى شرح مسلم وهو من أجل الكتب ويكفيه شرفا اعتماد الامام النووى رحمه الله تعالى فى كثير من المواضع وفيه أشياء حسنة مفيدة ومنها اختصاره للصحيحين كامر وله غير ذلك وتوفى رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف فى بلاده بابن المزين وله كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع أجاد فيه وأحسن وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعانى بالاحتمال قال الشيخ شرف الدين الدمياطى أخذت عنه وأجاز لى مصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ما ذكرناه وكان اماما عالما جامعا لمعرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها *(ومنهم العارف الكبير الولى الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعى الاندلسى أحد الاعلام المنقطعين المقربين أولى الهداية كان رضى الله تعالى عنه ونفعنا به كثير

قوله اه

ببرساس بلاد الروم أواخر شعبان سنة ٨٨٤ قاله السخاوي في الضوء اللامع *(و ٥٠م) الوزير الشهير أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه في باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبي بكر بن الحكيم ولا بأس أن نزيد هنا ما ليس هنالك فنقول ان من مشايخه بردة الشيخ الاستاذ النحوي أبا الحسن علي بن يوسف العبدوي السماح أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبي القاسم ابن الايسر وأخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ في رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر فمن شيوخه الحافظ أبو اليمن بن عساكر لقيه بالحرم الشريف واستمع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن همة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ابن الامام الجزائري جار العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفاء خليل بن أبي بكر المرادي الحنبلي لقيه بالقاهرة والشيخ رضي الدين أبو بكر القسنطيني والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي امام الديار المصرية في الحديث وحافظها ومؤرخها والشهاب بن الخيمي قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب * اليك آل التقضي وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشي ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحراني والشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان في طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ ببجاية عن خطيبها أبي عبد الله بن رحيمة الكناني وبتونس عن قاضيها أبي العباس بن الغماز البلنسي وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي ومن شعر ذي الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

هل الى ردّ عشيات الوصال * سبب أم ذاك من ضرب المحال
حالة يسري بها الوهم الى * انها تثبت رءيا باعتلال
وليال ما تبقى بعدها * غير أشواقي الى تلك الليال
اذ مجال الوصل فيها مسرحي * ونعيمي آمر فيها ووال
ولذالات التراضي دولة * مرحت بين قبول واقتبال

فتلطف عند المرور عليهم * وحقوقا لهم على أد
قل لهم قد غدوت من وجدهم في * حال شوق لكل رند وزند
وان استفسروا حديثي فاني * باعتناء الاله بلغت قصدي
قل الحمد اذ حباني بلطف * عنده قل كل شكر وحمد

وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر أبي اسحق ابراهيم بقصيدة أولها

ذكر اللوا شوقا الى أقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه في خده * لقرأت سر الوجد من أسطاره
ياعاذليه أقصروا فلربما * أفضى عتابكم الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه * لاتنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لاسرار الهوى * لو أن جند الصبر من أنصاره
ماذنبه والبين قطع قلبه * أسفا وأذكى النار في اعشاره
يجل اللوا بالساكنيه وطيفهم * وحديثه ونسيمه ومزاره
يابرق خذ دمعي وعرج باللوا * فاسعفه في باناته وعراره
واذا لقيت بها الذي بأنائه * ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقر السلام عليه قدر محبتي * فيه وترفيعي الى مقداره
والمم بسائر اخوتي وقرابتي * من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم الاأخ أو سيد * أبدا أرى دأبي على اكباره
فابثث لذا الحي أن أخاهم * في حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله تعالى في غرض كامه سلطانه القول فيه

الا واصل مواصلة العقار * ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك في غزال * يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص * تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام * فصار معرفا بين الدراري
رماني قاسم والسين صاد * بأشعار تنوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه * على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعي عليه * وتلك النار من فرط استعاري
عجبت له أقام بربع قلبي * على ماشب فيه من الاوار
ألفت الحب حتى صار طبعا * فما أحتاج فيه الى اذكار
فمالي عن مذاهبه ذهاب * وهذا فيه اشعاري شعاري

وقال العلامة ابن رشيد في ملء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معي رفيق الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا

تعالى أن يعاملنا على جادة الرصا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضى الى بلوغ الامنية والمأمول وهذه رسالة طويلة تقابعضها كالعنوان لسائرها وقال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم فى الدولة ماصار كالمثل السائر وخدمته العلماء الاكابر الاخيار كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم ردت الايام سه ماوهبت وانقضت أيامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من أمواله وكتبه وتحفه مالا يعلم قدره الا الله تعالى أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم *(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الامير القائد أبي على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسى ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من أبي بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزد وطائفة وبواسط من أبي الفتح بن الميدانى وبأصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المؤيد الطوسى وأبي روح وأصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطه مليح مغربي فى غاية الدقة وكان كثير الاسمار دينا متصوفا كبير القدر قال الصياء فى حقه روقنا وصديقنا توفى بالمطرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهل التسترى رضى الله تعالى عنه ومارأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال مفضل القرشى كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل العلم عالما وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للشرف المرسى رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد أبو بكر بن العربي الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير أبي بكر بن العربي قرأ السامع على قاسم بن محمد الرقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفى وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع وأخذوا عنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير *(ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبو زكريا القرطبى سمع من العتبى وعبد الله بن خالد ونظرائهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزنى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى بن أبي عقيل وغيرهم وسمع بمكة من على ابن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد بن عثمان الاعناقى وسعيد بن حميد وابن أبي تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزنى ورسالة الشافعى وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل فى فقهه الى مذهب الشافعى وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى وأضرابه وحدث عنه من أهل الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عبادة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفى سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه *(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين أبو بكر

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي كان من أكابر الصالحين
المتورعين وولد سنة ٦٠١ بشريش وتوفي برباط الملك الناصر بسفح قاسيون
سنة ٦٨٥ في ٢٤ رجب ودفن بمقبرة الرباط وله المصنفات المفيدة وتولى
مشيخة الفقهاء بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصري
فلما توفي قاضي القضاة جمال الدين المالكي ولي مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه
القضاء فلم يقبل وبقي في المشيخة إلى أن توفي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبأمثاله آمين

●(ومن الراحلين من الأندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني
المحدث المشهور ذكره ابن النجار وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف في بلاد خراسان
وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الأصول وسمع بخطه ما لا يدخل تحت حصر قال
ابن النجار وله أنس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قد قدمها سنة ٥٤٩ مع
جماعة من أهل البخارى لقيتهم وسمعت منه جزءاً أخرجه من حديث يزيد بن هرون مما
وقع له عالياً وذكر أنه قرأه على محمد بن أبي بكر بن أبي الدنيا وأجازه من أبي بكر الشافعي
من أحمد بن عمر ... المعروف بالعلاف بروايته عن أبي الحسين بن غيلان وكان
ولد بجيان سنة ٤٩٣ أو في التي بعدها بالشك منه ثم توفي ... في أوائل سنة
... ولم ... ثم قدم علينا بخارى في أوائل ... وحدث وسمعت منه
... كتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي بروايته عن أبي القاسم سهل بن إبراهيم
المسجدي عن الحاكم أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخي عن الحاكم أبي الفضل
محمد بن الحسين الحدادي عن حماد بن أحمد السلمي عن مصنفه وأخبرنا الجياني بسمرقند
أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد بن
سلمة أنبأنا يزيد بن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد
يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً قالوا ما هو ألم يثقل موازيننا أو يبيض وجوهنا
ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم شيئاً
أحب إليهم من النظر إليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال
ابن السمعاني أيضاً وأخبرنا الجياني المذكور بسمرقند أنبأنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد
ببغداد أنبأنا أبو طالب بن غيلان أنبأنا أبو بكر الشافعي أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن
أبي الدنيا القرشي أنبأنا محمد بن حسان أنبأنا إدريس بن محمد قال أردت سفراً فقال لي
الأعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فإن مجاهداً حدثني قال خرجت من واسط
فسألت ربي أن يرزقني صحابة ولم أشترط في دعائي فاستويت أنا وهم في السفينة فإذا هم
أصحاب طنابير وقال ابن السمعاني أيضاً أخبرنا أبو بكر الجياني الغربي بسمرقند سمعت
الإمام أبا طالب إبراهيم بن هبة الله يقول قرأت على أبي يعلى محمد بن أحمد العبدي
بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبي الحسن بن يحيى في كتاب العين بإسناده إلى
الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان فى بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتى ثم هرتى ثم شاتى * فاذا ماوضعن كن ربيعا
زوجتى للخبيص والهر للفا * ر وشاتى اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد فى العين أن المجيع أكل التمر باللبن انتهى *(ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسى المرى ذكره الحميدى فى تاريخه وأثنى عليه وقال كان من أهل العلم والادب والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فأكثر ورحل الى المشرق فاحتفل فى العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادى وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه فى غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفى ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدث عن أبى القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى ويعرف بابن الافليلى الاندلسى النحوى وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى ذكره ابن بسام فى الذخيرة والحجارى فى المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع فى طريقه كتاب صحيح البخارى وعنه أخذه أهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شئ سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب أمل بين أثناء المحاذر مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز ولا غرو ان يستمطر الغمام فى الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الارض رش وطل * ورياح ثم غيم أبل
فحصوا فالداء رزء أجل * واعدوا واسعوا عليكم بسل

وبسبب قتل بنى عباد لابى حفص الهوزنى المذكور تسبب ابنه أبو القاسم فى فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى أزال ملكه وبترسلكه وسبب هلكه كما ذكرناه فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده فى محاله وبيت بنى الهوزنى المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبى الفقيه المالكى أحد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يحرق توفى سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨

رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوى والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر بجنازته قاضى القضاة الزينبي والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام أحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه *(ومنهم أبو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلدون الاستجى سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبي دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابي وببغداد من أبي على الصفار وجماعة وبهامات *(ومنهم أبو عثمان سعيد الاعناقى ويقال العناقى القرطبي كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا بعلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشنى وغيرهم ورحل فلقى جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين فى آخرين حدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد ابن قاسم وابن أبي زيد فى عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفى سنة ٣٠٥ بمصر والاعناقى نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق *(ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبى الاقليشى روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم الحريطى وأبي ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبي بكر الآجرى وأبي حفص الجمحى وبمصر من أبي اسحق بن شعبان وروى عنه كتاب الزاهى بجمعه وقد قرئ عليه بجمعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز ابن على المعروف بابن الطحان الاشبيلي المقرى ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلبا وتوفى بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء فى الوقف والابتداء ومقدمة فى مخارج الحروف ومقدمة فى أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعينى خطيب اشبيلية وأبي بكر يحيى بن سعادة القرطبي وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشائقها
وعاد النفس مصطبرا * وتنكب عن خلائقها
هلاك المرء أن يضحى * مجدا فى علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبي العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبي عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي وروى مصنف النسائى عن أبي مروان بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلي الحافظ وعلى بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالعرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبي العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافرى قدم

أتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أبقى العداة حسامه ٥ ومنتجعا أفنى العفاة ابتسامه
لقاؤك يوما في الزمان سعادة * فكيف بثاوفي جنابك حامه
وعبدك شاك الذي بشه وهو شاكر * نداك الذي يبقى العمام غمامه
ولى فرس أصماه سهم فردته * أثاق تربع بالثلاث قيامه
تعمر فيه بالجراحة ساحة * وعطل منه سرجه ولجامه
أتينا لما عودتناس مكارم * يلوذ بها الراجي فيشفى غرامه
فرحمك الغوث لا يغب نصيره * ونعماك غيث لا يغب انسجامه

وله رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة *(ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبي" مؤلف المفتاح في القراآت ومقرى أهل قرطبة رحل وقرأ القراآت على أبي على" الاهوازى" وبحران على أبي القاسم الزيدى" وبمصر على أبي العباس بن نفيس وبمكة على أبي العباس الكازرونى" وسمع بدمشق من أبي الحسين بن السمسار وكان مجمسا في تحرير القراآت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه في وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات في ذي القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف ابن النحاس وجماعة رحمه الله تعالى *(ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر ابن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلى" الاندلسى" ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصعيد مصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملكشاه سنة ٥٢١ وأنشأ له في معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا فكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب" والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء" كانوا بمدينة دمشق كطالب الصورى" ونصر الهيتى وغيرهما كعرقلة" وفيه نزهات أدبية ومما كهات غريبة ممزوج جدها بسخفها وهزلها بطرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبي الحكم الملقب بافضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمطايبة وكان اذا أتاه الغلام وما به شئ يجس نبضه ثم يقول له تصلح لك الهريسة وكان اعور فقال فيه عرقلة"

لنا طبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ماعاد في صبحة يوم فتى * الا وفى باقيه رثاه

وله يرثيه

ياعين سحى بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم
قد كان لارحم الرحمن شيبته * ولا سقى قبره من صيب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل" دم الحجاج في الحرم

ليست زيادته ماء كارعوا * وانما هي أرزاق وأرباح

والقيذاقي بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وقاف وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهي

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * ء من جدوالتجاد ابي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرالسيراء ويحب التحاة من أجل الفراء ويمن على الخروف الديه بجلد أبيه فأنى الصاغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا طهر اهابه يحافه البرد ويهابه أثيث خمائل الصوف جر أكل هو جاء عصوف مافي اللباس له ضريب اذا رك الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يبعثه فريجى الروع أريجى الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيى حرزا ويميت بردا لا كبلبلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو المزق بالضرب ان عراه السواد الى سام شام أوغشاه البياض الى سام فسام كأنه من جلد جمل الحرباء الذي رعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والهيم لازال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول *(ومنهم مالك بن مالك من أهل جيان رحل حاجا فأدى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدي مما دفعت له * فلست منه على ورد ولا صدر
الامر ما أنت رائيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

*(ومنهم أبو علي بن خيس وهو منصور بن خيس بن محمد بن ابراهيم اللخمي من أهل المرية سمع من أبي عبد الله اليوني وابن صالح وأخذ عنهما القرا آت وروى أيضا عن الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي وأبوي القاسم بن رضا وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عمرو الحضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا ونزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفي وغيره *(ومنهم منصور بن لب بن عيسى الانصاري من أهل المرية يكنى أبا علي أخذ القرا آت ببلده عن ابن خيس المذكور قبله ورحل بعده ونزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفي في صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى *(ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد ابن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد

الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن يروى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسى ومن روى عن صمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الخشاب البغدادى من شيوخ الدارقطنى قال ابن الابار هكذا وقع فى نسخة عتيقة من تأليف الدارقطنى فى الرواة عن مالك فى باب صملة منه شمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت فى رواية أبى زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطنى وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفى حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضى من تاريخه والاول عندى أصح والله تعالى أعلم انتهى *(ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبى فريعة واسمه زيد مولى عبد الرحمن بن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل البيلة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازى *(ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر المعافرى من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبى عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدى الفريضة وكان من أهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية أبو محمد الباجى وقال كان لى خير صديق أنتفع به وينتفع بى وأقابل معه كتبه وكتبى ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له رقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفى فى آخر خلافة عبد الرحمن الناصر *(ومنهم أبو محمد عبد الله ابن حمود الزبيدى الاشبيلى ابن عم أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى اللغوى كان من مشاهير أصحاب ابى على البغدادى ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافى ببغداد الى أن توفى ولازم بعده صاحبه أبا على الفارسى ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجانى أن أبا على البغدادى غلس لصلاة الصبح فى المسجد فقام اليه ابو محمد الزبيدى من مدود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه أوادلج اليه ليكون أول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال أنا عبد الله الاندلسى فقال له الى كم تتبعنى والله انه ليس على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة وأهل المعرفة الثاقبة والشعر وجمع شرحا لكتاب سيبويه ويقال انه توفى ببغداد سنة ٣٧٢ *(ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبى رحل من الاندلس فأوطن القيروان واختص بأبى عمران الفاسى وتفقه به وكان أديبا شاعرا عفيفا خيرا وفى شيخه أبى عمران أكثر شعره ورحل حاجا فأدى الفريضة وتوفى فى انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وأنشد له ابن رشيق فى الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير أعمالك الرضا * بالمقادير والقضا
يبغى المسر ناضر * قبل قدمت وانقضى

وقوله

سأقطع حبلى من حبالك جاهدا * وأهجر هجرا لايجر لنا عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده * ويلقى بشر من يسرّ له المغضا

قال فى الانموذج وأراد الحج فناله وجع خاف عصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ

عمر عن الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما تقدم من أنه أدى الفريضة وقد ذكر
ابن الابار انه مات بتنيس والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو بكر اليابري ويكنى أيضا أبا محمد وهو عبد
الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله أصله من يابرة ونزل اشبيلية وروى عن أبي الوليد الباجي
وعن جماعة بغرب الاندلس منهم أبو بكر بن أيوب وأبو الحزم بن عليم وأبو عبد الله بن [illegible]
البطليوسيين وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحظ من التفسير والكلام
عليه وعلق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فسرد منه ملاء على
العامة وكان متمسكا بدينه ورد على أبي محمد بن حزم وكان أحد الائمة بجامع العديس
ورحل الى المشرق وروى عن أبي بكر محمد بن زيدون بن علي كتابه الثواب في الحديث
المعروف بالزيدوني وألف كتابا في شرح صدر رسالة ابن أبي زيد وبين ما فيها من العقائد وله
غير ذلك في الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام
على مذهب مالك الامام ألفه للامير علي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وذكر
في فصل الخير منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٥ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة
وتوفي بها رحمه الله تعالى روى عنه أبو الطاهر السلفي وأبو محمد العثماني وأبو الحجاج
يوسف بن محمد القيرواني وأبو عمرو عثمان بن فرج العبدري وأبو محمد بن صدقة المكي
وأبو عبد الله بن عبد الرحمن الليثي وغيرهم وكان سماع أبي الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٦
رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن فروة الجعدي الاندلسي
رحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية أبو الطاهر السلفي كتاب طبقات الامم لابي القاسم
صاعد بن أحمد الطليطلي وحدثه به عن ابن رال عن صاعد *(ومنهم أبو محمد عبد
الله بن محمد الصدفي المرسي يعرف بابن مطحنة روى عن أبي بكر بن المرجي الصوفي
وتأدب به ورحل الى المشرق ولقي أبا محمد العثماني وغيره وحج وتصدر لتعليم الآداب وممن
أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما وأنشد رحمه الله
تعالى قال أنشدني أبو محمد عبد الله بن الشامي بالاسكندرية لنفسه

عند الدهر من أهلي وعيري * كما أني أمد من المداد
لباختلاف مختلفان جدا * كاختلاف الموالي والمعادي
فأكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولي خط وللايام خط * وبينهما مخالفة السداد
فأكتبه سوادا في بياض * ويكتبه بياضا في سواد

وقد ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ فالله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد
عبد الله بن عيسى الشاني سمع من الصدفي وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله
والعلم بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والفقه مع الخير والدين والزهد
والصدع بالامر ان قضى بلده بعد ان قلد غير رسمه أعوام لاقامة الحق واظهار العدل
حتى أدى ذلك الى اعتقاله ... ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية

قوله بن احمد في نسخة ابن محمد اه

ولقي بها المازري وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوربولي في هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها أعواما وطاف ذكره في هذه البلاد وعظم شأنه في العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفي بهراة سنة ٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد في الخريدة والسمعاني في الذيل وأنشد له

تلونت الايام لي بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت أدبرت عنها وان نأت * فأهون بمفقود لاكرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى الازدي المرسي ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضي الشهيد أبي علي الصدفي ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشي والاغماطي والسلفي وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا مخبتا حبرا متواضعا سيما رهبا سالم الباطن وحكى عن شيخه أبي عبد الله الرازي عن أبيه انه أخبره أن قاضي الرأس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ وأسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فسمع قائلا يقول

لولا أناس لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لاتبالونا

قال فتجوزت في صلاتي وأدرت طرفي فما رأيت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت أن ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله تعالى أنشدني أبو عامر قال دخلت بعض مراسي الثغر فوجدت في حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولي أمل عودة * ولكنني لست أدري متى
ودافعني قدر لم أطق * دفاعا لمكروهه اذ أتى
ومن أمره في يدي غيره * سيغلب ان لان أو ان عتا
فيا نازلا بعدنا ههنا * تخيلك ان كنت نعم الفتى

فسألت عن منشدها فقيل لي هو أبو بكر بن أبي درهم الوشقي وكان قد حج وأراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو أصوب وأبدل قوله يا نازلا بياسا كنا والخطب سهل فيه وبعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الداني الاصبحي لازم ابن سعد الخير واحتذى أول أمره مثال خطه فقاربه وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من أبي الطاهر بن عوف والسلفي وغير واحد قال التجيبي كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها وبقراءته سمعنا صحيح البخاري على السلفي سنة ٥٦٣ قال وأنشدنا الشيخ الاستاذ أبي الحسن علي بن ابراهيم بن سعد الخير البلنسي

يا لاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا

قرا
سـ

وقد رآه أعداء وكان يصرلى * من قبل سوء انشائه صمائره
ورام صبرا فأعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره
بعودة الدولة العزاء ثالثة * أمنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر في الوغى نيران حرب * بايديهم مهندة ذكور
ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول قد أقلتها بدور

وقال ملغزا في قالب ابن

ما آكل في نحين * يغوط من مخرجين
مغرى بقبض وبسط * وماله من يدين
ويقطع الارض سعيا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدي ولما كنت في حلب كتب الى أبياتا انتهى *(ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسي) قال أبو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبي جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبي سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه في الصلاة على ما صح في الحديث فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضجر من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها لجدير أن يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمع بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر أن يبيض رأسي لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي
وكان شعارا في الهوى قد لبسته * فسر رأسي أني وقلبي عباسي

قلت لو قال شيعي لكان الغاية وأنشد له بعضهم

ولا تبحثا عن عوى خلف ذي علا * لكل على في الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ورحم الله بعض الاندلسيين حيث قال في رجز كبير

ومن يكن يقدح في معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد أبو حيان للمذكور

أرى الدهر سادبه الارذلو * ن كالسيل يطفو عليه الغثا
ومات الكرام وفات المديح * فلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالى في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقاما لديك الدعى فرضا وألزما

وهي طويلة * (ومن الراحلين من الاندلس) الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لا يملك سواها فعرف بابي ركوة وأظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته عما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية وأخرج لهم أرجوزة أسندها الى مسلمة ومنها في وصفه وابن هشام قائم في برقة به ينال عبد شمس حقه يكون في بربرها قيامه وقرة العرب لها أكرامه واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم ومالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه في رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر باديس الصنهاجي صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر وأحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه في الوصول الى أوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بحاربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى أن هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فأمر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ولما حصل في يد الحاكم كتب اليه

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعي الموت الذي أنا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي * كما اجتر ميتا في رحى الحرب سالبه
وأجمع كل الناس أنك قاتلي * فيارب ظن ربه فيه كاذب
وماهو الا الانتقام وينتهي * وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولابي ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها في ديار العدا * قلا وعر الارض والسهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

له غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلي يحيى بن سليمان الأثر) قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات في الادب ومن نظمه قوله

يا غيث ذي الأمل المعيد مرامه * يا غوث موتور الزمان الأنكد
يا من أعاظم ما به خص الأسى * قلب الرسول وعم كل موحد
يا حمزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المجتد
وافاك يا أسد الإله وسيفه * وفد ألموا من جار محمد
جئناك يا عم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
واسأل إلهك في اغتفار ذنوبنا * شيم المزور قيامه بالعوّد
إنا بجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف بجناب ساحتك التي * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أبا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك في هدانا واقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدي بها نهج الطريق الأرشد
فقد اعتمدناك خير وسيلة * نرجو بها حسن التجاوز في غد
لم لا نؤم وأنت عم محمد * ولدينه قد صحت صولة أيد
وصحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان وباليد
وبذلت نفسك في رضاه بصولة * فقتلت في ذات الإله الأوحد
فجزاك الله خير جزائه * وسقى ثراك حيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفي بالمدينة الشريفة طابة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧٥٠ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى *(ومنهم) الشيخ نور الدين أبو الحسن المايرقي من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الأدباء وله مشاركة جيدة في العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل واد به موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذي هيف راق العيون انثناؤه * كقد كريان من البان مورق
كتبت إليه هل تجود بزورة * فوقّع لا خوف الرقيب المحدق
فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لا ثم لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذي القرنين بن حمدان

إني لأحسد لا في أحرف الصحف * إذا رأيت اعتناق اللام والألف
وما أظنهما طال اعتناقهما * إلا لما لقيا من لوعة الأسف

وأحسن من هذا قول القيسراني

والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف فى فنه مثله والرسالة لابن أبى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازى والغاية للنووى وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التهريق ماشعرا
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتى يا ورعينى لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالى اذا حدثت لا المعاولا * جملا لايضاحى بها من تكمله
عندى جوى يذر الصحيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فسير * تحى اصلاحه والعين محب مثقله

وقد أوردنا فى ترجمة أبى عبد الله بن جزى الكاتب الاندلسى جملة مستكثرة فى التورية بأسماء الكتب فلتراجع ثمة *(رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تخميسه للابيات المشهورة

لم يبق فى اصطبار
مذ خالفونى وساروا
وللحبيب أشاروا
جار الكرام جاروا
لله ذاك الاوار
يا نواها الدار دار
يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجرى
كانوا من الود أهلى
ماعاملونى بعدل
أصموا فؤادى بنبل
يابين بنت ثكلى
يا روح قلبى قل لى
أهم دعوك لقتلى
وحرموا لك وصلى * وحللوا لك هجرى
حسبى وماذا عناد
هم الحق والمراد
وان عن الحق حادوا

وأقاء على الرحال وقلما * مالنا حاجة بحط الرحال

وقال

مهذب قاني رشا ناعم * أسهر طرفي طرفه الناعس
يحرس باللحظ جني خده * ياليته لو غفل الحارس

وقال

وافيت ربعهم وقد بعد المدى ٥ ورأى الفريق من الديار وسائط
ما كدت أعرف بعد طول تأمل * دارا بها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس * همومهم موافاة الرجال
أطالوا في الندى اهلاك مال * فعاشوا في الانام ذوي كمال

وقال

أيها المتهمون نفسي فداكم * أنجدوني على الوصول لنجد
وقفوا بي على منازل اهلي * فوجودي هنالك يذهب وجدي

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة في صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بيانها فأغرقت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات وسمعت الآذان صحة الاذهان بهذه الابيات

هذي فصول الربيع في الزمن * كم حسن أسندت الى حسن
رقت وراقت من شمائلها * مثل صرف الشمول تحفظني
كم ملح قد حوت وكم ملح * يعجبني لفظها ويحزنني
كم فيه من نفث ومن نكت * أشهدني حسنها فأدهشني
يجمع عند ماله النظير فلا * يصرف عن خاطر ولا أذن
يا حبر أهل العلا وبحرهم * أي بديع الكلام لم ترني
بدرك في مطلع المعالي لا * يكون مثل له ولم يكن
هذي الفصول التي أتيت بها * قد أفحمت كل ناطق لسن
كم فن معنى بها يذكرني * شجوي لشدو الحمام في فنن
في نسيب مع النسيم جرى * لطفا فأزرى بالجوهر الثمن
وحسن سجع كالزهر في أفق ٥ والزهر في ناعم من الغصن
له معان أعيت مداركها * كل معان بنيلهن عني
لا زال راق للمجد راقيها * ذا سنن حاز أحسن السنن

فصول هي للحسن أصول وشمول لها على كل القلوب شمول ليس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها اوصول ولا انتهى قس الايادي الى هذه

قطف الرجال القول حين نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

وخطاب أعجز الفطناء وصفه وجواب ألغى البلغاء رصفه وغرائب تعرفت بعد ديها وشوارد تألفت بهديها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها عين ناظر ولا يدجان معان تطرب السمع لها حكم وأحكام وألفاظ هي الارواح لا ارواح أجسام فلما ألق فهمه عروة التماسك وضاقت عليه في وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطا يسبي الطرف ويستغرق الطرف نسج قلمه الكريم من وشي البلاغة ديباجا واتخذ من محاسن الحسان طريقا ومنهاجا فألفى ألفات كاعتدال القدود ونونات كأهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر يجعل للاقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الاسماع بحلية زائدة على الشنوف فعطف ساعة يطنب في دعائه وشكره وآونة يجيل من طربه بألفاظه وسكره فلله در ألفاظك ودر رفظك وأحسن بوابلك الهاطل بالبيان وطلك

لسانك غواص ولفظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ويوضح منهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شيء قدير * وكتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في تقريظ الكتاب المذكور ما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوقت سهمي تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى ما يدني أخا الحجا أسهل الطرائق فاعتل صداي كنسيم الصبا ولا كذلك من سما صابئا صبابة من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجيء من ملح الكلام * بطارف أو تالده
بكاسم نوابغ نحو آ * فاق المطالع صاعده
لو رامها قس لما * ألفى أباه ساعده
أبدى نتائج عيه * في ذى المعاني الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلي عندها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكي انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذي أشبه الدر في انتظامه والثغر في ابتسامه وقطر الندى في انسجامه وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحرسه أبدع في تأليفه وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو في اللطافة كالماء في اروائه وكالهواء المعتدل في ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا اتسق جوهره وأجيد في اتقانه قد أينعت ثمرات فضائله فأصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدورها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول

ان بين الحبيب عندي موت * وبه قد حييت مدة زمان
ليت شعري متى تشاهده العين وتقضي من اللقاء الاماني

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

ومورد الوجنات دب عذاره * فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفي الورد منه بآس
ناديته قبلني أودع ورده * ما في وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا في مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز خصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا الجيد الاحسان محليا ومنهم من عاد قبل الغاية موليا *(رجع) ومن تآليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال في خطبته ولما كانت القصيدة المطومة في علم البديع المسماة بالحلة السيرا في مدح خير الورى التي أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الاندلسي نادرة في دهرها فريدة في حسنها تجني ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولاسمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها لمعانيها ويبدي غرائب ما فيها لموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل خير الامور أوسطها والعرض ما يقرب المقاصد ويضبطها فأعرب من ألفاظها كل خفي وأسكت من لغاتها عن كل جلي والله أسأل أن يبلغنا ما قصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفاء الغلة ومما أورده رحمه الله تعالى في ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ما أطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالترب منها عنبر طيب
يا طيب عيشي عند ذكري لها * والعيش في ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى في هذا الشرح بعد كلام ما نصه واذا أردت أن تنظر الى تفاوت درجات الكلام في هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلي كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال

يادار غيرك البلى ومحاك

فأحزن في موضع السرور وأجرى كلامه على عكس الامور وانظر الى قول القطامي

انا محيوك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

فانظر كيف جاء الى طلل بال ورسم حال فأحسن حين حياه ودعاله بالسلامة كالمبتهج برؤية محياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس المسامع بأوفى التحية وأزكى السلامة والذي فتح هذا الباب وأطنب فيه غاية الاطناب صاحب الآراء ومقدم الشعراء حيث قال

قالت له قطعت قلبي أسى * فقال لي التقطيع دأب الخليل انتهى

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة في ذلك

ان صد عني فاني لا أعاتبه * خبا التنادر في الغزلان تنقيص
شوقي مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وأنشدنا في ذلك أيضا

عالم بالعروض يصحب قلبي * في مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الردف يبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

سبب خفيف خصرها ووراءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

وله

صدوده لي مديد * وأمر حبي طويل
وفيه أسباب حسن * وتلك عندي الاصول
خصره لي خفيف * وردفه لي ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادي اسقني كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتي للساقي
حيّ العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
يا حسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

واورد له أيضا

يا حسن ليلتنا التي قد زارني * فيها فأنجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * في عقرب الصدغ الذي في خده

*(رجع) الى أبي جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر فذلكة الحساب وقال هي التي يضعها أهل الحساب آخر جملهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبي * بالحاظ وأحداق
له الثلثان من قلبي * وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى * وباقي الثلث للساقي
وتبقى أسهم ست * تقسم بين عشاق

قال ما نصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقي الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثي ثلثها وهو اثنان وبقي من الثلث واحد أعطاه للساقي فبقي من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقي سهم واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك في قوله * ومن يتق الله يجعل له

وأورد له أيضا

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الطرق أشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين
دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * تخلف من لا يكون له حياء
فقد قال الرسول بأن مما * به نطق الكرام الانبياء
اذا ما أنت لم تستحي فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد * خيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لا شك في سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدي

ان البراعة لفظ أنت معناه * وكل شيء بديع أنت مغناه
انشاد نظمك أشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهي طويلة فأجابه الصفدي بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا باللآلي في هداياه
خصصتني بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه
من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان في زواياه

وهي طويلة * (رجع) الى نظم أبي جعفر فمن ذلك قوله

تريك قدا علي ردف تجاذبه * كخوطة في كثيب الرمل قد نبتت
ريا القرنفل في ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوي قد التفتت

عقد بهما ألفاظ قول امرئ القيس

اذا التفتت نحوي تضوع ريحها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وأورد له قوله

ولولا ضياء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق في الركب محرم
فسوق ذرى المتنين برد مهلل * وتحت رداء الخز وجه معلم

وقوله مما التزم في أوّله الدال

دفاع المكروه أمان لخائف * سحاب لمستجد هلال لمستعدي
دروب على الحسنى عفوّ لمن جنى * مثيب لمن أثنى مجيب لذي قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذ أهدى دع البدر اذ يهدي

وقوله

غزال ما توسد طلّ بان * بهاجرة ولا عرف الظلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع المصر فوق منصوب ردف * وبجزم القلوب فرعيه جرّا
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * تاه درّا أرخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هدى منازل ذي العلا * قس بن ساعدة الايادي
كم عاش في الدنيا وكم * أسدى الينا من اياد
قد زانها بجلى البلا * غة مفصحا في كل ناد
قد قرّ في بطن الثرى * متفرّدا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح اليه النفس ويلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجري غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام كرام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
فيفعل في فقر المقلين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

* (رجع) الى أبي جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الا بماء تسقيها او الى جنبها ولا يقال في موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التي * جاءت بحسن ما ألف
عانقته فكأنني * لام معانقة الالف

قوله الا بماء تسقيها الخ كذا في نسخة المؤلف رحمه الله تعالى اه من هامش

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لا تعتبنّ على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا قلم
فالسين من طرّتي واللام مع ألف * من عارضيّ وهذا الميم ميم فمي

وقال رحمه الله تعالى

لا يقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم
فالله قد قال قولا * وهو الجواد الكريم
نبئ عبادي أني * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا طال المرء فاصبر له * فما القرب يقطع منه الوتين

عيب القافية انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رميته

خير الليالى ليالى الخير فى اضم *، والقوم قد بلغوا أقصى مرادهم

ما نصه يقول ان خير الليالى التى تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالى الخير فى اضم حيث النزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا أقصى مرادهم فى ذلك الحرم *(ومن الراحلين الولى الصالح أبو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسى وهو ابن أخت ابن صاحب الصلاة البجانسى نسبة الى بجانس قرية من قرى وادى آش وكان رحمه الله تعالى أواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن يحيى الازدى القشتالى فى تأليفه الذى سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه راضوا نفوسهم لتنقاد للمولى سرا وعلنا وزهدوا فى الدنيا لم يقولوا معنا ولا لنا واشتدوا لقول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التأليف المذكور سألت الشيخ أبا مروان يوما فى مسيرى معه من وادى آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت يا سيدى لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للمشرق ولا سافرت مع عالم تقتدى ببركته فى هذا الطريق فقال لى أقام الله تعالى من باطنى شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لى أمر نظرت فى خاطرى فيخطر لى خاطران فى ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت أجتنب المذموم وأرتكب المحمود فاذا وصلت الى أقرب بلد سألت عمن فيه من المشايخ والعلماء فأسأله عن ذلك فكان يذكر لى المحمود محمودا والمذموم مذموما فأحمد الله تعالى أن وفقنى ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم أعتمد على ما يقع بخاطرى من الامور الشرعية الى الآن حتى أسأل عنه من حضر من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التأليف المذكور قوله فى حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم جروا طريق الحق فأماهم ونوّر بصائرهم وأصمهم عن الباطل وأعماهم وأهانوا فى رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس وأسماهم انتهى وما أحسن قوله فى التأليف المذكور يا هذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن أخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى *(ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقى نزيل القاهرة وهو الذى عناه ابن سعيد فى كتابه المغرب بقوله وقد جمع أبو محمد المالقى الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا فى هذا الشان حشر فيه ما سمع به فقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقى وكتاب الزهراوى وكتاب الشريف الادريسى الصقلى وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية فى مقصده انتهى وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته فى غير هذا الموضع فليراجع وكان ابن البيطار أوحد زمانه فى معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه فى الادوية والحشائش وجعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان خطيبا

عد الى أن توفي بشعبان سنة ٦٤٦ التي توفي فيها ابن الحاجب وله من المصنفات
كتاب الجامع في الأدوية المفردة وكتاب المغني في الأدوية وكتاب الإبانة والإعلام
على ما في المنهاج من الخلل والأوهام وكتاب الأفعال العجيبة والخواص الغريبة وشرح
كتاب ديسقوريدوس قال الذهبي انتهت إليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه
ومنافعه وتوفي بدمشق انتهى *(ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن علي
القرشي البسطي الشهير بالقلصادي) وهو كما قال السخاوي الصالح الرحلة المؤلف
الفرضي آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس وأكثر تصانيفه في الحساب
والفرائض كشرحه العجيب على تلخيص ابن البنا والحوفي وكذا قرأ على الإمام
السري صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجاز جميع مروياته
وأصله من بسطة ثم انتقل إلى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح
والسرقسطي وغيرهما ثم ارتحل إلى المشرق ومر بتلمسان فأخذ بها عن الإمام عالم الدنيا
ابن مرزوق والقاضي أبي الفضل قاسم العقباني وأبي العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل
إلى تونس فلازم ابن عقاب والقلشاني وحلولو وغيرهم ثم حج ولقي أعلاما
وعاد فاستوطن غرناطة الى أن حل بوطنه ما حل فتحول في خلاصة من الشرك وارتحل
ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم قصد به الرحلة الى أن
وافته منيته بباجة إفريقية منتصف ذي الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على
الدرس والكتابة والتأليف ومن تآليفه أشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح
مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وهداية الأنام في شرح مختصر قواعد
الإسلام وهو شرح عمدة وشرح رجز القرطبي وتنبيه الإنسان الى علم الميزان
والمدخل الضروري وشرح إيساغوجي في المنطق وله شرح الأنوار السنية لابن جزي
وشرح رجز الشراز في الفرائض الذي أوله

بحمد جبار الورى أبتدي * وبالسراج النبوي أهتدي

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز أبي عمرو بن منظور في أسماء النبي صلى الله
عليه وسلم وشرح البردة ورجز ابن بري ورجز شيخه أبي إسحق بن فتوح في النجوم
الذي أوله

سبحان رافع السما سقفا * فأشهدا دلاله لا تخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة في السياسة العامة والخاصة وهداية النظار في تحفة
الأحكام والأسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الأسرار عن علم الغبار
والتبصر وقانون الحساب في قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير
وصغير وشرح ابن الياسمين في الجبر والمقابلة ومختصر وكتاب الفرائض وشرحها
وشرحان للتلمسانية كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط
وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية في الفرائض وغنية
الصبا وشرحها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث

قوله ابن مقرعة في نسخة ابي مقرعة اه

قوله وابن الشاط في نسخة وابن الشباط اه

وشرح

وشرح مختصر العقباني ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد في النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجي وملحة الحريري والخزرجية ومختصر في العروض وغير ذلك وأخذ عنه عصره عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويري وأبي القاسم النويري والعلامة الجلال المحلي والتقي الشمني وأبي الفتح المراغي وغيرهم حسبما ذكر ذلك في رحلته الشهيرة وهي حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجملة من أحوالهم رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو عبد الله الراعي وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسي الغرناطي ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشأ بها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسي وسمع على أبي بكر عبد الله بن محمد العامري ابن الدب ويعرف بابن أبي عامر والخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن الحمار ومحمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية بأخذه لها عن الخطيب أبي جعفر أحمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الناشين في حصر حال الوارثين للقاضي أبي بكر بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الانصاري بأخذه لها عن مؤلفها وأجاز له أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي والقاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندري والزين أبو بكر المراغي والزين محمد الطبري وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسي في آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما في العربية بل هي كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوي كتبت عنه منه الكثير ومما لم أسمعه منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنفه في نصرة مذهبه وأثبته دفعا للشيء نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعد
فمالكهم والشافعي وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل * لذي الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواء في وجيبة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد
وحبهم دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العجيسي أضر بآخرة ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستطرفها من حضر لصغر سني ثم طلبنا النص فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسبما انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولي الذكا والعلم والطعميه

ما كلمات أربع نحويه * جمعن في حرفين للاحجيه

يعني فعل الامر للواحد من وأى يئي اذا أمر فانك تقول فيه ايا ريد على حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل اونقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل ومذهب فعل الامر وفاعله فهي كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن في حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا في ذلك أيضا

في أي الفاظ يا نحاة الملا * حركة قامت مقام الجمله

وبالجملة فمحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن فوائده قوله حكى لي بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعي فقال الشيخ في مسئلة مذهبنا كذا في مسئلة لم يقل فيها الشافعي بما قال وانما نسبها البلقيني لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية ويقولون له أنت شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي فقال فان قلتم يا مالكية لستم مالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم قاسمية وقد اجتمعنا الكل في مالك قال وهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفا مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان بحضرة جماعة من المالكية فقال القاضي جمال الدين ابنه مالكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضي عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لا تقول للشافعية مالكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض ومن فوائد الراعي في باب العلم من شرحه على الالفية في الكتاب عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير لا يزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين ويرضى من الدنيا بأدنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعي أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذا حضر شيء من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشيء وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصري رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير في بعض ما يحتاج اليه الفقير في غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد ممتعة *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الازرق قال السخاوي انه لازم الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح

(ترجمة الراعي ايضا)

مطارت عقابا كاسرا أوماترى * مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور انتهى
وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار فى جامعه وأثنى عليه غير واحد ومن أعظم تآليفه
شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل فى شرح مختصر خليل وقد توارد
معه الشيخ ابن غازى على هذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدى
سعيد بن أحمد المقرى رضى الله تعالى عنه قال لى حين سألته عن هذا التوارد أعلى تسمية ابن
الازرق شفاء الغليل بالمعين قلت وبعد ذلك أن جماعة من تلامذته الاكابر كالوادى آشى
وغيره كتبوه بخطوطهم بالمعين فبان انه من توارد الخواطر وأن كلا منهما لم يقف على تسمية
الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات
ولا أدرى هل أكمله أم لا لان تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول
ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها فى أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر
فى شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل
الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباى لاسترجاع الاندلس فكان كمن
يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد الكلام فى غرضه
فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة فى بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة ولم تطل
مدته هنالك حتى توفى به بعد سنة خمس وتسعين وثمانمائة حسبما ذكره صاحب الانس
الجليل فى تاريخ القدس والخليل فليراجع فانه طال عهدى به ومن بارع نظمه رحمه
الله تعالى قوله فى المحبيات

وربة محبوبة تبدت * كأنها الشمس فى حلاها
فاعجب لحال الانام من قد * أحبها منهم قلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذرى فى هذا الدخان الذى * جاور دارى واضح فى البيان
قد قلت لما أن أتى هارفا * ولا بلى الرحرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيع نضارة * وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قساً فصاحة * لتعلم أن النبت فى الروض باقل

وقوله

وقائلة صف للربيع محاسنا * فقلت وعندى للكلام بدار
همى بطاح الارض صوب من الحيا * فللنبت فى وجه الزمان عذار

وقوله

تعجبت من يانع الورد فى * سقى وجنة نبتها بارض
ولم لا يرى وردها يانعا * وقد سال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته

تقول لى ودموع العين واكفة * ما أقطع البين والترحال يا ولدى

كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس امنيته *(فمن الداخلين الى الاندلس المنذر الذى يقال انه صحابى" رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار فى التكملة المنذر الافريقى" له صحبة وسكن افريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطى" ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الحبلى انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنذر المذكور وقال انه المنذر اليمانى" وذكر البخارى" انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنذر لكونه من أحداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الرازى وذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة وسماه بالمنذر الافريقى" وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر" روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو على" بن السكن فى كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له وذكره البخارى" فى تاريخه الكبير اذ قال ابو المنذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا الزعيم لآخذن بيده فادخله الجنة كذا ذكره البخارى" بالكنية وهذا الحديث هو الذى رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب مسند الصحابة له وقال المنذر اليمانى" اما من مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنذر هذا *(ومن التابعين الداخلين الاندلس أميرها موسى بن نصير وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية *(ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعانى" وفى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو على" ويقال أبو رشدين قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر وافريقية والاندلس فقال انه كان مع على" بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان ممن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فأتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه وكان أول من ولى عشور افريقية فى الاسلام وتوفى بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف واناء فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا فى آية نظر فى المصحف واذا جاءه سائل يستطعم لم يزل يصيح بأهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى" وهو الذى أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك فى غير وقت الاذان فقال له أصحابه فى ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر فى تاريخه وطول ترجمته وقال ان

صنعا المعروفة الدوابرة من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يروعن حنش
البتة وانما روى عنه المصريون وحديث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له
ان استطعت أن تلقى الله تعالى وبطنك خال من الدنيا فافعل وكان عبد الملك بن مروان حين
غزا افريقية مع معاوية بن حديج نزل عليه فأمر بحبس حنش فحفظ له ذلك وعفا عنه
حين اتى به في وقت من خرج مع ابن الزبير وسئل ابو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر
ابن عساكر ان حنشا قتل وانما قال انه توفي بل اقتصر على انه حبس ولعله الصواب
لما قاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفي تاريخ ابن الفرضي أبي الوليد أن حنشا كان
بسرقسطة وانه الذي أسس جامعها وبها مات وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربي
المدينة وفي تاريخ ابن بشكوال انه أحد من أسس له جامع البيرة وعدل قبلته وقيل له جامع
قرطبة الذي هو كبير الاندلس *(ومن التابعين الداخلين للاندلس ابو عبد الله علي
ابن رباح اللخمي ذكر ابن يونس في تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك وكان
اعور ذهبت عينه يوم ذات السواري في البحر مع عبد الله بن سعد سنة اربع وثلاثين
وكانت له منزلة عند أهل مصر وعلى عبد الملك بن مروان وكانت له عند عبد العزيز بن
مروان منزلة وهو الذي زف ام البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك ثم عتب عليه
عبد العزيز فاغزاه افريقية فلم يزل بافريقية الى ان توفي بها وقيل كانت وفاته سنة اربع
عشرة ومائة قال ابن بشكوال اهل مصر يقولون علي بن رباح بضم العين واما اهل العراق
فعلى بفتح العين وقد مضى هذا الكلام عن ابنه موسى في الباب الثاني وقال ابنه موسى
لا من قال لي موسى بن علي بالتصغير لم أجعله في حل *(ومن التابعين الداخلين أبو
عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي قال ابن بشكوال انه روى عن ابي أيوب
الانصاري وعبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر
البخاري في تاريخه الكبير انه يعد في المصريين وذكر ابن يونس في تاريخ المغرب انه
توفي بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله تعالى وذكر أهل قرطبة انه
توفي بقرطبة وانه دفن بها وقبره مشهور بركته والله تعالى أعلم بحقيقة الامر في ذلك
*(ومن الداخلين من التابعين حبان بن أبي جبلة ذكر ابن بشكوال انه قرشي
ويكنى أبا النضر وذكر ابو العرب محمد بن تميم في تاريخ افريقية وقال حدثني فرات بن
محمد ان عمر بن عبد العزيز ارسل عشرة من التابعين يفقهون اهل افريقية منهم حبان بن أبي
جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم وقال
توفي بافريقية سنة ست وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة وذكر ابن
الفرضي انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها
يقال له قرقشونة فتوفي به قال وقال لنا ابو محمد المغربي بين قرقشونة وبرشلونة تسعة
خمسة وعشرين ميلا وهي الكنيسة التي عندهم المسماة شنت مرية ذكر ان فيها سبع
سوارى فضة خالصة لم ير الراؤون مثلها لا يحوز الانسان بذراعيه واحدة منها مع طول
مفرط فهكذا اورد ابن سعد عن ذكره والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من التابعين حبان

ذكر المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة العذري روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
وروى عنه مالك في موطئه وذكره البخاري في تاريخه الكبير وفي كتاب الحافظ ابن
بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يقدمه على العساكر
*(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي ذكر ابن حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير
وأصحابه وانه من جلة التابعين رضي الله تعالى عنهم قاله ابن بشكوال في مجموعه المترجم
بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد سمعته من أبي
الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار في موضع آخر ما صورته رجاء
ابن حيوة مذكور في الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفي ذلك عندي نظر وما أراه يصح
والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق حيوة بن رجاء
فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر في ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهري من خيار التابعين
ذكره ابن حبيب في الاربعة الذين حضروا غنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم عبد الله بن
شماسة الفهري ذكر ابن بشكوال انه مصري وأن البخاري ذكره في تاريخه *(ومنهم
عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري جده عبد الرحمن أحد العشرة رضي
الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم
منصور بن خزامة فيما يذكر قال ابن بشكوال قرأت في كتاب روايات الشيخ أبي
عبد الله بن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين ما وجدت بخط
المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المحترمة انه قال
طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلثمائة مذكرا انه منصور
ابن خزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان
رضي الله تعالى عنه وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل وانه
شهد صفين وأن خزامة اعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس في سنة
ثلاثين وثلثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا أصل له ورحم الله تعالى حافظ الاسلام
ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك
ترجمة أشج العرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الا من نمط عكراش والله
تعالى يحفظنا من سماع الاباطيل عنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن
علي بن عثمان بن خطاب وانه يعرف بأبي الدنيا وانه كان معمرا مشهورا بصحبة علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه وانه رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ووصفهم
بصفاتهم وانه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم
ابن الناصر وهو ولي عهد وسأله أبو بكر بن القوطية عن مغازي علي وكتبها عنه وقد ذكره
ابن بشكوال وغيره في كتبهم وتواريخهم فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب
دجال مائن جاهل فاياك والاغترار بشئ من ذلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالمشرق
والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد التميمي انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس
سنين قال تميم واتصلت بنا وفاته ببلده في نحو سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له

قوله عبد الله بن شماسة في نسخة أبو عبد الله بن شماسة اه

قوله على كذبه أي كذب ترجمة المذكور بمعنى خبره فلذا ذكر الضمير تأمل اه مصححه

الدعاء مغيث والعلج لا يذكر ولكن اشرب عنقه سعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ في اذايته عند سليمان وذكر الحجاري في المسهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفي منه هذا قوله

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيث في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف لسانك فقال لساني كالمفصل ما أكفه الا حيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد بن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فأعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فوفد معه فوجدوا الوليد قد مات فخدم بعده سليمان بن عبد الملك *(ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب اللخمي) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وأن أهل اشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بأمرهم ستة أشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر واليا على الاندلس في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه افريقية فهم أول طوالع الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت ولايته بعد قيام أبي أيوب بن حبيب اللخمي *(ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني) ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم قال وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر ابن حيان أن قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذي بنى قنطرة قرطبة بعد ما استأذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال استشهد بأرض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فأحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن * وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب افريقية واستشهد في قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فأين ذا من ذا والله تعالى أعلم ووصفه الحميدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه ولي الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذي قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن

حيان قال دخل الأندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب في صفر سنة
ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة الى ان استشهد وأصيب عسكره
في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال
وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم نقل هذا في غزو الفرنج فكانت ولايته
وغايته أشهر وفي رواية سنتين وثمانية أشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه بحضرة
قرطبة * وولي الأندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي وذكر ابن بشكوال انه قدم على
الأندلس واليا من قبل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب افريقية وكان
قدومه الأندلس في صفر سنة ١٠٣ فباشر قدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال
ابن بشكوال فاستقامت به الأندلس وضبط امرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفي
في شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته اربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية اشهر وذكر
ابن حيان انه في أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاي فعاب على العلوج طول القرار
واذكى فيهم حتى سما بهم الى طلب الثار ودافع عن أرضه ومن وقته أخذ نصارى
الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا
لا يطمعون في ذلك وقيل انه لم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التي لاذ
بها هذا العلج ومات أصحابه جوعا الى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة وما لهم
عيش الا بعسل النحل في جباح معهم في خروق الصخر وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن
أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى ان يجيء منهم فبلغ أمرهم بعد
ذلك في القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء به * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك
المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى أن
ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة في يدهم الآن جبرها الله تعالى
وهي كانت سرير السلطنة لعدة سنة انتهى * قال ابن حيان والحجاري انه لما استشهد عنبسة
قدم اهل الأندلس عليهم عذرة بن عبد الله الفهري ولم يعده ابن بشكوال في سلاطين
الأندلس قال ثم تتابعت ولاة الأندلس مرسلين من قبل صاحب افريقية أولهم يحيى
ابن سلمة وذكر الحجاري أن عذرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة
وولد هشام بن عذرة هو الذي استولى على طليطلة في فتنة الأندلس وفي عقبه بوادي آش
من مملكة غرناطة نباهة وأدب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذوو بيت موصل ويخدمون ل
وكان سرير سلطانه بحضرة قرطبة * وولي بعده يحيى بن سلمة الكلبي قال ابن بشكوال أنفذه
الى الأندلس بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية اذ استدعى منه أهلها واليا بعد مقتل
أميرهم عنبسة فقدم في شوال سنة سبع ومائة وأقام عليها سنة وستة أشهر لم يغز
فيها بنفسه غزوة وكذا لابن حيان وكان سريره قرطبة * وولي بعده عثمان بن أبي نسعة
الخثعمي وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي
صاحب افريقية في شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل بعد خمسة أشهر وكان سرير
سلطانه قرطبة * وولي بعده حذيفة بن الأحوص القيسي قال ابن بشكوال وأتى اليها

واليا

والناس قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفي ابن أبي نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة في ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استتمت سنة وكان بقرطبة * وولي بعده الاندلس الهيثم بن عدي الكلابي قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور ودوافى الاندلس في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولي سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * وولي بعده محمد بن عبد الله الاشجعي قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم والياعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وأيهما من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الى أن استشهد كما تقدم * وولي الاندلس بعده عبد الملك بن قطن الفهري وذكر الحجاري أن من نسله بني القاسم أصحاب البونت وبني الجد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة وكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها ذميما في شهر رمضان سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما في سيرته جائرا في حكومته وغزا أرض البشكنش وأوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولي عقبة بن الحجاج وثب ابن قطن عليه بخلعه لا أدري أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن دخل بلج بن بشر بأهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر وصلب بصحراء ربض قرطبة بعدوة النهر حيال رأس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقام شلوه على جذعه الى أن سرقه مواليه بالليل وغيبوه وكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولي ابن عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهري استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه فقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولي ولاه عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل في السنة التي قبلها وأقام بها سنين محمود السيرة مثابرا على الجهاد مفتتحا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر رودونة وأقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان قد اتخذ بأقصى ثغر الاندلس الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان يرابط بها للجهاد وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويبين له عيوب دينه وأسلم على يده ألفا رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين قال الرازي وثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه في صفر سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا على أنفسهم عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة الاندلس ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفي في صفر سنة ١٢٣ وسريره قرطبة *(ومن الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيري قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم طاعته وعيثهم في الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحبحاب عن افريقية وولى عليها كلثوم بن عياض القشيري ووجه

النهمي" أرون لحاموا ثلاثة قتلة أو لا موت" دونه ما شاروا اليه ثم وحمل بأهل الشعر
حملة انفرج لها الشاميون والراية فى يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد
ذلك بأيام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون
ويأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج فى شوال سنة أربع وعشرين
ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسريره قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه
الى الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا فى الاندلس قبل دخوله
يشهرون بالبلديين * ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملى"
وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم بأحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس
الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فآل أمره معهم الى أن حصروه
بمدينة ماردة وهم لا يشكون فى الظفر الى أن حضر عيد تشاغلوا به فأبصر ثعلبة منهم غرة
وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم فى صبيحة عيدهم وهم ذاهلون
فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبى ذريتهم وعيالهم
وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو
يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل
الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب منظور فاذا أبو الخطار قد أقبل واليا على
الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى" وذكر ابن حيان انه قدم واليا من قبل
حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
وذلك فى رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان
مع فروسيته شاعرا محسنا . وكان فى أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن
مالت به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا
الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان
ألحن حجة من ابن عم أبى الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فأقبل الكنانى" الى الصميل بن
حاتم الكلابى" أحد سادات مضر فشكا له حيف أبى الخطار وكان أبا الضيم حاميا للعشيرة
فدخل على أبى الخطار وأمض عتابه فجبهه أبو الخطار وأغلظ له ورد الصميل عليه فأمر به أبو
الخطار فأقيم ودع قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن
ما بال عمامتك مائلة" فقال ان كان لى قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه
حين بلغهم ذلك متعصبين فباتوا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث على" فانه منوط
بكم فقالوا أخبرنا بما تريد فان رأينا تبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابى" من هذا
السلطان على ما خيلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنى ما أريد الا بالخروج فالى أين
ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسى" فانه لا يواليك على أمر
يعملك وكان أبو عطاء هذا أسدا مطاعا يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل منافسا له
فى القدر وسكت عند ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدى" وكان من أشرافهم الا أنه
كان حدث السن فقال له الصميل ألا تتكلم فقال أتكلم بواحدة ما عندى غيرها قال وما هى

وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المرواني

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك عصبيته فأجابوا دعوته فأدى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا بالايدي وكل تعمهم عن بعض وثابت للصميل غرة في اليمانية في بعض الايام فأمر بتحريك أهل الصناعات بأسواق قرطبة فخرجوا في نحو أربعمائة رجل من أنجادهم بما حضرهم من السكاكين والعصي ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يد القتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فأبادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجيء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه في ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المروانية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولي عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي وجده شمر هو قاتل الحسين رضي الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار وولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للمغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس في طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المرواني في سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الاندلس ووالي ثغر أربونة وكان ذا بأس شديد وجماعة عظيمة فبينما هو في تدبير غزو يوسف اذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل الذمة وغيرهم ملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدري فخرج له وأنزله على أمان في سكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق في اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه في كورة سرقسطة الحباب الزهري الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن بن معاوية المرواني الى الاندلس وسعيه في افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بأيديهم واستقر قدمهم في الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فمال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان في المقتبس انه لما وقع الاختلال في دولة بني أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل في فراره متنقلا بأهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل في خاطره من بشرى مسلمة فما حكى عنه أنه قال اني لجالس يوما في تلك القرية في ظلمة بيت

متوار منه لرمد كان بي وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي وهو يومئذ ابن أربع سنين أو
نحوها إذ دخل الصبي من باب البيت فارغاً باكياً فأهوى إلى حجري فجعلت أدفعه لما كان بي
ويأبى إلا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع فخرجت لأنظر فإذا بالروع
قد نزل بالقرية ونظرت فإذا الرايات السود عليها هابطة وأخ لي حدث السن كان معي يشتد
هارباً ويقول لي النجا يا أخي فهذه رايات المسودة فضربت بيدي على دنانير ناولتها وخرجت
بنفسي والصبي أخي معي وأعلمت أخواتي بمتوجهي ومكان مقصدي وأمرتهن أن يلحقني
مولاي بدر بهن وخرجت فكمنت في موضع ناء عن القرية فما كان إلا ساعة حتى أقبلت
الخيل فأحاطت بالدار فلم تجد أثراً ومضيت ولحقني بدر فأتيت رجلاً من معارفي بشط الفرات
فأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري فدل علي عبد سوء له العامل فما راعنا إلا جلبة
الخيل تحفزنا فاشتددنا في الهرب فسبقناها إلى الفرات فرمينا فيه بأنفسنا والخيل تنادينا
من الشط ارجعا لا بأس عليكما فسبحت أنا والصبي وكنت أحسن السبح وسبح الغلام أخي
فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخي ودهش فالتفت إليه لأقوي من قلبه وإذا هو قد أصغى
إليهم وهم يخدعونه عن نفسه فناديته تقدم يا أخي إلي فلم يسمعني وإذا هو قد اغتر
بأمانهم وخشي الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت أنا الفرات وبعضهم قد هم بالتجرد
للسباحة في أثري فاستكفه أصحابه عن ذلك فتركوني ثم قدموا الصبي أخي الذي صار
إليهم بالأمان فضربوا عنقه ومضوا برأسه وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت
فيه مثكلاً لا أنساه ومضيت لوجهي أحسب أني طائر وأنا ساع على قدمي فلجأت
إلى غيضة أشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب عني ثم خرجت فقصدت المغرب حتى
وصلت إلى إفريقية. قال ابن حيان: وسار حتى أتى إفريقية وقد ألحقت به أخته أم
الأصبغ مولاه بدراً ومولاه سالماً ومعهما مال لنفقته وقطعة من جوهر فنزل بإفريقية ومعه
جماعة من فل بني أمية وكان عند واليها عبد الرحمن بن حبيب الفهري
يهودي حدثاني صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبر بغلب القرشي
المرواني الذي هو من أبناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين على الأندلس
وتوريثها عقبه فاتخذ الفهري عند ذلك ضفيرتين وأرسلهما رجاء أن تناله الرواية فلما أتي
بعبد الرحمن ونظر إلى ضفيرتيه قال لليهودي ويحك هذا هو وأنا قاتله فقال له اليهودي
إنك إن قتلته فما هو به وإن غلبت على تركه إنه لهو فمد الله في أجله على يدي حبيب صاحب
أمره فطرد كبراء من نجا به وعدى على ابني الوليد بن يزيد كانا قد استجارا به
فقتلهما وأخذ مالاً كان مع إسماعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على أخت
فتزوجها كرهاً وطلب عبد الرحمن فاستخفى منه وذكر ابن عبد الحكم أن عبد
الرحمن الداخل أقام مستخفياً خمس سنين وآل أمره في سفره إلى أن استجار ببني رستم
ملوك تيهرت من المغرب الأوسط وطلب فيه أول أمره إلى أن استقر على البحر عند قوم
من زناتة واستحث بدراً مولاه إلى العبور للأندلس أو إلى جماعة بني أمية بها وكانت
الموالي المروانية المدونة بالأندلس في ذلك الأوان ما بين الأربعمائة والخمسمائة وأهم

حزبه

جزة وكانت رياستهم الى شخصين أبي عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما
من موالي عثمان رضي الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بني أمية يعتقبان حمله ورياسة
جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى أبي عثمان بكتاب
عبد الرحمن يذكر فيه أيادي سلفه من بني أمية وسببهم ويعرّفه مكانه من السلطان
وسببه لسببه اذ كان الامر لجدّه هشام فهو حقيق بوراثته ويسأله القيام بشأنه وملاقاة
من يثق به من الموالي الاموية وغيرهم ويتلطف في ادخاله الى الاندلس ليبلي عذرا
في الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويأمره أن يستعين في ذلك بمن يأمنه
ويرجو قيامه معه ويأخذ فيه مع اليمانية ذوي الحنق على المضرية لما بين الحيين من الترات
فمشى أبو عثمان لما دعاه اليه وبانت له فيه طماعية وكان عند ورود بدر قد تجهز الى ثغر
سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس
فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا ذاكرنا الصميل خبر بدر وما جاء به لنختبر ما عنده
في موافقتنا وكانا على ثقة في انه لا يظهر على سرّهما أحدا لمروءته وانفته فقال له ان نحن
فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة
المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فنسحب اذا على أمره ونذكر له انه
قصد لارادة الايواء والامان وطلب أنجاس جدّه هشام لدينا ليتعيش لا يريد غير ذلك
فاتفقا على هذا فلما ودّعا الصميل خلوا به في ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف
في ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهري بكورة سرقسطة فقال لهما انا معكما فيما
تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله في جواره وأن يحسن له ويزوجه
بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته بأسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم
ودّعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد
كاشفا القيامين كان معهما في العسكر من وجوه الناس وثقاتهم فطارحاهم أمر ابن معاوية ثم
دسا في الكور الى ثقاتهما بمثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار في الجمر وكانت سنة خلف
بالاندلس بعد خروج من المجاعة التي دامت بالناس وفي رواية ان الصميل لان لهما في أن
يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فتراجع فيه وردّهما وقال اني
روّيت في الامر الذي أردته معكما ووجدت الفتى الذي دعوتماني اليه من قوم لو بال أحدهم
بهذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله وهذا رجل نتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يستبدل
منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لي فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى القاكما لئلا
أغركما من نفسي فاني أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفي فبارك الله لكما في رأيكما
فقالا له ما لنا رأي الا رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما في أمره
ان طلب غير السلطان وانفصلا عنه الى البيرة عازمين على التصميم في امره ويئسا من مضر
وربيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا في تهييج أحقاد أهل اليمن على مضر فوجداهم قوما
قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيأ يجدون به السبيل الى ادراك ثأرهم واغتنما بعد يوسف
صاحب الاندلس في الثغر وغيبة الصميل فابتاعا مركبا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع

بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى مواليه فكتبوا
عن خطه الى من رجوه في طلب الأمر ومضوا من ذلك في الذهاب ما دبّ به أمرهم ولما
وجه أبو عثمان المركب المذكور مع سبعة الذين ثبتت معرفته ببلد البربر وهو يصلي وكان
قد اشتد قلقه واستبطاؤه لبدر ورسوله فسرّ بدنو تمكن الأمر وخرج اليه تمام مكثرا التسليم
فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن
تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزله الى غالب لما تفاءل به لم يزل صاحبه حتى
مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما هم بذلك أهل البربر رموا
دونه فعرفت فيهم من مال كان مع تمام صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما
صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل غاب منهم لم يكن أخذ شيئا فتعلق بحبل الهودج يعقل
المركب فحوّل رجل إليه ساجر بالسيف فقطع يد البربري وأعانهم الريح على التوجه
بركبهم حتى حلوا بساحل البحر في جهة المنكب وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٨ فأقبل
اليه شيئا أبو عثمان وصهره أبو خالد فحملاه الى قرية طرش منزل أبي عثمان ثم يوسف بن
بخت واثنال عليه الأمويون وأتاه جدار بن عمرو المذحجي من أهل مالقة فكان بعد ذلك
قاضيه في العساكر وأتاه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبي من إشبيلية فأسوره واثنال
عليه الناس أرسالا وبرز أمر [illegible] الساعات بصلاح الأيام وأمد الله تعالى بعون عالمه
فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بستة أشهر وكان خبر دخوله للأندلس قد صادف
صاحبها يوسف الفهري بالثغر وقد قبض على الحباب الزهري الثائر بسرقسطة وعلى
عامر العبدري الثائر معه فيها وهو بوادي الرمل غربي من طليطلة وقد صرف عن عامر
العبدري وابن عامر برأي الصميل أخذا قبل أن يدخل رواية رسول يركض بخبر ولد
عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق
واجتماع الموالي المروانية إليه وتشوّف الناس لأمره فانتشر الخبر في العسكر لوقته وبتّ
الناس يوسف لمكان الفرسين عامر وابنه وجبر نقيدهما فسارع عدد كثير الى الدار
لعبد الرحمن الداخل ونادوا بشعارهم وتقوضوا عن عسكره وما أن نادت الشمس بوابل
لا يهتدى لما شاء الله تعالى من التضييق على يوسف أصبحوا من في عسكره سوى غلمانه
وخاصته وقوم الصميل حتى وأتباعه فأقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأي فقال بادره
الساعة قبل أن يغلظ أمره فإني لست آمن عليك هؤلاء الحانقين عليهم فقال له يوسف
أمثل ذلك ومع من نسير اليه وأنت ترى الناس قد ذهبوا عنا وفي دائرتنا من المال
وأنصانا الظهر ما كسبناه الجماعة في سفر واحد ولكن نسير الى قرطبة فنأخذ الاستعداد له
بعد أن نطرق أمره ونبصر لما يصير عليه دون ما كتب الساعة فقال الصميل الرأي ما أمرت به
عليك ولست غير ونحوه تتبين علتك فمضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن
الداخل الى إشبيلية ولقيه بها من عرفهم أبو الصباح بن يحيى اليحصبي واجتمع الرأي على
أن يقصدوا به دار الإمارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بغير لواء ولا علم
نهتدي إليه جماعتنا وعقد ماله قدوها عليه فكرهوا أن يعلوا الساعة به بطيرا

وأقاموا بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما هي وحكى أن فرقد العالم صاحب الحدثان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ولما أقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت المجاعة توالت قبل ذلك ست سنين فأورثت أهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ماعدا أهل الطاقة مذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذي يجدونه في طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمي ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا لافسار يوسف من قرطبة وأقبل ابن معاوية على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر بحذائه فتسايرا والنهر حاجز بينهما الى أن حل يوسف بصحراء الصارة غربي قرطبة وعبد الرحمن في مقابلته وتراسلا في الصلح وقد أمر يوسف بذبح الجزر وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاويه أخذ في خلاف ذلك قد أعد للحرب عدتها واستكمل أهبتها وسهر الليل كله على نظام أمره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصر الا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يامعشر يمن هل لكم الى فتحين في يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدامة ابن معاوية فيصير الامر لنا نقدم رجلا منا ونخل عنه المضرية فلم يجبه أحد لذلك ونمي الخبر عبد الرحمن فأسرها في نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انفضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعف وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من اطلاب يوسف والصميل فخرج في أثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بأمره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زياد واستنام اليه اذ كان من موالي بني أمية ونهض في طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل في صفر سنة ١٣٩ وشارطه على أن يخلي بينه وبين أمواله حيثما كانت وأن يسكن بلاط الحر منزلة بشرقي قرطبة على أن يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه وأعطاه رهينة على ذلك ابنيه أبا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذي أسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد في الارض وقد كانت الحال اضطربت به في قرطبة ودس له قوم قاموا عليه في أملاكه زعموا انه غصبهم اياها فدفعهم الى الحكام فاعنتوه وجعل عنه في التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فعاط أمره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج

عدوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فيما بين معاوية في حصن المدور ثم ان
اذا التقى يوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حروب شديدة
انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهم وما استحر القتل في أصحابه فهلك منهم خلق كثير
وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه في قربة من قراها عبد الله بن عمرو الانصاري فلما عرفه
قال لمن معه هذا الفهري قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله
واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وارد من عبد الرحمن به أمر أن يوضع به دون
جسر قرطبة وأمر بقتل ولد عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه رأسه ووضعا على
باب سجن من الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما أمر يوسف قد حبس وزير الجميل
لانه قال له أين يوسف فقال لا أعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك عندنا
وأكد عليه في أن يحضر فقال لو أنه تحت قدمي هذه ما رفعتها لك عنه فاصبح ما سبب حبسه
أمر به للحبس وحبس معه ولدي يوسف ابا الاسود محمدا المعروف بعد بالاعمى وعبد الرحمن
فتحيل في الهرب من بعد فاما أبو الاسود فصار يتمارى واضطرب في الارض حتى الصاد الى
ان هلك بتفق أمه وأما عبد الرحمن فانه لم يزل في السجن حتى قتل كما تقدم
وامتنع الصميل من الهرب فاقام بمكانه فلما قتل يوسف أدخل ابن معاوية على الصميل من
سنه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية في الحبس فوجدوه ميتا وبين يديه كاس
ونقل كأنه نبت على سرابه فقالوا والله انا لنعلم يا أبا جوشن انك ما شربتها ولكن سقيتها
وعاظهرمن نظر الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه باحد عظام دولة رئيس
اليمانية أبي الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفي نفسه منه ما أوجب فتكه به ومن
ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي اذ ثار بناحيته وكان قد وصل من افريقية
على ان يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل في ناس فلقي فارس بناحية باجة ودعا اهلها
و... ممن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى أن لقيه عبد الرحمن بعد باشبيلية فهزمه وقتله
وقتلا أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه واعناقهم وأمر بقطع الصكاك
في آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالقا عصا ومعها اللواء الاسود وأقبلتا لدواب الى
من بعثه وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم فقيل وافى أبا جعفر المنصور فدنع فوضعه على
باب سرادقه فلما كشفه وبان له قطع قيل واستدعى عبد الرحمن وقال عرضناه هذا
البائس يعني العلاء للحتف ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي جعل البحر بيننا
وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثأر رئيسهم أبي الصباح
اليحصبي وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف
عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده في الابتياع فابتاع من موالي الناس بكل ناحية واعتمد
أسباب الرأي ووجه عنهم الى بر العدوة فاستكثر منهم وقد علم انهم ارغب في طلبه
في المبالغة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاعتد أربعين ألف رجل صار بهم
غالبا على أهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد
الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريئا من العجز سريع النهضة

متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم الى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمني وأنا أستجير بك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسألك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بانصافي فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فرآهم قليلا ودعا بالقاضي وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى وقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير لا يجمل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق بمجالسته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهدوا فترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى اخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضي * اقر مني بعض السلام لبعضي

ان جسمي كما تراه بأرض * وفؤادي ومالكيه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضي الشفرتين نصلا

فجاب قفرا وشق بحرا * مساميا لجة ومحلا

فبز ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا

وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أخلى

ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأوا أن هلم أهلا

فجاء هذا طريد جوع * شريد روع يخاف قتلا

فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا

ألم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فانثالوا عليه ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهادون بشكره ويتهانؤن بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه

كرى سليمان مالى معنى أن تأمر لى باطلاق مالى والتحدث به فى معزل لا أشتغل بسلطان ولا أدخل فى شئ من أموره ما عشت فوقع له انك من الذنوب المترادفة والوسائل معها روحك الكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل فى لهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلى من شغل السلطان أشبه بالنعمة منه بالنقمة فايأس من ذلك فان اليأس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى أن أتى عيد فاشتد به حزنه لما رأى من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه فى ذلك رقعة منها وقد أتى هذا العيد الذى خالفت فيه أكثر من أساء اليك وسعى فى خراب دولتك من عفوت عنه فنلك النعمة فى ذراك واقتعد ذروة العز وأنا على صدمن هذا سليمان النعمة مطرحا فى حضيض الهوان أيأس مما يكون وأقرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة أمر بنفيه عن قرطبة الى أقصى الثغور وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل عقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى أن ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى أن ثقل على النفس جوارك وقد أمرنا باقصائك الى أقصى الثغور فالله الا ما أقصرت ولا يبلغ بك رائد المقت الى أن تضيق معى الدنيا ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان وما تقولوه عليك ومالك عدو أكبر من لسانك فما طاح بك غيره فاقطعه قبل أن يقطعك * ولما فتح الداخل سرقسطة وحصل فى يده ثائرها الحسين الانصارى وشدخت رؤس وجوهها بالعمد وانتهى نصره فيها الى غاية أمله أقبل خواصه يهنئونه فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند فهنأه بصوت عال فقال والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ على فيه النعمة من هو فوقى فأوجب على ذلك أن أنعم فيه على من هو دونى لاصابتك ماتعرضت له من سوء النكال من تكون حتى تقبل مهنئا واعصوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارف بقيمتها حتى كانك تخاطب أباك أو أخاك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع فى مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها باتصال جهلى وذنوبى فتشفع لى متى أتيت بمثل هذه الزلة لا أعدمنيها الله تعالى فتهلل وجه الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نبهونا على أنفسكم اذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ورفع مرتبته وزاد فى عطائه * ولما أنحى أصحابه على أصحاب المهرى بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لاشد عداوة منهم يشير الى استبقائهم ليستعان بهم على أعداء الدين * ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع المهرى ورأى شدة مقاساة أصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه امأذل الدهر وامأعز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ترتجوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال انى محتاج لما يزيد فى عقلى لا لما ينقصه فعرفوا بذلك قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا اشتغلت عنها بهمتى فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتى ولا حاجة لى بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه انه قال لولا أنا ما توصل لهذا الملك ولكان منه أبعد من العيوق وأن أحمق قال سعده أعانه

لا عقله وتدبيره فحركه ذلك الى أن قال

لا يلف ممتن علينا قائل * لولاي ما ملك الامام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم أن لا يغفلوا * أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله * خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرت صدوعكم * بالغرب رغماً والسعود حوائل
ما دام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من الوافدين عليه من قبل الشام حدثوا بموافقة بعض عشائرهم عند ما كان من العمري بن يزيد بن عبد الملك أمام عمهم وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس القائم بسلطانهم وقد حضر واراده وقتله وهو المقود من دعا القوم وشيعهم زادا على عبد الله فيما اراده من دماء بني أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم يردعه هيبته وعصف ريحه واستمال جمعه عن معارضته والرد عليه بفصل لا خلل فيه والذب عنهم وانبسط في ذلك بكلام غاظ عبد الله وأغضبه وعاجل العمري بالحتف فمضى وحكى في الناس ما حلف من تلك المعارضة في ذلك المقام وكبر القوم في تعظيم ذلك وكان الأمير عبد الرحمن استحقر ذلك الذي كان من العمري بحسب ما كان منه في الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والأنفة من طاعتهم والسعي في اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنهم وقام عن مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة

شتان من قام ذا امتعاض * فشمر الذيل واستقلا
ومن غدا مصلتاً لعزم * مجرداً للعدى نصلا
فجاب قفراً وشق بحراً * ولم يكن في الامام كلا
فشاد ملكاً وساد عزاً * ومنبراً للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أخلى
ثم دعا أهله جميعاً * حيث انتأوا أن هلم أهلا

وله غير ذلك من الشعر وستأتي بقية منه عند ذكر هذه القطعة • وأول ما ضرب له عبد الرحمن سار معه في الحلول والاستيطان ولا زال بدم الذكر في سلطانه مرفهاً وعز بارزاً وعزاً فلما كمل له الأمر سلبه من كل نعمة وحبسه ثم أقصاه الى أقصى الغرب حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذراً أو لومه من سمع [illegible] له ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدر في القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فأراد أبو عثمان أن يتعلل بخاطر ويتطرق الى شيء يحتاج به اليه [illegible] ابن أخته بثورة في حصن من حصون الثغر فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخي الداخل وزين له القيام عليه فسعى بعبد الرحمن بابن أخيه أن تم أمره فضرب عنقه وأغلق الدين ذريعته وقيل له ان أبا عثمان كان معه وهو الذي

شمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة ولا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن ى العباس فى شأن أبى سلمة لكن سأعتبه عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع له الى ما كان عليه فى الظاهر وكان صاحبه الثانى فى الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد وكان قد ضمن لابى الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فمات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما فى النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذى عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبى عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان هذا قاس ثكل ولديهما على يدى أعز الناس عليهما ما أراهما ان أحدا لا يقدر أن ينظر فى تحسين عاقبته واذا تسع الامر فى الذين يقومون فى قيام دولة كان مآلهم مع من يظهرونه هذا المآل وأصعب * وذكر ان أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسى مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم بن مهران من ولد الحرث بن أبى شمر الغسانى ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن حويرث بن جبلة بن الايهم الغسانى وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذى تقدمت ترجمته ثم منصور الخصى وكان أول خصى استحجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى أن توفى الداخل * ولم يكن للداخل من ينطلق عليه سمة وزير لكنه عين أشياخا للمشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبد الله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبى البرابر وقيل انه رومى وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومى مولى عبد الله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة فى الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامى صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفى من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه فى الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واحتلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبد الله ابن خالد المتقدم الذكر ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان فى عديد من يشاوره أيضا ويفضل أمره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهرى وقيل انه ممن اتهم فى ممالأة اليزيدى فى افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدى واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون أن الداخل ألقى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبى فأقره حينا ثم ولى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصى ثم عمر بن شراحيل ثم عبيد الرحمن بن طريف وكان جدار بن عمرو يقضى فى العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بنى مروان حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بنى هشام بن عبد الملك أخوه الوليد ابن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفى سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدى وقتل معه من الوافدين عليه عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف بالبزيدى وهو ابن أخى الداخل وكانا عت

عبرا بالمرار فانهزم الداخل وفى سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد ابن عبادة الخزرجى وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابى الكلبى رأس الفتن وآل أمرهما الى أن قتل الحسين سليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفى سنة ٢٦٣ ثار الدماحس ابن عبد العزيز الكنانى بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل فسرق البحر الى المشرق * قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل فى التى قبلها بالعلياء من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفى أبوه معاوية فى حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقبر معاوية المذكور استجار الكميت الشاعر حين أهدر هشام دمه وتوفى الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنة ودفن بالقصر من قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله * وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد مر لنا من ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التى عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ما ظهر فى ملك بنى أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثره ذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو مروان بن حيان رحمه الله تعالى * ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وان تكرر بعض ذلك فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب بعد كلام ابن حيان الذى قدمنا ذكره ما نصه كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل واسع الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدو الا هزمه ولا بلد الا فتحه شجاعا مقداما شديد الحذر قليل الطمأنينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس فى الجامع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب وبلغ جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتد الطلب على قتل بنى أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفزة وهم اخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه الى مواليهم بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فأجابوه واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب فقال تم أمرنا وغلبنا عدونا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله بن عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش من كورة البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من

قوله الدماحس فى نسخة الرماحس اه

أمر ما يذكر وقيل إنه أقام بالبربر حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالي بني أمية
ووجوه العرب فخرج من البربر الى كورة رية فدخلها في جماعة ثم بايعه أهلها وأجنادها
ثم ارتحل الى شذونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية، وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد
قرطبة بعد دخوله الاندلس من المشرق نزل بطليانة فأشاروا عليه أن يعقد لواء فجاؤا
بعمامة وقناة فكرهوا أن يعقدوا العمامة منكسة تطيرا فأقاموها وقام شخص من البربر من مضاورس
وقد نزل على فرع احدى شجرتين فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك به وقيل هذا اللواء فكان
بعد أن بلي لا يحل منه العقد الى ان ذهب أولا فأولا يعقد فوقها الالوية الجدد وهي متمسكة
عنها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد
الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما أزالوا عقد اللواء أتى الاخلاقة ملفوفة بعقد فجهلوها
فاستبدلوها وأمروا بإعلامها وبتجديدها وتحديد أعيرها وكان يحضرهم يوسف بن بخت شيخهم
غائبا فحضر في اليوم الثاني وطولع بالقصة فأنكرها أشد انكار وقال ما فعلتموه وقال ان
جهلكم بشأن تلك الاخلاق فكان بقي أن تتركوا شدها حتى تسألوا المشايخ وتتفكروا
في أمرها وحزتم حزها فطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد وقال كما قال ابن حيان إنه لم يزل
يعرف الوهن في ملك بني أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذي عقده أولا عبد الله
ابن خالد من موالي بني أمية وكان والد خالد عقد لواء مروان بن الحكم جد عبد الرحمن
الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وهو كان بعد انقراض دولة بني حرب على قتال الضحاك بن
قيس الفهري يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله، ولما عرف الامير قصة اللواء حزن
أشد حزن واستصعب عليه ارتكاب الصعوبة العظام وكانوا يرون أنه ما حورب تحت اللواء لأنه
لم يهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التي لا يتوصل اليها الافكار وولي
حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصاري ولم يزل يحمله ولده من
بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما التقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف
الفهري قاتله بظاهر قرطبة وراسله لمخادعة يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان
وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد
أضمر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم يحسب أن عبى الخيل
ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة
عليهم أن يضربوا عنقه والا فلا فكان خالد يقول ما كان شيء في ذلك الوقت أحب الي من
غلبة عبد الرحمن الداخل عدو ماشي وركب عبد الرحمن جوادا فقال اليمانية
الذين أعانوه هذا فتى حدث السن تحته جواد وما نأمن إن يزل رده عنا أن يطير بهم فما
على جواد ونمي ذلك الى عبد الرحمن فأسر ما سمع منهم فدعا أبا الصباح وكان له
بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسي هذا قلق عني لا يمكنني من الرمي فهات لي
بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمأن أصحابه وقال عبد الرحمن لأصحابه أي يوم
هذا قالوا الخميس يوم عرفة فقال الاضحى غدا يوم الجمعة والمتزاحفان أموي وفهري

والجندان

والجدان قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وأرجو انه أخو يوم مرج راهط فأبشروا وجدوا فذكرهم يوم مرج راهط الذى كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهرى وكانت يوم جمعة ويوم أضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون ألفا من قبائل قيس وأحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى وابن هبيرة المحاربى وصالح الغنوى وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم المصارة غربى قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال ابن الطفيل العبدى وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحول على بغلة الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فتربه أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشياء أشباها أموى بأموى وفهرى بفهرى وكلبى بكلبى ويوم اضحى بيوم أضحى ويمنى بقيسى والله انى لاحسب هذا اليوم مثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تجلى الغماء ومصرك ممتنع فانثنى أبو عطاء لوجهه منفلتا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهرى هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهرى بانى القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن وقيل الصميل بن حاتم بن عمرو بن جندع ابن الشمر بن ذى الجوشن كان جده شمر من أشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضى الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وسادها وكان شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه فى زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهرى كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهرى الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدامت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كان انتقال سلطانها الى بنى أمية واستفحل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم استرسلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول فى القرون السالفة سنة الله التى قد خلت فى عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهرى والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان حسبما تقدم لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره ❊ وحكى أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فأمر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا أمير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بنى أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل أعرف مزية من جدى من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بابى جعفر المنصور فى عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه فى أن أم كل منهما بربرية وأن كلا منهما قتل ابن أخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية ❊ ومن شعر عبد الرحمن

قوله عبد الرحمن بن مسعدة فى نسخة عبد الرحمن بن مسعود وفى أخرى عبد الله بن مسعدة اه

الخولانى" وحبان بن سمح الصدائى" وقيد اسمه الدارقطنى" رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة وبياء معجمة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس ويقال فيه حبان بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى" وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمى" وأبو عميرة المزنى" وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم ويطول سردهم منهم ربيعة ابن قيس الجلى" وأبو عبد الرحمن الحبلى" وزياد بن نعيم الحضرمى" ومغيان بن هانئ" الجيشانى" وسعيد بن شمر السمانى" وعبد الله بن المستورد بن شداد العبرى" وعبد الرحمن ابن أوس المزنى" وربادة بن ثعلبة البلوى" وشيبان بن أمية القتبانى" وعامر بن ذريح الحميرى" وعمير بن الفيص اللخمى" وأبو حمزة الخولانى" وعياض بن فروخ المعافرى" ومسلم بن مخشى المدلجى" وهانئ بن معاوية الصدفى" وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقى" وغيرهم قال ابن يونس توفى بافريقية فى خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق فى مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجدته غامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله عصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القيروانى" المالكى" فى تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكرا هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعنى الموجهين الى افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز فى خلافته ليفقهوا أهل افريقية ويعلموهم أمر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكى" أيضا عن أبى سعيد بن يونس قال كان فقيها متساكن القيروان وكانت وفاته كما تقدم وذكره الحميدى" فى الداخلين الى الاندلس ولم يذكره ابن الفرضى" ●(ومنهم زريق بن حكيم أحد المعدودين فى الداخلين الى الاندلس ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبى المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبى" وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبى جبلة وعلى" ابن أبى رباح وأبو عبد الرحمن الحبلى" وحنش بن عبد الله الصنعانى" ومعاوية بن صالح وزيد ابن الحباب العكلى" وانتهى عددهم بزريق هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضى" ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعى" ●(ومنهم زيد بن قاصد السكسكى" قال ابن الابار وهو تابعى" دخل الاندلس وحضر فتحها وأصله من مصر يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى" ذكره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا من كتاب الحميدى" انتهى ●(ومنهم زرعة بن روح الشامى" دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضى مهاجر بن نوفل ●(ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصارى" قال ابن الابار تابعى" دخل الاندلس يروى عن أبى هريرة قرأته

قوله وزيادة فى نسخة وزيد اه

قوله حبان الخ فى نسخة حيان ابن جبلة اه

قوله ابن أبى رباح فى نسخة ابن رباح وقوله وأبو عبد الرحمن فى نسخة وعبد الرحمن اه

قوله العكلى" فى نسخة العشكلى" اه

قوله ابنه مسلمة فى نسخة ولده مسلم اه

أنساب الطالبين والعلويين القادمين الى المغرب *(ومن الداخلين الى الاندلس عبدالله ابن المغيرة الكنانى حليف بنى عبد الدار سماه أبو محمد الاصيلى الفقيه فى الداخلين الاندلس من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال فى مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الابار وما أراه تابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه روى عن سفيان بن وهب الخولانى *(ومنهم عبدالله المعمر الذى طرأ على الاندلس فى آخر الزمان وكان يزعم انه لقى بعض التابعين قال ابن الابار روى عنه أبو محمد أسد الجهنى ذكر ذلك القيسى وفيه عندى نظر انتهى *(ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن ابن شماسة بن ذئب المهرى روى عن أبى ذر وقيل عن أبى نضرة عن أبى ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبدالله وزيد بن ثابت وأبى نضرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى وعوف بن مالك الاشجعى ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبى رهم ذكره ابن يونس فى تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال فى الداخلين الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدى قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران *(ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبدالله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه وقد ذكره ابن حيان فى مقتبسه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى كتب له أن يدافع عبد الرحمن المروانى الداخل للاندلس وكان المذكور اذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق واعتركن اليه فى محاربة عبد الرحمن لما بين بنى عمار وبنى أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضى الله تعالى عنه من شيعة على كرم الله وجهه وهذا عبدالله بن سعيد هو جد بنى سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وأمراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغير واحد ممن عرفنا به فى هذا الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دونى * ولى على همتى ديون
ومن يرم ما يقل عنه * فذلك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم انى * أحب كسب المعالى
وانما أتوانى * عنها لسوء المآل
يحتاج للكذب والبغى * لؤم واصطناع الرجال
ودع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
فحالهم فى انعكاس * بها وحالى حالى

وتراجمهم واسعة وقد بسطت فى المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا فى الباب قبل هذا من أخبار بنى سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع *(ومن الوافدين على الاندلس

قوله شماسة فى نسخة شماشة بمعجمتين اه

انتقلوا الى سكناها قديما هكذا فى خبر القاضى أبى الحسين الزهرى منهم عن أبى بكر بن سيرو غيره قال ابن بشكوال فى مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين عبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من التابعين وقع ذكره فى كتاب شيخنا أبى الحسن بن مغيث انتهى قال ابن الابار ولم يزد على هذا انتهى

* (ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب من أهل مصر وسكن بغداد ويعرف بالطنبذتائى قرية بمصر نسب اليها وروى عن أبى محمد الشارمساحى وتفقه به وقدم الاندلس رسولا بزعمه من عند الخليفة العباسى فسكن مرسية ودرس بها وخرج منها سنة اثنتين وأربعين وستمائة بعد أن تملكها النصارى صلحا وأسر بناحية صقلية قال ابن الابار ثم بلغنى انه تخلص ولحق ببلده رحمه الله تعالى

* (ومنهم عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب يكنى أبا القاسم قال ابن الابار لا أعرف موضعه من بلاد المشرق وكان أديبا قوى العارضة مطبوع الشعر مديد النفس ومن شعره من قصيدة صنعها فى وقت رحلته الى الاندلس قوله

على الذل أوقاتل عقال الركائب * وللضيم أوفا حلل صدور الكتائب
فاما حياة بعد ادراك منية * واما ممات تحت عز القواضب
فما العيش فى ظل الهوان بطيب * وما الموت فى سبل العلاء بعائب

* (ومنهم أبو محمد عبد اللطيف بن أبى الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمى الصدفى من أهل بغداد يعرف بالتربى دخل الاندلس وكان يزعم انه روى عن أبى الوقت السجزى وأبى الفرج الجوزى وغيرهما وله تأليف سماه بالدليل فى الطريق من أقاويل أهل التحقيق ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعفه بعد ما سمع منه أخذ عنه وسمع منه هو وأبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم القيلى وغيرهما وقال ورد علينا غرناطة قريبا من سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفى عفا الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه أبو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمى البغدادى التربى منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخارى من أبى الوقت السجزى وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار فى التصوف منها تأليف فى اباحة السماع قرأت عليه أكثره وقرأت عليه عوالى النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة * (ومنهم أبو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الخراسانى الباخرزى المالينى يكنى أبا بكر سمع من أبى الخير أحمد بن اسمعيل الطالقانى القزوينى وأبى يعقوب يوسف ابن عمر بن أحمد الخالدى الرنجانى وقدم الاندلس وحدث بصحيفتى الاشج وجعفر ابن نسطور الرومى وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه أبو القاسم الملاحى وسمع منه بمالقة أبو جعفر بن عبد الجبار وأبو على بن هاشم فى صفر سنة ٦٠٠ ومولده فى ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشج وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى الساقى الحافظ اذ قال

قيسى

عبد المنعم بن عبد الله القيسي الدمشقي أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهاني في مجلس أبي طاهر السلفي لدخوله اياها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام اقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بالمشرق أبا بكر بن ماشاده السكري وأبا الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفي وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقي ببجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلي وأجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجول في بلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعي عارفا بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط بما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تأليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن عميرة الضبي وابنا حوط الله أبو محمد وأبو سليمان وأبو القاسم الملاحي وأبو العباس بن الجيار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدني عند توديعي اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يازائرا زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا * ماضره لو دخل الدارا
نفسي فداؤك من زائر * مازار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابي في شرح سنن أبي داود بقراءة جميعه عليه ومولده في شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفي بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفي هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبي عبد الله بن نوح ببلنسية رحمهما الله تعالى *(ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي من ذرية عبد بن زمعة أخي سودة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس في زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهروا فيها معتقدهم الخبيث فحل يومئذ من الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها دارا واتخذها قرارا وبها لقيه أبو عمر بن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس من عوالية وقد ذكره في تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى أن نجم منهم أبو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنها الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلي هل ليلي وتجديد عهدنا * فياحبذا ليلي ويا حبذا العهد
عسى الدهر أن يقضي لنا بالتفاتة * فيارب عهد قد يجدده بعد

وله أثناء رسالة قوس

قوس العلا وضعت في كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها
وانما الشمس لاحت في مطالعها * بلى وأجرى جياد الخيل مجريها

ونشأ هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد أخذ من العلوم في غير مافن وحقق فيه كل ماطن وذكره في المسهب وسمط الجمان وفضله أشهر رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو

علي القالي صاحب الأمالي والنوادر وفد على الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن فأمر ابنه الحكم وكان يتصرف عن أمر أبيه كالوزير عاملهم ابن رماحس أن يجيء مع أبي علي إلى قرطبة ويتلطف في وفادته وتقدمه وهو زعيمه في تحمله من ناس أهل الكور مكرمة لأبي علي فنزل وسار معه قرطبة في موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار إلى أن تجاوروا يوماً وهم سائرون أدب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن أفضل المناديل وإنشاد بعضهم بيت عبدة بن الطبيب

ثمت قمنا إلى جرد مسومة ۞ أعرافهن لأيدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا علي فأنشد الكلمة في البيت أعرافها لأيدينا مناديل فأنكرها ابن رفاعة الإلبيري وكان من أهل الأدب والمعرفة وفي خلقه حرج وزعارة فاستعاد أبا علي البيت متثبتاً فيه كالمتهم فأنشده أعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفاً وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين وتتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا يغلط الصبيان فيه والله لا تبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب إلى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه فأجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق إلينا وابن رفاعة أولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشأنه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار إن شاء الله تعالى أو يحطه

ونص المؤرخ حين زعم أن وفادة أبي علي القالي إنما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالأندلس لا في خلافة أبيه الناصر والصواب أن وفادته في أيام الناصر لما ذكر غير واحد من حضوره وعيه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الروم كما ألمعنا به في غير هذا الموضع وفي القالي يقول شاعر الأندلس الرمادي

من حاكم بيني وبين عذولي ۞ الشجو شجوي والعويل عويلي

في أي جارحة أصون معذبي ۞ سلمت من التعذيب والتنكيل

إن قلت في بصري فثم مدامعي ۞ أو قلت في قلبي فثم غليلي

لكن جعلت له المسامع موضعاً ۞ وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبي البيت الثاني قال أصونه في اسمه وكان الرمادي لما سمع قول المتنبي

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل ۞ لولا مخاطبتي إياك لم ترني

قال أخذه بشرطه وأطرى من حسن العمل وباسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو علي القالي كتاب الأمالي وكان الحكم كريماً مغرماً بالعلم وهو الذي وجه إلى أبي الفرج الأصبهاني ألف دينار عيناً على أن يوجه له نسخة من كتاب الأغاني وألف أبو عبد الله الفهري كتاباً في نسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله الأندلس وحكى ابن الطلسان عن ابن خاتمة أنه قرأ بخط ابن اليتيم في لوح رخام كان منقوشاً فيه المرثية على قبر أبي علي البغدادي عند رأسه وهما

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا ۞ فليس لمن وارى التراب حبيب

ولا تدفنوني

ولا تدفنوني بالعراء فربما * بكى ان رأى قبر الغريب غريب

واسم أبي علي اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان وجده سلمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو علي أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبي بكر بن دريد الازدي وأبي بكر بن الانباري وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه أبو بكر الزبيدي الاندلسي صاحب مختصر العين ولابي علي التصانيف الحسان كالامالي والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبي يعلى الموصلي ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوي وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر لا في زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدي في الوافي فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف وبث علومه هنالك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ودفن بظاهر قرطبة ومولده بمنازكرد من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٣٨٠ وانما قيل له القالي لانه سافر الى بغداد مع أهل قالي قلا وهي من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان في ترجمة ابن القوطية ان أبا علي القالي لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ في تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع الارض الطيبة المونقة فصادف أبا بكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هنالك ضيعة قال فلما رآني عرج علي واستبشر بلقائي فقلت مداعبا له

من أين أقبلت يا من لا شبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فما تمالكت أن قبلت يده اذ كان شيخي ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التي فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه ما لا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضي عنه وممن أخذ عن أبي علي القالي بالاندلس أبو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد

الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان

قوله سنة ٣٥٦ في نسخة سنة ٣٥٢ اهـ.

قوله بمنازكرد في نسخة بمنازل اهـ

وما قدمته الا كي * أقدم تاليا أم الكتاب

وذكر الحميدي أن عبد الله بن ما كان الشاعر تناول نرجسة وركبها في وردة ثم قال لصاعد ولابي عامر بن شهيد صفاها فأخفقا ولم يتجه لهما القول فبيناهم على ذلك اذ دخل الزهيري صاحب أبي العلاء وتلميذه وكان شاعرا أديبا أميا لا يقرأ فلما استقر به المجلس أخبراه فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد أعياهما * مليحة من ملح الجنه

نرجسة في وردة ركبت * كمقلة تطرف في وجنه انتهى

ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوما وعنده أعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم في هذه العلوم وأحب أن يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيد السيرافي فزعم انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمي بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدي فما تحسن أيها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فما وزن أولق فضحك صاعد وقال أمثلي يسأل عن هذا انما يسأل عنه صبيان المكتب قال الزبيدي قد سألناك ولا نشك انك تجهله فتغير لونه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدي صاحبكم ممخرق فقال له صاعد انما الشيخ صناعته الابنية فقال له أجل فقال صاعد وبضاعتي أنا حفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة الا أنشد عليها شعرا شاهدا وأتى بحكاية تجانسها فأعجب المنصور ثم أراه كتاب النوادر لابي علي القالي فقال ان أراد المنصور أمليت على كتاب دولته كتابا أرفع منه وأجل لا أورد فيه خبرا مما أورده أبو علي فأذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسألوا المنصور في تجليد كراريس بياض ترال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تأليف أبي الغوث الصنعاني فتراءى اليه صاعد حين رآه وجعل يقلبه وقال اي والله قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ أبي فلان فأخذه المنصور من يده خوفا أن يفتحه وقال له ان كنت قد قرأته كما تزعم فعلام يحتوي فقال وأبيك لقد بعد عهدي به ولا أحفظ الآن منه شيئا ولكنه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص في النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد في قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا يأتي الا بالغريب

عند المنصور وأعانهم على تفنيده ما كان يتعمّده من الكذب وحكى ابن خلكان أن
المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار وأن أغرب ما جرى له أنه كان
بين يدي المنصور فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد
مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكّرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطّت بأكمامها راسها

فسرّ بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى إلى مناقضته وقال لابن أبي
عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على
ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرّك دابته حتى
أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الأبيات
ودسّ فيها بيتي صاعد

غدوت إلى قصر عبّاسة * وقد جدّل النوم حرّاسها
فألفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدّت يديها إلى وردة * يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطّت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن * في ابنة عمّك عبّاسها
فولّيت عنها على غفلة * وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلّقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر ودخل بها على
المنصور فلما رآها اشتدّ غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فإن فضحه الامتحان
أخرجته من البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان فلما أصبح وجّه إليه فأحضر وأحضر
جميع الندماء فدخل بهم إلى مجلس محفل قد أعدّ فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من
جميع النوار ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف
بركة ماء قد ألقي فيها اللآلئ مثل الحصباء وفي البركة حيّة تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق
قال له المنصور إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى بالضد عندنا لأنه قد زعم قوم
أن كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهّمت أنه حضر بين
يدي ملك قبلي شكله فصفه بجملته وعبّر بعض عن هذه القصة بقوله أمر في
طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان في البركة حيّة تسبح
وأحضر صاعدا فلما شاهد ذلك قال له المنصور إن هؤلاء يذكرون أن كل ما تأتي به
دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت أنه عمل لملك قبلك فإن وصفته بجميع ما فيه علمت صحة
ما تذكر فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهر كل غريبة * وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائع نور صاغها هامر الحيا * على حافتيها عبقرى زخارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ماتراه العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا انك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ماأنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديه المجاذف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * تنقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غروان ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لورمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أوبدهت بديهة * فكلنى له انى لجدلك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة فى ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الخنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب وفى ذلك يقول شاعرهم

لقد عقدت محبتها بقلبى * كما عقد الحليب الخنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمركل فى كلام العرب فقال يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف فى كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن ابى عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لانظيرله فى علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فأعجب المنصور منه وتوفى فاتن هذا سنة ٤٠٢ وبيعت فى تركته كتب مضبوطة جليلة مصححة وكان منقادا لمانزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان فى ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المحابيث ممن أخذ باوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليفا لرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبه على من أنكر فضائل الصقالبه وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ماجرى لصاعد انه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يد موصله

ياحرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذلل
ياسلك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

مكان رأت عينى وعلمك شاهد * جدوى علائك فى مهم مخول

فيه فى ترجمة النيلوفر أن المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذى هو أعظم ملوكهم فى ذلك الزمان ليطلع على أحوال المسلمين وقوتهم أمر المنصور أن يغرس فى بركة عظيمة ذات أميال نيلوفر ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذى فى البركة وأرسل الى الرومى فحضر عنده قبل الفجر بمجلسه السامى بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة أطباق ذهب وبيد خمسمائة أطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد حتى أشرقت الشمس فظهر النيلوفر من البركة وبادروا الاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب فى أطباق الفضة والفضة فى أطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدى المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصرانى من ذلك وأعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فانى رأيت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهذه القضية من الغرائب وانها لحيلة عجيبة فى اظهار عز الاسلام وأهله وكان المنصور بن أبى عامر آية الله سبحانه فى السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بنى مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم فى توريثه الملك بعده فى سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بنى أمية بالاندلس فى اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبر وانصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى جؤذر وفائق موته وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فائق قد قال له ان هذا الامر لنا الا بقتل جعفر المصحفى فقال له جؤذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفى فنعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما فى المغيرة فقال المصحفى وهل أنا الا تبع لكما وأنتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا فى تدبير ما عزما عليه وسرح المصحفى فجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر وفائق فى المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا فقالوا الرأى رأيك فبادر المصحفى بانفاذ محمد بن أبى عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه فجزع وعرفه جلوس ابنه هشام فى الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفى بحاله وما هو عليه من الاستجابة فأجابه المصحفى بالقبض عليه والاوجه غيره ليقتله فقتله خنقا فلما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفى أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء فى الفرش وكان ذلك من أول ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبى عامر فتى ماجد أخذ معه بطرف نقيض بالبذل جودا وبالاستبداد أثرة وتملك قلوب الرجال الى أن تحركت همته للمشاركة فى التدبير بحق الوزارة وقوى على

جيش الثغر وشرح ابن أبي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي ووصل ابن أبي عامر غانما فاغا غناوبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن أبي عامر ولا خبر عند المصحفي وملك ابن أبي عامر الباب بولايته للشرطة وأخذ عن المصحفي وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الاأقل وكان ذلك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة وتولى السياسة وانهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب فقطن المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه فكاتب غالبا يخطبه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تتم له وبلغ ابن أبي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة و يهيج حقوده وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبي عامر فانكحه البنت المذكورة وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبي عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلاشئ واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي ودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس في الاندلس وأيقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبي عامر في شئ من التدبير وابن أبي عامر يسايره ولا يظاهره وانقبض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبي عامر الى أن صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوقب المصحفي باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبي عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل الى أن سرق من رؤس المصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليتقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبق قبل عمه جعفر المصحفي فلما استقصى ابن أبي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من أعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنتين مرة يحتبس ومرة يترك ومرة يقرب للحضرة ومرة يبعد عنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفي ولم يبق فيه محتمل واعتقل في المطبق بالزهراء الى أن هلك وأخرج الى أهله ميتا وذكر أنه سم في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد جعفر بن عثمان الى أهله بأمر المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساء لبعض البوابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اقتلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجد المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما أحسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بأمره لتسليم جسد جعفر الى أهله وولده والحضور على ازالته في لحده فنظرته ولا أثر فيه وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتطع من جانب الدار وأنا أعتبر من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده

احراجها فاجتمع ابن أبي عامر بالخليفة هشام واعترف له بالفضل والغناء في حفظ قواعد الدولة فخرست ألسنة العبدا والحسدة وعلم المنصور ما في نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط فابرزه للناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق ما لا يحصى وكانت عليه الطويلة والقضيب في يده زى الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته وقد مرض المرض الذى مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير خشب ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال والعساكر تحف به وكان هجر الاطباء في تلك العلة لاختلافهم فيها وأيقن بالموت وكان يقول ان زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالا مني ولعله يعني من حضر معه تلك الغزاة والا فعساكر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل ذهنه بأمر قرطبة وهو في مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا بولده وكان يكرر وصاياه وكلما أراد أن ينصرف رده وعبد الملك يبكي وهو ينكر عليه بكاءه ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك الى قرطبة ومعه القاضي ابو ذكوان فدخلها أول شوال وسكن الارجاف بموت والده وعرف الخليفة كيف تركه ووجد المنصور خفة وأحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين الكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات لثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن في قصره بمدينة سالم واضطرب العسكر وتلوم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى قرطبة فيمن بقي معه ولبس فتيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشي والحبر والخز وقام ولده عبد الملك المظفر بالامر وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له السجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوّم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور على السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد في الاندلس ولنمسك عنان القلم في أمر ابن أبي عامر فقد قدمنا في محله جملة من أحواله وما ذكرناه هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولي التوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوي البغدادي حكي انه دخل على المنصور يوم عيد وعليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصحن فزلق فسقط في الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتي عليه فخلع عليه وأدنى مجلسه وقال له هل حضرك شيء فقال

شيآن كانا في الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيري فقال هلا قلت

سروري بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه
ثناني نشوان حتى غرقت في لجة البركة المطبقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق * فجودك من قبلها أغرقه

الفارسي وأبي بكر بن مالك القطيعي وأبي سليمان الخطابي وغيرهم قال الحميدي خرج من الاندلس في الفتنة فمات بناقريا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال في حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه ،وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور بن أبي عامر في حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد في الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له في بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزبيل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يامولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اي والله ببغداد في نسخة لابي بكر بن دريد بخطه ككراع النمل في جوانبها فقال له أما تستحي أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عاملي ببلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فجعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي) ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر في رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم منهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود ابن حوط الله الانصاري قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم ابن قرقول وولي ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسي النحوي وأبا زيد السهيلي صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسي المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبي تميم قال وأنشدني

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه
لا تقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وذكر انه أدرك الشيخ الولي العارف بالله سيدي أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه في الحال وتركته في سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولي الله السبتي قد ذكرت في غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع في الباب الثامن من ترجمة لسان الدين ابن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠ وقال لسان الدين في نفاضة الجراب كنت عن السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بباب ضريحه الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذي يكفي العرفي ويعرض المرضى ويقوت الرمني ويتعداهم الى أهل الجدة رعموا والغنى قرولية الله سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

يا ولي الاله أنت جواد * وقصدنا الى جنابك الفسيح
وأتانا الدهر بالخطوب خبيثا * ورجونا من علاك حسن الصنيع
قد دنانا الاله كشف ضرٍّ * عود الفرج شمل جميع
قد حللنا وسيلة ترتد الرا * كي وولي الى العلم السميع
كم غريب أسرى البلاد واقى * ربما عاجل وجبر سريع

يا ولي الله الذي جعل بابه سببا للعصا الملمات ورفع الازمات وتصريفه بالامداد الممات وصدق بقول الحكايات ظهور الآيات مدّ يد الله سبحانه في بركة رجلك واظهر على امر توسلي بك الى الله ولك حسن عملي وذريتي وبيت أهلي وبعدي على وسرقت وجور المكايد الى حتى أخرجت من وطني وبلدي ومالي وولدي وعمل جهادي وجهي الذي صار لي طوعا عن آبائي وأجدادي حتى به لم يحل عندها الدين ولا يبرح منه نسبي وأنا قد رغبت بك الله سبحانه سائلا فالتمس لي بقوله تبارك وردني الى وطني على أفضل حال واظهر على كرامتك الى بعد الهالة ورد الرسالة فقد جعلت توسلي الى رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك أيها الولي الكريم الذي يأمن به الخائف ويقصده الغريم ورحمه الله انتهى * (رجع) والسرخسي المذكور قال في حقه بعض الاعجة انه الشيخ الامام شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد ابن حمويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال المنذري في حقه ما صورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق أحد الفضلاء المبرزين المصنفين له كتاب في عدة مجلدات ذكر فيه اصول الاشياء وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القرآن وكان قد بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند ملكها المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن فأقام هناك الى سنة ستمائة وقدم مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا زاهدا حسن الاعتقاد قال أبو المظفر كان عنصره جالسي وأنشدني يوما

لم ألق مستكبرا الا تحول لي * عند اللقا له الكبر الذي فيه
ولا حلالي من الدنيا ولذتها * الا مقابلتي للتيه بالتيه

وقال السرخسي المذكور في رحلته اني وافيت خراسان الطيبة لكي ناني المدينة وان كانت الغربة من المشرق فان الدولة في المغرب فقد شاعت بذكر أخبار المراكب والاسفار ومشاهد الغرائب في النواحي والاقطار وذلك في حال زمان الشباب الذي يعضده عزام النفوس بنشاطها والجوارح بحصة حركاتها وانبساطها فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد ببركاته واغتنام الاسرى حلول ساحته ومزاراته ثم سرت منه الى الديار المصرية وهي آهلة كل ما تحصل به البلاد وترتضي به تمنى وصف الواصف لسوم ولا تنتهي ثم دخلت الغرب من الاسكندرية في البحر ودخلت بعده مراكش أيام السيد الامام أمير المؤمنين أبي

قوله الغريم في نسخة الظلم اه

يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فانتصلت بجده منه والذي علت من حاله انه كان يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الاحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما أدى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت أحوال سيرته وماجرى في أيام دولته في كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا يجمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وتهدده ملك الافرنج الفنش في كتابه فمزقه وقال لرسوله ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعني من كتابه الذي مزقه الجواب ماترى لاما تسمع

فلا كتب الا المشرفية والقنا　*　ولا رسل الا الخميس العرمرم

ومن شعره أبيات كتب بها الى المغرب وهي

ياأيها الراكب المزجي مطيته　*　على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمي على بعد الديار بها　*　بيني وبينكم الرحمن والرحم
ياقومنا لاتنشوا الحرب ان خمدت　*　واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم　*　من القرون فبادت دونها الامم
حاشى الاعارب أن ترضى بمنقصة　*　ياليت شعري هل ترآهم علموا
يقودهم أرمني لاخلاق له　*　كأنه بينهم من جهلهم علم

يعني بالارمني قرقوش مملوك بني أيوب الذي كان ذهب الى بلاد المغرب الادنى وأوقد النار الحربية من طرابلس الى تونس مع ابن غانية اللمتوني وحديثه مشهور وتمام الابيات

الله يعلم أني مادعوتكم　*　دعاء ذي قوة يوما لينتقم
ولا لحاجة لامر يستعان به　*　من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لاجل رسول الله عن نسب　*　ينمى اليه وترعى تلكم الذمم
فان أتيتم فحبل الوصل متصل　*　وان أبيتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسي وبلغني أن قوما من العرباء قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منها أسد وغراب أما الاسد فقصده من دون أهل المجلس وربض بين يديه ورعا أوما بالسجود ومد ذراعيه وأما الغراب فكان يقول النصر والتمكين لسيدنا أمير المؤمنين وفي ذلك يقول بعض الشعراء

أنس الشبل ابتهاجا بالاسد　*　ورأى شبه أبيه فقصد
أنطق الخالق مخلوقاته　*　شهدوا والكل بالحق شهد
الملك الخيرة من صفوته　*　بعدما طال على الناس الامد

فاعطاهم وكساهم وأحسن حباهم وبلغني أن قوما أتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لانريد أن نكون أصحاب الفيل وقال لي يوما كيف ترى

وأمدك الرحمن بالفتح الذى * ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته * نفسا تفديها الخلائق أجمع
ومضيت فى نصر الاله مصمما * بعزيمة كالسيف بل هى أقطع
فقدحيشك والصوارم تنتضى * والخيل تجرى والاسنة تلمع
من كل من تقوى الاله سلاحه * ماان له غير التوكل مدرع
لايسلمون الى النوازل جارهم * يوما اذا أضحى الجوار يضيع

ومنها يصف انهزام العدو

ان ظن أن فراره منج له * فيجهله قد ظن مالاينفع
أين المفر ولا فرار لهارب * والارض تنشر فى يديك وتجمع
أخليفة الله الرضا هيبته * فتح يمدعاسواه ويشفع
فالقد كسوت الدين عزاشامخا * وألبست منه أنت مالايخلع
هيهات سر الله أودع فيكم * والله يعطى من يشاء ويمنع
لكم الهدى لايدعيه سواكم * ومن ادعاه يقول مالايسمع
ان قيل من خير الخلائق كلها * فاليك يايعقوب تومى الاصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما * أنت المقدم والخلائق تتبع
خذها أمير المؤمنين مديحة * من قلب صدق لم يشنه تصنع
واسلم أمير المؤمنين لامة * أنت الملاذ لها وأنت المفزع
فالمدح منى فى علاك طبيعة * والمدح من غيرى اليك تطبع
وعليك ياعلم الهداة تحية * يصفى الزمان وعرفها يتضوع

قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى دخلت الى السيد أبى الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفارين سجلماسة وغانة وهو ينكت الارض بقضيب من الابنوس ويقول

ولاغروان كانت رؤس عداته * جوابا اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمائة رحمه الله تعالى انتهى وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفدعلى حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز من بلاد المشرق ونزلوا بقرتاسقت ظاهر مراكش واستأذنوا فى وقت الدخول فكتب الى المنصور

ياكعبة الجود التى حجت لها * عرب الشآم وغرها والديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا * ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب أن يمور بنظرة * من بالشآم ومن بمكة يحرم

فعفا عنه وأحسن اليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم وقال فى المغرب فى حق السيد أبى الربيع المذكور ماملخصه لم يكن فى بنى عبد المؤمن مثله فى هذا الشأن الذى نحن بصدده وكان تقدم على مملكتى سجلماسة وبجاية وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا وشعره مدون وله ألغاز وهو القائل فى جارية اسمها الوف

قوله بقرتاسقت فى نسخة بقرتاسفت اه

فاس وله من أبيات في العمر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من تخشى الليالي انتقامهم * وترجو نداهم غاديات المصائب
يخطون بالخطي في حومة الوغى * سطور المنايا في نحور المقانب
كتابا بأطراف العوالي ونقسه * دم القلب مشكولا بنضح الترائب
وما كنت أدري قبلهم أن معشرا * أقاموا كتابا من نفوس الكتائب

وأنشدني المتقدم الامير أبو زيد بن بكيت قال أنشدني بعض السادة من بني عبد المؤمن

فديت من أصبحت في أسره * وليس لي من حكمه فادي
ان حل يوما واديا كان لي * جنة عدن ذلك الوادي

ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم في هذه الرحلة ومن نظم السرخسي المذكور قوله رحمه الله تعالى

ياساهر المقلة لا عن كرى * غفلت عن همي وأوصابي
لولم يكن وجهك لي قبلة * ما أصبح الحاجب محرابي

ثم ترجمة ابن حموية

وكان متفننا في العلوم وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الذيل في التاريخ وله أمالي وتجاريخ وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق ودفن في مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالي الهمة شريف النفس قليل الطمع لا يلتفت الى أحد رغبة في دنياه لا من أهله ولا من غيرهم وذكره صاحب المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس ظفر البغدادي سكن قرطبة وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلي ويوسف البلوطي وطبقتهما واستخدمه الحكم المستنصر بالله في الوراقة لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها وقد أشار ابن حيان في كتاب المقتبس الى ظفر هذا رحمه الله تعالى *(ومنهم الرازي وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرازي والد أبي بكر محمد صاحب التاريخ غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بني مروان تاجرا وكان مع ذلك متفننا في العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الامير المنذر بن محمد بالبيرة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ذكره ابن حيان في المقتبس *(ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد ابن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان التميمي الدارمي البغدادي سمع من أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي رضي الله تعالى عنه الى صاحب افريقية المعز ابن باديس واجتمع مع أبي العلاء المعري بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال له الله أنت من ناظم وخرج من افريقية من أجل فتنة العرب وخيم عند المأمون بن ذي النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة ومن فرائد شعره قوله

يا ليل ألا انجليت عن فلق * طلت ولا صبر لي على الارق
جفت لحاظي التغميض فلا تطبق أجفانها على الحدق

كأني صورة ممثلة • ناظرها الدهر غير منطق

وقال

ورب ورد ناضر ناظري • في وجنة كالقمر الطالع

أمنع أن أقطف أزهاره • في سنة المنوع والمانع

لم يستبح سنى قطفها • والشرع أن الزرع للزارع

ابن كثيره في سمعه وأبي أم

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كثير وبعضهم ينسبها للقاضي عبد الوهاب المالكي وقد أجاب عنها بعض المغاربة بقوله

سلمت أن الحكم ما قلتم • وهو الذي نص عن الشارع

لكن من سنى سنه قطفه • وعبرها المدعو بالزارع

وقد سبق شيخ شيوخنا الامام الحافظ أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني بقوله

في ذا الذي قد قلتم مذهب • أدى به إيهام على السامع

سلم الحكم له مطلقا • وغير ذا النص عن الشارع

يعني أنه يلزم على قول الحنفي أن يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه وأجاب بعض الحنفية بقوله

لأن أهل السنة في حكمها • عندهم في رعيها الواسع

والخد لا يملكه عبدنا • فدينه للسيد المانع

وهو جواب حسن لا بأس به وقرأت بخط بعض المغاربة على غير وجه وهو

قل لأبي الفضل الوزير الذي • ناهيه معرضا السري

غرست ظلما وارد الحق • وما لعرق ظالم حق

فليس هذا يعني أن الأبيات لأبي الفضل الدارمي المذكور في الذخيرة لا للقاضي عبد الوهاب والله تعالى أعلم ومن شعر الوزير المذكور قوله

من كرم منزل واسع • والود حال شرف الساطع

والبيت إن ضاق عن عامه • متسع بالوداد للتاسع

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وعشر وثلثمائة وهو بيت علم وأدب قال الحميدي أخبرني بذلك أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي وتوفي ببغداد سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقال ابن حيان توفي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة في كنف المأمون يحيى بن ذي النون وذكر أنه كان يتهم بالكذب فالله تعالى أعلم بحقيقة الأمر وقال ابن طاهر في كتابه بدائع البدائه فاتفق حضور أبي الفضل الدارمي البغدادي مجلس المأمون بن ذي النون والمجلس شاع ونسيم ندب بسبب عذار قد دب وعرف الراح ابن تقلب في الدنان فقل عنه فأمر المأمون بقتله فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه • خدا له بدم القلوب مضرجا

لما تيقن أن سيف جفونه • من نرجس جعل العذار بنفسجا

وقوله في جارية تبصرت بالند
ومخطوطة المتنين مهضومة الحشى * منعمة الارداف تدمى من اللمس
اذا مادخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس
وقوله
ولاغرو ان تهجوني في حبه * غرزا يطيل مع المطوب خطابي
ولئن تعززان عندى ذلة * تستعطف الاعداء للاحباب
وقوله
دعتني عيناك نحو الصبا * دعاء يكرر في كل ساعه
ولولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه
وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب في خطبة تأليفه المسمى بروضة التعريف بالحب الشريف وقال أبو الفضل الدارمي المذكور أيضا
سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا * من جوره فرقا من شدة الفرق
فسرت شرقا وأشواق مغربة * يابعد مانزحت عن طارقهم طرقي
لولا تدارك دمعي يوم كاظمة * لاحرق الركب ماأبديت من حرق
ياسارق القلب جهرا غير مكترث * أمنت في الحب أن تعدى على السرق
ارمق بعين الرضا تنعش بعاطفة * قبل المنية ماأبقيت من رمق
لم يبق مني سوى لفظ يبوح بما * ألقى فياعجبا للفظ كيف بقي
صلني اذا شئت أرفاهجر علانية * فكل ذلك محمول على الحدق
وقال
تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا * وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا
ونمة أنفاس الخزامى عشية * فهاجت الى الوجد القديم به وجدا
فأظهر سلوانا وأضمر لوعة * اذا طفئت نيرانها أوقدت وقدا
ولوأنه أعطى الصبابة حكمها * لابدى الذى أخفى وأخفى الذى أبدى
وقال أيضا
قلت للسـاقي على الخدين من ورد خمارا
أسيل الصدغ على خدك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى * قهر الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا
وكمت فيه عيون * فأثارته غبارا
وقال
وكاتب أهديت نفسي له * فهي من السوء فدى نفسه
فلست أدرى بعدما حل بي * عسكه أتلف أم نقسه
سلط خديه على مهجتي * فاستأصلتها وهي من غرسه

قوله بعاطفة في نسخة بعافية اه

رعى الله دهرا قد نعمنا بطيبه * لياليه من شمس الكؤس أصائل
وزجينا دراً على التبر جامد * وخمرتنا تبر على الدر سائل

فقد ترجمته في الذخيرة فليراجع فان الذخيرة غريبة في البلاد المشرقية وقد كان عندى بالمغرب من هذا النوع ما استعين به خلفته هنالك والله تعالى يلم الشمل وقد ذكر فيها انه مغربي سافر الى مصر فقيل له المصرى لذلك فليعلم والله تعالى أعلم * (ومن الوافدين على الاندلس أشهب بن العضد الخراسانى قال ابن سعيد أنشدنا لما وفد على ابن هود في اشبيلية قصيدة ابن البيه (طاب الصبوح لنا فهل من تدهات) وادعاها وفيها

في روضة غنا تخال طيورها * وغصونها همزا على ألفات

ولم أجد هذا البيت في قصيدة ابن البيه انتهى * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق أبو الحسن البغدادي الفكيك وهو مذكور في الذخيرة وكان حلو الجواب مليح التندير يضحك من حضر ولا يضحك هو اذا ندر وكان قصيرا دميما قال ورأيته يوما وقد لبس ثوبا أحمر على بياض وفي رأسه طرطور أخضر عم عليه عمة لازوردية وهو بين يدى المعتمد بن عباد ينشد شعرا قال فيه

وأنت سليمان في ملكه * وبين يديك أنا الهدهد

وأنشد له في المعتمد

أبا القاسم الملك المعاظم قدره * سواك من الاملاك ليس يعظم
لقد أصبحت حمص بعدلك جنة * وقد أبعدت عن ساكنيها جهنم
ولي في حيال الربيع واننى * أزخرف أعلام الثناء وأرقم
وأنفقت ما أعطيتنى ثقة بما * أؤمل فالدينار عندى درهم
وقلبي الى بغداد يصبو واننى * لنشر صباها دائما أتنسم

وقال

ورتى على ربع العقيق دموعه * عقيقا فمنها توأم وفريد
شهدت وما تغنى شهادة عاشق * بأن قتيل الغانيات شهيد

ومنها

اذا قابلوه قبلوا ترب أرضه * وهم لعلاه ركع وسجود
وقد هزمته الله للملك صارما * تقام بحدى شفرتيه حدود

وقال

لا يسأل حال عن سنة الكرى * ولم أصغ يوما في هواه الى العذل

ومنها

كأن بقاء الطل فوق جفونها * دموع التصابي حرن في الاعين النجل

ومنها

تملكت رقي بالعوارف منعما * وأغنيتني بالجود عن كل ذي فضل
وأنسيتني أرض العراق ودجلة * وربعي حتى ما أحن الى أهلي

وقال في المقتدر بن هود

لعمرك ذلك ملوك البشر • وعمرت بحامهم في العصر

وأصبحت أخبارهم بالثنا • وأركبهم طلوا الخطر

سهرت وما راعني المآربات • فحالهم في المعالي أثر

وملت في حسب فضل الملوك • فكل بذيل العلا قد عثر

ومنها

فأنتم ملوك إذا ساجروا • أظلهم من فخامهم خفر

وقال فيه يمدحه

غيث سماحك في أرجا قرطبة • صوب إذا العدا والمحل معتكر

حسب الدما مدام والصارم زهر • وإن هم صرعى بكاس الحمد قد سكروا

وكان سيء ورام الهجا وله في سعد وقد كانت في عينه عقد

بلغ الإمامة من في حلقومه • لا يرتقي صعدا ولا يتنزل

وقال في ناصر الدولة بن حمدان

ولئن غلطت بأن مدحتك طالبا • جدوى السماح على مؤمل باخل

فالدولة الغراء قد غلطت بأن • نعتتك ناصرها وأنت الخاذل

إن لم أكن لمديح ذلك أصبت • مثلا فالأمثال بي باطل

وكتب إليه وقد مطل لعذر

ووعدتني وعدا حسبتك صادقا • فخرجت من طمعي أجيء وأذهب

فإذا جلست أنا وأنت بمجلس • قالوا مسيلمة وهذا أشعب

•(ومنهم إبراهيم بن سليمان الشامي) دخل الأندلس من المشرق في أخريات أيام الحكم شاديا بالشعر وهو من موالي بني أمية ولم ينفق على الحكم وتعرض في أيام ولده الأمير عبد الرحمن فنفق عليه ووصله ثم في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن وكان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كأبي نواس وأبي العتاهية ، ومن شعره ما كتب به إلى الأمير عبد الرحمن

يا من تعالى عن أمثاله في الذرى • فبدا فأصبح عالي الأركان

إن الغمام غياثه في وقته • وأنا سقى من كفك كل أوان

فاسلم فنعم البلاد وأهلها • وطعمت بنعمهم فضل لساني

وله في الأمير عبد الرحمن بن الحكم

ومن عبد شمس بالمغارب عصبة • فأسعدها الرحمن حتى أجلها

دعائمها بدا بن الغر آبا • ومد بناء شادوها فأطالها

•(ومنهم أبو بكر بن الأزرق وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزيد وهو الداخل بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن أهل مصر خرج من مصر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وصار إلى القيروان وامتحن بها مع الشيعة وأقام بها سنين بالمهدية ثم أطلق ووصل الأندلس سنة تسع وأربعين فأحسن إليه المستنصر

بالله الحكم وكان أديبا حكيما سمع من خاله أبي بكر أحمد بن مسعود الزهري وولد سنة
تسع عشرة وثلثمائة بمصر وتوفي بقرطبة في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة رحمه
الله تعالى * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن علي
ابن نافع الملقب بزرياب مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي قال في المقتبس زرياب لقب
غلب عليه ببلده من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله شبه بطائر أسود
غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا وكان اسمه أحمد قد غلب عليه الشعر أيضا وكان
من خبره في الوصول الى الاندلس انه كان تلميذا لاسحق الموصلي ببغداد فتلقف من
أغانيه استراقا وهدي من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى
ما فاق به اسحق واسحق لا يشعر عافتح عليه الى أن جرى للرشيد مع اسحق خبره المشهور
في الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال انه
مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذا أنا وقفته على
ما استغربه منها وهو من اختراعي واستنباط فكري وأحدس أن يكون له شأن فقال
الرشيد هذا طلبتي فاحضرنيه لعل حاجتي عنده فأحضره فلما كلمه الرشيد أعرب عن
نفسه بأحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال نعم أحسن منه ما يحسنه
الناس وأكثر ما أحسنه لا يحسنونه مما لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان أذنت
غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك فأمر باحضار عود استاذه اسحق فلما أدني اليه وقف عن تناوله
وقال لي عود نحته بيدي وأرهفته باحكامي لا أرتضي غيره وهو بالباب فليأذن لي أمير
المؤمنين في استدعائه فأمر بادخاله اليه فلما تأمله الرشيد وكان شبيها بالعود الذي دفعه قال له
ما منعك أن تستعمل عود أستاذك فقال ان كان مولاي يرغب في غناء أستاذي غنيته
بعوده وان كان يرغب في غنائي فلا بد لي من عودي فقال له ما أراهما الا واحدا فقال
صدقت يا مولاي ولا يؤدي النظر غير ذلك ولكن عودي وان كان في قدر جسم عوده
ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه في الثلث أو نحوه وأوتاري من حرير لم يغزل بماء سخن
يكسبها أناثة ورخاوة وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل أسد فلهما في الترنم والصفاء
والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرهما من مصران سائر الحيوان ولهما من قوة الصبر على
تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها فاستبرع الرشيد وصفه وأمره بالغناء فجس
ثم اندفع فغناه

يا أيها الملك الميمون طائره * هرون راح اليك الناس وابتكروا

فأتم النوبة وطار الرشيد طربا وقال لاسحق والله لولا أني أعلم من صدقك لي على كتمانه
اياك لما عنده وتصديقه لك من انك لم تسمعه قبل لأنزلت بك العقوبة لتركك اعلامي
بشأنه خذه اليك واعتن بشأنه حتى أفرغ له فان لي فيه نظرا فسقط في يد اسحق وهاج به
من داء الحسد ما غلب على صبره فخلا بزرياب وقال يا علي ان الحسد أقدم الادواء
وأدواها والدنيا فتانة والشركة في الصناعة عداوة ولا حيلة في حسمها وقد مكرت بي فيما
انطويت عليه من اجادتك وعلو طبقتك وقصدت منفعتك فاذا أنا قد أتيت نفسي من مأمنها

وسير الملوك ونوادر العلماء فحرك منه بحراً زخر عليه مده فأعجب الأمير به وراقه ما أورده
وحضر وقت الطعام فشرفه بالأكل معه هو وأكابر ولده ثم أمر كاتبه بأن يعقد له صكا بما
ذكرناه آنفاً ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه فتح له باباً خاصاً يستدعيه منه متى أراده وذكر
أن زرياباً ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة إلى صوت واحد فكان يهب من
نومه سريعاً فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة فيأخذان عوديهما ويأخذ هو عوده
فيطارحهما ليلته ثم يكتب الشعر ثم يعود جذلاً إلى مضجعه وكذلك يحكى عن إبراهيم
الموصلي في لحنه البديع المعروف بالماخوري أن الجن طارحته إياه والله تعالى أعلم
بحقيقة ذلك وزاد زرياب بالأندلس في أوتار عوده وتراً خامساً اختراعاً منه إذ لم يزل العود
ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربع فزاد عليها وتراً خامساً
أحمر متوسطاً فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة وذلك أن الزير صبغ أصفر
اللون وجعل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد وصبغ الوتر الثاني بعده أحمر وهو من
العود مكان الدم من الجسد وهو في الغلظ ضعف الزير ولذلك سمي مثنى وصبغ الوتر الرابع
أسود وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمي البم وهو أعلى أوتار العود وهو
ضعف المثلث الذي عطل من الصبغ وترك أبيض اللون وهو من العود بمنزلة البلغم من
الجسد وجعل ضعف المثنى في الغلظ ولذلك سمي المثلث وهذه الأربعة من الأوتار مقابلة
للطبائع الأربع تقتضي طبائعها الاعتدال فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب
وعليه تسويته والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب قوبل كل طبع بضده حتى
اعتدل واستوى كاستواء الجسم بأخلاطه إلا أنه عطل من النفس والنفس مقرونة
بالدم فأضاف زرياب من أجل ذلك إلى الوتر الأوسط الدموي هذا الوتر الخامس الأحمر
الذي اخترعه بالأندلس ووضعه تحت المثلث وفوق المثنى فكمل في عوده قوى الطبائع
الأربع وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد وهو الذي اخترع بالأندلس مضراب
العود من قوادم النسر معتاضاً به من مرهف الخشب فأبرع في ذلك للطف قشر الريشة
ونقائه وخفته على الأصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه وكان زرياب عالماً
بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف
بلادها وسكانها مع ما سنح له من ملك كتاب الموسيقى مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة
من الأغاني بألحانها وهذا العدد من الألحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم
ومؤلفها وكان زرياب قد جمع إلى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظرف
وفنون الأدب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة
الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة
فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار إلى آخر أيام أهل الأندلس منسوباً
إليه معلوماً به فمن ذلك أنه دخل إلى الأندلس وجميع من فيها من رجل أو امرأة يرسل
جمته مفروقاً وسط الجبين عاماً للصدغين والحاجبين فلما رأى ذوو التحصيل تحذيقه هو
وولده ونساؤه شعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها

الى آذانهم وإسدالها الى أصداغهم حسبما عليه اليوم الخدم الخصية والجواري فوجدوه
أخف لهم وأحسن وعلمهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح
الصنان من مغابنهم ولا شيء يقوم مقامه وكانت ملوك الاندلس تسعى له بذرور الورد
وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات العصص والبرد فكانوا لا يسلم ثيابهم من وسخ
يدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها فلما جربوه أحمدوه جدا وهو أول من اتخذ له
المصمت لباسهم الاسمراح ولم يكن أهل الاندلس يعرفونه وهو أيضا
من الطبخ اللون المسمى عندهم بالتفايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق
والكباب وتلته عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب وهو الذي أخذ عنه الناس بالاندلس
تفضيل آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وإيثار فرش أنطاع الادم اللينة
الناعمة على ملاحف الكتان وإيثار سفر الادم لتقديم الطعام فيها على
الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الادم بأقل مسحة وله في كل صنف من الثياب
في زمانه الذي يليق به فانه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم
الملون في يوم مهرجان أهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيه
الشمسي من شهورهم الرومية فيلبسونه الى أول شهر اكتوبر الشمسي منها لانه أشهر
موالد ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي بين الحر
والبرد المسمى عندهم الربيع من صنعهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التي لا بطائن
لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون اليها وشبهها بالمحشي في ثياب
العامة وكذا رأى أن يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف المحاشي المروية والثياب
المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة وذلك
عند قرص البرد في الخريف الى أن يقوى البرد فينتقلوا الى أثخن منها من الملونات
ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء واستمر بالاندلس أن كل من افتتح
الغناء يبتدئ بالنشيد أول شدوه بأي نقر كان ويأتي اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج
تبعا لمراسم زرياب وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ أمره بالقعود على الوساد
المدور المعروف بالمسور وأن يشد صوته جملة اذا كان قوي الصوت فان كان لينه أمره
أن يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوي الصوت ولا يجد متسعا في الجوف عند الخروج
على الفم فان كان ألص الاضراس لا يقدر على أن يفتح فاه أو كانت عادته زم أسنانه عند
النطق راضه بأن يدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها في فمه ليالي حتى
ينفرج فكاه وكان اذا أراد أن يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره
أن يصيح بأقوى صوته يا حجام أو يصيح آه ويمد بها صوته فان سمع صوته بهما صافيا نديا قويا
مؤديا لا تعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف أن سوف ينجب وأشار بتعليمه وان
وجد خلاف ذلك أبعده وكان له من الذكور من الولد ثمانية عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى
وجعفر ومحمد وقاسم وأحمد وحسن ومن الاناث بنتان علية وحمدونة
وكلهم غنى ومارس الصناعة واستفاد منهم الطبقة فكان أعلاهم عبيد الله وتلوه

عبد الرحمن لكنه ابتلى من فرط التيه وشدة الزهو وكثرة العجب بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبه فيه وقلما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه ولا يزال يجترى على الملوك ويستخف بالعظماء ولقد حمله سخفه على أن حضر يوما مجلس بعض الاكابر الاعاظم فى أنس قد طاب به سروره وكان صاحب قصر تغلب عليه لذته فاستدعى بازيا كان كلفا به كثيرا التذكره فجعل يمسح أعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لنشاطه فسأله عبد الرحمن أن يهبه له فاستحيا من رده وأعطاه اياه مع ضنه به فدفعه عبد الرحمن الى غلامه ليحمله الى منزله وأسر اليه فيه بسر لم يطلع عليه فمضى لشأنه ولم يلبث أن جاء بطيفورية مغطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضة فاذا به لون مصوص قد اتخذ من البازى فعدل بجميع ما بيده لاهله وذهب الى الانتقال اليه فى شرابه وقال لصاحب المجلس شاركنى فى نقلى هذا فانه شريف بديع الصنعة فلما رآه الرجل أنكر صنعته وعاب لحمه وسأله عنه فقال هو البازى الذى كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه قد صيرته الى ما ترى فغضب صاحب المنزل حتى ربا فى أثوابه وفارقه حلمه وقال له قد كان والله أيها الكلب السفيه على ما قدرته وما اقتديت فيه الا بكبار الناس المؤثرين لمثله وما أسمعتك به الاستعظام من قدرك ما صغرت من قدرى وأظهرت من هوان المنة عليك باستحلالك لضياع الطير المهدى عنها ولا أدع والله الآن تأديبك اذ أهملك أبوك معلم الناس المروءة ودعا له بالسوط وأمر بنزع قلنسوته وساط هامته مائة سوط فاستحسن جميع الناس فعله به وأبدوا الشماتة به وكان مجهوما مؤنبا وكان قاسمهم أحذقهم غناء مع تجويده وتزوج الوزير هشام بن عبد العزيز حمدونة وذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الاندلس من المغنين علون وزرقون دخلا فى أيام الحكم بن هشام فتقدما عليه وكانا محسنين لكن غناءهما ذهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم الامير عبد الرحمن ونديمه فى زرياب

يا على بن نافع يا على * أنت أنت المهذب اللوذعى
أنت فى الاصل حين يسأل عنه * هاشمى وفى الهوى عبشمى

قال ابن سعيد وأنشد لزرياب والدى فى مجمع

علقتها ريحانة * هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله أيام لنا * سلفت على دير المطيره
لاعيب فيها للمتيم غير أن كانت يسيره

انتهى

وكان لزرياب جارية اسمها منفعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وكانت رائعة الجمال وتصرفت بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لاعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة فأبى الا التستر فغنته بهذه الابيات وهى لها فى طى بعض المعاطف

قوله منفعة فى نسخة متعة اه

يا من يغطى هواه * من ذا يغطى النهارا

غنى رباب بقوله

ولو لم يشقنى الظاعنون لشاقنى * حمام تداعت فى الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح ماتجرى لهن دموع

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال

شددت بمحمود يدا حين خانها * زمان لاسباب الرجاء قطوع
بنى لمساعى الجود والمجد قبلة * اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود سوادا فقال له يا ابا القاسم أعرما يحصر فى من مالى القبة يعنى قبة قامت عليه بخمسمائة دينار وهى لك عام امع كسوتى هذه وتكون فى ضيافتك بقية يومنا ودعا بكسوة فلبسها ودفع اليه الكسوة * (ومن الوافدين من المشرق الامير شعبان ابن كوحيا من غز الموصل وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين ورفع له أمدا جليلا وقدمه على امارة مدينة بسطة من الاندلس قال أبو عمران بن سعيد أنشدنى لنفسه

يقولون ان العدل فى الناس ظاهر * ولم أر شيأ منه سرا ولا جهرا
ولكن رأيت الناس غالب أمرهم * اذا ماجنى زيد أقادوا به عمرا
والا فبال الطاس تكلما * شكون له بين يدى قصد اليسرى

*(ومن الوافدين من المشرق على الاندلس أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيبانى من أهل بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضى وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقى الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقى من الشعراء أباتمام والبحترى ودعبلا وابن الجهم ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب وأحمد بن أبى طاهر وغيرهم وهو الذى أدخل افريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم وكان عالما أديبا ومترسلا بليغا شاعرا بارعا فى كل علم وأدب سمع وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكى انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد ماز ال يبريه حتى قصر فأدخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى بتمام الكتاب وله تاليف منها لقط المرجان وهو أكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى فى القرآن ومشكله واعرابه ومعانيه والمرصعة والمدبجة وجال فى البلاد شرقا وغربا من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك فى أشعاره وكان أديب الاخلاق نزيه النفس كتب لامير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ثم لابنه أبى العباس عبد الله وكان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفى بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومائتين فى أول ولاية عبيد الله الشيعى وهو ابن خمس وسبعين سنة ومن لم يذكره المؤرخ الاديب أبو اسحق ابراهيم ابن القاسم المعروف بالرقيق وقال على بن سعيد فى حقه انه كان أديبا شاعرا مترسلا حسن التأليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار فى كتابه افادة الوفادة وحكى ان له مسندا فى الحديث وكتابا فى القرآن سماه سراج الهدى والرسالة الوحيدة والمؤنسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبنى

دحية لم يعقب فلم تعتزي * اليه بالبهتان والافك
ما صح عند الناس شيء سوى * انك من كلب بلا شك

هكذا ذكره ابن النجار وأطال في الوقيعة في أبي الخطاب بن دحية وقال الذهبي قرأت بخط الضياء عند ماذكر ابن دحية انه قال لقيته بأصبهان ولم أسمع منه شيأ وأخبرني ابراهيم السنهوري بأصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه كتبوا له جرحه وتضعيفه وقد رأيت أنا منه غير شيء مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعله شيخها وقد سمع منه الامام أبو عمرو بن الصلاح الموطأ سنة نيف وستمائة وأخبره به عن جماعة منهم أبو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان أبو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة في النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق شيأ على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام قد ضاع مني ذلك الكتاب فعلق لي مثله ففعل فجاء في الثاني مناقضة للاول فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده وعزله عن دار الحديث أخيرا وولى أخاه أبا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان أبو الخطاب موصوفا بالمعرفة والفضل ولم أره الا أنه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها ذكر لي أبو القاسم ابن عبد السلام وكان ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فقال انى أحفظ صحيح مسلم والترمذي فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات فجعلتها في جزء ثم عرضت عليه حديثا من الترمذي فقال ليس بصحيح وآخر فقال لا أعرفه ولم يعرف منها شيأ فأفسد نفسه بذلك وقال سبط ابن الجوزي انه كان يتزيد في كلامه ويثلب المسلمين ويقع فيهم فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له شأنه أخذ منه دار الحديث وأهانه وقال العماد بن كثير قد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده ليعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن صلاة المغرب لا تقصر واتفق أنه وصل في جمادى الاولى سنة ٦٠١ الى غزة فخرج كل من في غزة بالاسلحة والعصي والحجارة الى الموضع الذي هو فيه وضربوه ضربا شديدا بعد أن اهرم من كان معه انتهى وقد مطل ترجمته بتوثيق جماعة له وربك أعلم بحاله *(ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم القاري الخراساني رحل من خراسان الى الاندلس يكنى أبا محمد ذكره أبو عمرو المقري وقال سمعته يقرأ روايات كثيرة وكان من أحسن الناس صوتا ولم تكن له معرفة بالقراءة ولا دراية بالاداء انتهى *(ومنهم عبد الرحمن بن داود بن علي الواعظ من أهل مصر يعرف بالبرزاري يكنى أبا البركات وأبا القاسم ويلقب زكي الدين قدم على الاندلس وتجول في بلادها واعظا ومذكرا وسمع منه الناس بقرطبة واشبيلية وهي سنة وبلنسية سنة ٦٠٨ قال ابن الابار وسمعت وعظه اذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية وادعى الرواية عن أبي الوقت السجزي والسلفي وأبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي وأبي محمد بن المبارك بن الطباخ وأبي المفضل محمد بن يوسف الغزنوي وشهدة الكاتبة بنت

الأثري وزعم أنه قرأ لهما صحيح البخاري وسماعه بالمشرق والأندلس لم يثبته أهله ولم يسمع منهم ووقع ما حدث بواسطة عن بعضهم وأكثرهم يقولون وقف على ذلك في فهرسته ورواته فزهد أكثر السامعين منه واطرحوا الرواية عنه ومنهم أبو العباس النباتي وأبو عبد الله بن أبي البقاء ووضع أربعين حديثا سلسلة سماها اللآلي المفصلة حدث بها عن ابن بشكوال وابن غالب الشراط وغيرهما من الأندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوا له أحدهما * عفان الطلبان وعنبر وكان جدهما على مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه فقيها مباركا ذا حظ في العلم نفع الله تعالى به انتهى * (ولا بأس أن نذكر جملة من النساء الوافدات من المشرق على الأندلس ثم نعود إلى ذكر أعلام الرجال فنقول) * (من النساء الداخلات الأندلس من المشرق عابد المدنية أم ولد حبيب بن الوليد المرواني المعروف بدحون وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون عالمة روت عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ إنها روت عشرة آلاف حديث وقال ابن الأبار إنها أسندت حديثا كثيرا وهي أم ولد بشر بن حبيب والذي وهبها لحبيب في رحلته إلى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ابن مروان فقدم بها الأندلس وقد أعجب بعقلها وفهمها واتخذها للفراش رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهن فضل المدنية وكانت شادية بالغنا كاملة الخصال وأصلها لابنة هارون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك إلى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت بها ظرفا في الغناء واشتريت هنالك للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبتيها علم المدنية وصواحب غيرها اللاتي بيت دار المدنيات بالقصر وكان دورهن لخود عاشقين وصناعة طرزهن ورق أدمهن وبيضات البشر جارية ملوحي بالمنصل وعلم في الخلق عند الأمير المذكور وكانت أندلسية الأصل رومية من سبي البشكنس وحملت صغيرة إلى المشرق فوقعت عند بيت النبي صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء بجودته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للأخبار عالمة بضروب الآداب * (ومن النساء الداخلات إلى الأندلس من المشرق جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب إشبيلية وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصنوع الألحان وجلبت إليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بعقل أدبها ولها في مولاها تمدحه

ما في المغارب من كريم يرتجى * إلا حليف الجود إبراهيم
إني حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ما عداه ذميم

وأنشدها التالي لما ذكرها عند أشعارها وإنها تشتري إلى بغداد

آمالي ببغدادها وعراقها * وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كأنما * خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسي الفداء لها فأي محاسن * في الدهر تشرق من سنا إشراقها

*(ومنهن الجارية العجفاء) قال الارقي قال لي أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك في أحسن الناس غناء فجئنا الى دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة فأذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها وطوله في السماء ستة عشر ذراعا وفي البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحمة وبقي السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفككا من قدمهما ثم اطلعت علينا عجفاء كلماء عليها هروي أصفر غسيل وكأن وركيها في خيط من وسخها فقلت لابي السائب بأبي أنت ماهذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذي شغف الفؤاد بكم * تفريج ما ألقى من الهم
فاستيقني ان قد كلفت بكم * ثم افعلي ما شئت عن علم
قد كان صرم في الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فحسنت في عيني وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

برح الخفاء فأي ما بك تكتم * ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
مما تضمن من عزيز قلبه * يا قلب انك بالحسان لمغرم
ياليت انك يا حسام بأرضنا * تلقي المراسي طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * ونكون اخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فأعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكني فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين وردت العجفاء في عيني كأربوا السوق عباء منزينة ثم غنت

يا طول ليلي أعالج السقما * أدخل كل الاحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فألقيت طيلساني وأخذت شاذكونة فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة في البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان الشيخ قرانيني يعني قواريري فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبي السائب وصدره وقال للعجفاء لقد هجت لي داء قديما ثم وضع الربعة وكانت تلك الهياج حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له العجفاء وحملت اليه *(ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر بن محمد ابن عبد الرحمن الموصلي) قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى *(ومنهم أحمد بن الحسين بن الحرث بن عمرو بن جرير بن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث الهمداني) يكنى أبا جعفر دخل الاندلس في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروي أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازي وحكى أن الامير محمدا روى عنه منها وأرله رتبة *(ومنهم أحمد بن ابي عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشي الزهري) من ولد عبد الرحمن بن عوف من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها في محرم سنة ٣٤٣

فأكرم الناصر مثواه وكان فيه أهل صدر ذكره ابن حيان ✻(ومنهم أبو الطاهر إسماعيل
ابن الإسكندراني ابن بنت أبي طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح
للبيساني وقدم الأندلس ودخل مرسية تاجرا وكان نبيها على مذهب الشافعي وأنشد
على الشاطبي قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئه
عشت تسعين وأربع * وأنا أرجو المائه

فعاش كذلك رحمه الله تعالى ✻(ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر
الأنطاكي الإمام أبو الحسن التميمي نزيل الأندلس وشيخها أخذ القراءات
عرضا وسماعا عن إبراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الأخرم وأحمد بن يعقوب التائب وأحمد
ابن محمد بن حشيش ومحمد بن جعفر بن بيان وصنف قرأ ودرس قرأ عليه جماعة منهم أبو
الفرج الهيثم الصباغ وإبراهيم بن مبشر المقرئ وطائفة آخرون من قراء الأندلس وسمع
منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الداراني قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الأنطاكي
الأندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعوا
منه وكان إماما في القراءات لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بأنطاكية
سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الأول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى ✻(ومنهم
محمد بن يزيد بن عمر الفارسي البخاري يكنى أبا البركات ولد ببخارى ونشأ بها وكتب
الحديث وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل إلى المغرب فدخل
الأندلس ونزل مالقة في حدود الأربعين وستمائة ودخل إشبيلية وكانت له رواية بالمشرق
قال ابن الأبار أجاز لي ما رواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني أنه سمع صحيح البخاري
ببلده على أبي عبد الله محمد بن محمود وكتب إجازته لي سنة ٦٣١ وعاش بعد ذلك
وتوفي قريبا من بعد الأربعين وستمائة وحدث بالأندلس وأخذ عنه الناس وكان من
أهل التصوف والنحو وعلم الكلام رحمه الله تعالى ✻(ومنهم الشريف الأجل الرحالة
الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم إني علمت
أنه من بغداد ووقفت على كتابين كتبهما في شأن العمامة له الأديب العلامة أبو المطرف
أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي أحدهما إلى العلامة ابن حسان والثاني للكاتب أبي
الحسن الغافقي وهو الذي تقدم صاحبه في بغداد (ونص الأول)

بان الوصي إذا اجتلت وصفي * أوحشتها فلعرفها نصاف
وحمى ككل العطايا دونها * وكذاك دون رسولها الإسراف
أحسن بأن تلو ابن حسان بها * مهمر لورودها الأعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها * بان النبي على الندى مطاف
وعلا لئن أبا العلاء كتابه * لي به الإسعاد والإسعاف
يا خير من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت فيهم له أوصاف

هذا ما يدي بمحبة عنها بالسابه وجه ونصلح ما هناك وأرتجيه أودعه باطن هذه

الجباه وبمشتاهم صدوره من أبناء الرسالة ولله دره من راضع در النبوة متواضع
مع شرف الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحرا لصاء الدر
النفيس وروضا يجتنى منه أطايب السمر للجليس وينعت بنجم الدين وهو كنعته نجم يضيء
سناه ويحل بيتا من الشرف ربه بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصور الحمر
والبيض وورد الجون بعدما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار
في أرض الهرمين وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس ما طال بها
اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار الفاضلة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها
نتيجة سفره وطواف الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوي ويبصر ما تحقق عنده
المرئي والمروي وهي غاية يقول الآمل عليها أطلت حومي وجنة يتلو الداخل اليها يا ليت
قومي وسيدي هو منها باب على الفتح بقي وجناب عنان الامل اليه تلقي وقصده من هذا
الشريف أجل قاصد وأطلته سماء المجد بجمال المشتري وطرف عطارد ومتى نعتناه
فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يعصم قريحته
بأن يقول لها صفيه لكن يعرف عن نفسه ما ليس في وسع واصفيه ويقتضي من
عزيمة برّ ما لا سعة للمترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم
وسناكم عنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة
ودكم المحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته وفي الرابع والعشرين
لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثاني) هل لك يا سيدي أبا الحسن
ومن له كل شاهد حسن في الشرف المنتقى لقدم أثبتها بالوصي والحسن أيها الاخ الذي
ملكته قيادي وأسكنته فؤادي عهدي بك تعتام الآداب النقيه وتشتاق اللطائف
المشرقيه وتنصف وترى أن في سلما جفاء وفي مغربنا جفاء وأن المحاسن نبت أرض بابها
ولدا وزرع واد ليس عما عهدنا وانا في هذا أشايعك وأتابعك وأناضل من ناضلك
وينازعك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الخصم وتسكت المهج وهو الشريف الاجل
السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين محل الدرية المختاره ونجم الدرية السياره
جرى مع زعزع ونسيم ورتع في جميم وهشيم وشاهد عجائب كل أقليم وشرق الى مطلع
ابن جلا وغرب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية
أيدها الله تعالى لينتهي من أصابع العد الى العقده ويحصل من مخض الحقيقة على
الزبده وقد علم انه ما كل الخطيب كخطابة المنبر ولا بجميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأدنيه
يا سيدي من نسمة أدقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بأن
الشرق قد اتحفه أبرقة بغداده بل ربما بجملة أفلاذه والحظ فيما يجيب من بره وتأنيسه
انما هو في الحقيقة لجليسه مباغطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت
لا محالة تهمه همي وتشيم من شيمه ما بصائر القلوب اليه تومي وتضرب في الاخذ
من فوائده وقلائده بسهم وددت انه سهمي والسلام انتهى *(ومنهم تقي الدين محمد بن
الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن العرس الحنفي المصري قال الوادي آشي فيه

انه من أبناء عصره قال وسألته هل سمع من أهل مصر شارع في تفضيل بعض المذاهب على من ناسب بأن هذا الاسم عندهم من اهل الرسوخ في العلم وذوي المعرفة والفهم وانما يصدر هذا من الناس قال ولكنه ممن التقى وزعانفهم حتى يقولون انهم لنا عليكم اليد الطولى في الطير لكونه عصر نطق في الغرب بأرواث الدواب وكذلك بعض الحمام فان المالكية وغيرهم ممن يقلدون الحنفية في ذلك قال وسألته حفظه الله تعالى هل للوباء عصر وقت معلوم يقال في حرب البلاد عندهم بقدر الله تعالى ومن في حلقته أن كل سنة أولها بالتحقيقه يكون فيها الوباء والله تعالى اعلم وان هذا متعارف عندهم هكذا قال لي وغير ما سمع في بعض المدارس وما يصدر منهم يكثر من الفاهم الاسئلة الغريبة في أصول الدين وغيرها على من يرد عليهم بعدا في العجز وبعضه ثم قال ان من المنقول عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظ عنه سبعة ربس ورث حله يقتضي الحكم وواحد يقتضي الايمان ان الواحد المقتضي للايمان يغلب ومن ترجمها عليه انتهى •

وقد ذكرنا في الباب الاول في هذا القسم حكاية المصري المغربي القادم في المشرق في المصر على عبد الوهاب الطاهر بامر سنة في دولة بني المغرب بما نس وسرد ما دخوله عليه في مجلس أنسه وما أسمعني في ذلك معه وانه وقف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فارعل المعنى اليها وما نسم احسن الحضا من كلام الكتاب ابن الرضي الاديب المدرج في كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المعنى المذكور لجعلناه ترجمة في هذا الباب اذ هو به أولى والامر في ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب •(ومنهم الولي الصالح العارف بالله سيدي يوسف الدمشقي رضي الله تعالى عنه وهو كما قال ابن داود من كبار الاولياء شاذلي الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأوي مدينة وادي آش الكثير بعد الكثير لزيارة معارف لها وكان من الذين أخفاهم الله لا يعرفه الا من يعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وجدت في مولاي والدي رضي الله تعالى عنه في لقطة بلسان ابنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل على في شهر رمضان المعظم في زمان ولاي في الخطابة والامامة بالعراقين من خارج وادي آش اعادها الله تعالى منه ذات أول ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين ويفكر في ذكر احد في هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الديار الاخرة فأجمعت على مطالعة سلبه التواودي لعلي أقف على ما أشار لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكري أحدا فلقيني الشيخ الاستاذ ابو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى في الطريق فقال لي سيدي يوسف الدمشقي يسلم عليك ويقول لك الذكر الذي تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم اورثني الزهد في الدنيا واورثني نورا مع نبيك قال والدي رضي الله تعالى عنه وكان هذا مما يعرف له ولمن أتاه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوي في هذا الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب مع كثرة هذا الولي الصالح نفعنا الله تعالى ببركاته مع على من الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا أن

ابن الرضي مصنف قطب السرور

قوله سنة ٨٩٥ في نسخة سنة ٨٩٩ اهـ

قوله التواودي في نسخة التاودي اهـ

عدم المادة التي أستعين بها في هذه البلاد تبين عذري ولو اجتمعت على كتبي الخاصة
بالمغرب لأتيت في ذلك وغيره بما يشفي ويكفي وفي الإشارة ما يغني عن الكلام

(الباب السابع)

في نبذة مما منّ الله تعالى به على أهل الأندلس من توقد الأذهان وبذلهم في اكتساب
المعارف والمعالي ما عز وهان وحوزهم في ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان
وجملة من أجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم وغير ذلك
من أحوالهم التي لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أن فضل أهل الأندلس ظاهر كما أن حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب
في فرحة الأنفس لما أثنى على الأندلس وأهلها أن بطليموس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة
لبلادهم حسن الهمة في الملابس والمطاعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد
اللحون ومن أجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة
والفلسفة والعدل والإنصاف * وذكر ابن غالب أيضا ما خصوا به من تدبير المشتري
والمريخ * وانتقد عليه بعضهم بأن أقاليم الأندلس الرابع والخامس والسادس في ساحلها
الشمالي والسابع في جزائر الجوف وللإقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة
وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشتري للإقليم الثاني والمريخ للثالث ولا مدخل
لهما في الأندلس انتهى * ثم قال صاحب الفرحة وأهل الأندلس عرب في الأنساب
والعزة والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال
الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية هنديون في إفراط
عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون في نظافتهم وظرفهم
ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم
وحدة أفكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب
الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين
بأنواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال
صاحب كتاب الفلاحة الذي شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة
التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع أحذق الناس بالفروسية
وأبصرهم بالطعن والضرب وعد رحمه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط
المخصوصة بهم قال وكان خطهم أولا مشرقيا انتهى * قال ابن سعيد أما أصول الخط
المشرقي وما تجد له في القلب والنفس من القبول فمسلم له لكن خط الأندلس الذي رأيته
في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له
حسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى
ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور في رسالة لابن حزم وقال فيها إن أهل الأندلس
صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية تركيون في معاناة

وأفرط بعض الحاضرين في استحسانها وقال هذا ما لا يقدر أندلسيّ على مثله فأنشد
أبو بكر يحيى بن هذيل وقال بديهيا

عرفت بعرف الريح أين تيمموا * وأين استقلّ الظاعنون وخيّموا
خليليّ ردّاني الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
أبيت سمير الفرقدين كأنما * وسادي قتاد أو ضجيعي أرقم
وأسهر روسان الجفون كأنه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى أعلامه والى الهوى * وأيقنت أني لست منهن أسلم
كما أن ابراهيم أول نظرة * رأى في الدراري انه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة في جزيرة الاندلس أشراف عرب المشرق افتتحوها
وسادات أجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل بها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد
بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر أن أبا علي البغدادي صاحب الامالي
الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال لما وصلت القيروان وأنا أعتبر من أمر به من
أهل الامصار وأجدهم درجات في المعارف وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها
بالقرب والبعد كان مدار أهم من الطريق هي مدار أهم من العلم محاضرة ومقايسة قال أبو علي
وقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن
قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان قال ابن بسام وبلغني انه كان يصل كلامه هذا
بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ويتعطى عنهم عند المباحثة والمناقشة
ويقول لهم ان علمي علم رواية وليس علم دراية فخذوا عني ما نقلت فلم آل لكم أن صححت هذا
مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن كلام
الحجاري في المسهب الاندلس عراق المغرب عزة أنساب ورقة آداب واشتغالا بفنون
العلوم وافتنانا في المنثور والمنظوم لم تضق لهم في ذلك ساحه ولا قصرت عنه راحه
فما ترقيه بمصر الاوفيه نجوم وبدور وشموس وهم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى
في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤوس لا ينازعهم
أحد في هذا الشان وابن خفاجة سابقهم في هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان وأما
اذا هبّ نسيم ودار كاس في كف ظبي رخيم ورجع بم وزير وصفق للماء خرير أو رقت
العشيه وخلعت السحب أرادها الفضيه والذهبيه أو تبسم عن شعاع ثغر نهر
أو ترقرق بطل جفن زهر أو خفق بارق أو وصل طيف طارق أو وعد حبيب فزار من
الظلماء تحت جناح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين أقبل رائد الصباح
أو أزهرت دوحة السماء بزهر كواكبها أو قوضت عند فيض نهر الصباح بيض
مضاربها فاولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين
في الوصف اذا تقعقعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت
الحرب من العجاج سماء وأطلعت شبه النجوم أسنة وأجرت شبه الشفق دماء وبالجملة
فانهم في جميع الاوصاف والتخيلات أئمه ومن وقف على أشعارهم في هذا الشان فضلهم

منه على أصناف الأمة وقد أتينا بهم في الباب أنسابهم العربية وفطانتهم البصر
وهم هم الأمة ولأقطار الأندلس من النوادر والنكات والتركيبات وأنواع
المضحكات ما ملأ الدواوين كثرة ويضحك الثكلى ويسلي الملهوف بما هو مغمه
الحافظ لم يعظم عند ما حكي وما ركب ولا استغرب أحد ما أورد ولا تعجب إلا أن
موالي هذا الأمر طلبت همتهم في التصنيف في هذا الشأن فكاد عرضا أغناهم
عن الظرف بمداركته بما هو أمسى سماعا انتهى • وقد رأيت أن أذكر رسالة
أبي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل علماء الأندلس لاشتمالها على ما نحن
بصدده وذلك أنه كتب أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد بن الربيب التميمي القيرواني إلى
أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الأندلس في تخليد
أخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسير ملوكهم ما صورته كتبت يا سيدي وأجل عددي
كتب الله تعالى لك السعادة وأدام لك العز والسيادة ما دام الإسعاد سيدا وصاحبا
شعرا وذلك أني فكرت في بلادكم إذ كانت قرار كل فضل ومحل كل خير ونيل
ومصدر كل طرفة ومورد كل تحفة وغاية آمال الراغبين ونهاية أماني الطالبين إن بارت
تجارة فإليها تجلب وإن كسدت بضاعة فمنها تنفق مع كثرة علمائها ووفور أدبائها
وجلالة ملوكها ومحبتهم في العلم وأهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه
أدبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب
نكايته فشجع الجبان وأقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العيي
وشعر البكي واستنسر البغاث وتنبه الحمقى فتنافس الناس في العلوم وكثر الحذاق
في جميع الفنون ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط لأن علماء الأمصار
دونوا فضائل أقطارهم وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم وأخبار الملوك والأمراء
والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي
والأيام ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام وعلماؤكم مع
استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح
يخاف إن صنف أن يعنف وإن ألف أن يخالف ولا يؤالف أو تخطفه الطير أو تهوي به
الريح في مكان سحيق لم يتعب أحد منهم نفسه في جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل
خاطره في مفاخر ملوكه ولا بل قلمه بمناقب كتابه ووزرائه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته
وعلمائه على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال من لسانه وبسط ما قبض الإهمال من بنانه
لوجد للقول مساغا ولم يضق عليه المسالك ولم يخرج به المذاهب ولا اشتبهت عليه المصادر
والموارد ولكن همة أحدهم أن يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصب السبق
ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دعبل ويصير ثانيا لأبي الفضل فإذا أدرك
بغيته واحترز منيته فدون عمه أدبه وعلمه فإن ذكر واستطاع خبره وبين
قد يذكر من علماء الأمصار أمثالهم ذكرهم أمثال الأنكاس فالله وأدرى
بما لهم بإذكار محمدهم طول الأبد فإن قيل إنه كان مثل ذلك في علمائنا وألفوا كتبا

لكنها

(رسالة ابن حزم)

لكنهم لم تصل اليهم الا دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بينا وبينكم غير روحة راكب أو رحلة قارب لو نفث من بلادكم مصدور لاسمع من ببلادنا في القبور فضلا عن في الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده وسائب مالوكم يتيمة سلكه أكثر الحز وأخطأ المفصل وأطال الهز لسيف غير مصقل وقعد به ماقعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فأرشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك في ذلك الجليه وبيدك فصل القضيه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أما بعد يا أخي يا أبا بكر سلام عليك سلام أخ مشوق طالت بينه وبينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالي ثم لقيتك في حال سفر ونقلة وواذلك في حال جولة ورحلة فلم يقض من مجاورتك أربا ولا بلغ في مجاورتك مطلبا واني لما نزلت بك وجالت يدي في مكنون كتبك ومصون دواوينك لمحت عيني في تضاعيفها درجا فتأملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبينا في الدار أهل افريقية ثم من صقع القيروان اليه رجل اندلسي لم يعينه باسمه ولاذكره بنسبه يذكر فيها ان علماء بلادنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيي ذكرهم ويبقي علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه في ذلك واستدل على صحته عند نفسه بأن شيأ من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم اليهم وتكررهم علينا ثم لما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب والمشهد الآهل بأنواع العلوم والقصر المعمور بأنواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعاني وجليل المعالي قرارة المجد ومحل السودد ومحط رحال الخائفين وملقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسيبه الرفيع حديثه ومكتسبه الذي أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازي قومته نومته ولا ينال حصره هوينا وأربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالي دنوه ولا يعلو في حميد الخلال علوه بل اكتفي من مدحه باسمه المشهور واجتزي من الاطالة في تقريظه بمقام المذكور حسبي بذلك العلي دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبي عبد الله محمد ابن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا عطل الطامعين من تحليهم بحلاه ولا أخلى الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا الخاطب وراغبا في أن يبين له ما اعتقد قد رآه فنسي أو بعد عنه فخفي تفاوت

الجواب المذكور بعد ان نقل عن ابن ذلك الخاطب انه مات رحمه الله تعالى وانا لم يكن
اتصل بالجواب هنى وقد صارت اشارته معنى فلما اتصل بى من التصور تصرف
عنان الخطاب الذي فلك بسبب الى الكتاب الجواب عنه ومن لدن وصلت الى الرسالة
المعارضة وفى وصول كتابى على هذه الهيئة سمعا وصل كتابه ان غابت عنه فى انه اثر
ما كنت أعلق بالدنيا لما غاب عن هذا الجانب الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان
كتب فى استمرار ما لى عيار رحمه فى كتابى هذا كيف الى التركات بارا لما حب وبانى ره وى
فى مهيع القصد الالاحب فالجواب كتب المقصود والراحة فاما المراد من اهل تلك
البلاد فمن يأتى عنه علم ما اشتمل على الناس الامانى وما يوحى الداله سبحانه فاما ما تريد
فقد ألف فى ذلك احمد بن محمد الرازى التاريخى كتابه فيها كتاب حصر ذكر فيه مسالك
الاندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه
مما ليس فى غيره وهو كتاب مرح مليح وأنا أقول لو لم يكن له من الفضل الا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشر به ووصف اسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة فى الحديث
الذى رويناه من طريق ابى محمد أنس بن مالك أن خالته ام حرام بنت ملحان زوج أبى الوليد
عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنهم اجمعين حدثته عن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه اخبرها بذلك لكفى شرفا بذلك يسر عاقل ويقطع آمله فان قال قائل لعله صلوات
الله تعالى عليه اعا عنى بذلك الحديث اهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من
انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع
دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق
انه صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب وامر بالبيان لما اوحى اليه وقد
اخبر فى ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من امته تركبون ثبج
البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم فاخبرها
صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بانها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
وهو اخباره بالشىء قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس
وخرت عن بغلتها هنالك فتوفيت رحمها الله تعالى وهى أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر
فثبت ان الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشر بهم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت
ام حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا يصل ان يظن به وهذا هو ما اوتى
من البلاغة والبيان انه يذكر طائفتين قد سمى احداهما اولى الا والثانية انها ثانية فهذا من
باب الاضافة ومن كتب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا يكون الاولى اولى
الا لثانية ولا الثانية ثانية الا لاولى فلا سبيل الى ذكر الثالث الا بعد بيان منشور وهو صلى
الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين وبشر بغزوتين احداهما الاولى فاقتضى ذلك انهما
اثنتان آخرين والاخرى الاول وهو الثانى الذى اخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون
بعد قرنه والى القرون تكل فضل شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير كل قرن
بعده ثم ركب البحر بعد ذلك ايام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها

ابن هذا الوزير

فى تلك السنين هبيرة الفزارى وأمّا صقلية فانها فتحت صدر أيام الاغالبة سنة ٢١٢ أيام قادها اليها السفن غازيا أسد بن الفرات القاضى صاحب أبى يوسف رحمه الله تعالى وبها مات وأمّا اقريطش فانها افتتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروح من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس وكان من ولد الربضيين وتداولها بنوه بعده الى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذى غنمها فى أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر المتغلبين لها أهل الاندلس وأمّا فى قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعلق تمائمنا مع سرّ من رأى فى اقليم واحد فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا وان كانت الانوار لاتأتينا الامعترضة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسبين للاحكام التى تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلالاتها فلنا من ذلك على كل حال حظه وقد حظ أكثر البلاد بارتفاع أحد النيرين بها تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن فى العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك الخبر وأبانته التجربة فكان أهلها من التمكن فى علوم القرا آت والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متنائى الاقطار فسيح المجال والذى نعاه لينا الكاتب المذكور لو كان بكاد كرلكتابه شركا لاكثر أمّهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما أدكر أنى رأيت فى أخبارها تأليفا غير المعرب عن أخبار المغرب وحاشى تآليف محمد بن يوسف الورّاق فانه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى فى مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفى أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة وكذلك ألف أيضا فى أخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة وتكور والبصرة وغيرها تآليف حسانا ومحمد هذا أندلسى الاصل والفرع آباؤه من وادى الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها وان كانت نشأته بالقيروان ولابدّ من اقامة الدليل على ما أشرت اليه هنا ذ مرادنا أن نأتى منه بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى وذلك أن جميع المؤرّخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة أحد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على أن ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التى استقرّ بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى أن مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم صدّروا بعلىّ وابن مسعود وحذيفة رضى الله تعالى عنهم وانما سكن علىّ الكوفة خمسة أعوام وأشهرا وقد بقى ٥٨ عاما وأشهرا بمكة والمدينة شرّفهما الله تعالى وكذلك أيضا أكثر أعمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام ابن عامر وأبى بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامّة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهرة أعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين نوّهوا بعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وأبى عبيدة بن الجرّاح ومعاذ ومعاوية والامر فى هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك فى المصريين بعمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوىّ وفى المكيين بعبد الله ابن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم فى هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فمن هاجر الينا من

قوله ابن يوسف فى نسخة ابن مسلم اهـ

للاقوال وهمدفا للمطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلد وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالحراء وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف ويخومن المخالف فان تعرض لتأليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتكل نفسه وتبرد حميته وهكذا عندنا نصيب من ابتدأ يحوك شعرا أو يعمل رسالة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التي ألفت بالاندلس كتاب القصي مالك بن علي وله ورجل قرشي من بني فهر لقي أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبي اسحق ابراهيم بن مزين في تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعاني الموطا وتوصيل مقطوعاته من تآليف ابن مزين أيضا وكتابه في رجال الموطا وما لمالك عن كل واحد منهم من الآثار في موطئه وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه انه لم يؤلف في الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتي رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ومنها مصنفه في فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع في شيء من هذه فصارت تآليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ومنها في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري وكان شافعي المذهب بصيرا بالكلام على اختياره وكتاب القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد وكان داودي المذهب قويا على الانتصار له وكلاهما في أحكام القرآن غاية وله ذره مصنفات منها كتاب الابانة عن حقائق أصول الديانة ومنها في الحديث مصنف أبي محمد قاسم ابن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تآليف حسان جدا منها أحكام القرآن على أبواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب

قوله أن لا يسلم الخ راجع لقوله وبالحراء وقوله وهو السابق المبرز جملة حالية من فاعل يسلم وقوله ان لم يتعلق الخ قيد لخبر قوله وبالحراء أن لا يسلم الخ وتقدير العبارة هكذا وبالحراء أي بالحقيق أن لا يسلم والحال انه السابق المبرز ان لم يتعلق الخ تأمل اه مصححه

حدثني أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه الى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما ألفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لي الدنيا على ذلك مافعلت ولا استجزت الكذب لاني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابي علي اسمعيل بن القاسم وهو مبار لكتاب الكامل لابي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي وهو مجار في مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن في معناه وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابي عمر أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابي محمد بن داود رحمه الله تعالى الا أن أبا بكر انما أدخل مائة باب في كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير أندلسي شيأ وأحسن الاختيار ماشاء وأجاد فبلغ الغاية وأتى الكتاب فردا في معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس جمعه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين الكاتب وهو حي بعد ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم ابراهيم بن محمد الافليلي لشعر المتنبي وهو حسن جدا ومن الاخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها وتواريخ متفرقة رأيت منها أخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف وفي أخبار بني قيس والتجيبيين وبني الطويل والثغر وقد رأيت من ذلك كتبا مصنفة في غاية الحسن وكتاب مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تأليف اسحق ابن سلمة بن اسحق الليثي وكتاب محمد بن الحرث الخشني في أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الاندلس وكتاب في أخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى في أنساب مشاهير أهل الاندلس في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الانساب وأوسعها وكتاب قاسم بن اصبغ في الانساب في غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه في فضائل بني أمية وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره واتشرذكره ومنها كتب مؤلفة في أصحاب المعاقل والاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت منها أخبار شعراء البيرة في نحو عشرة أجزاء ومنها كتاب الطوالع في أنساب أهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار

قوله ابن الحسن في نسخة ابن الحسين اه

(في نسخة ...)

أهل الأندلس فألف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار من أجل كتاب ألف
في هذا المعنى وهو في الخبا عدد مقادير الاكمال وكتاب المآثر العامرية لحسن
ابن عاصم في سيرة ابن أبي عامر وأخباره وكتاب الأستاذ محمد بن عاصم النحوي في طبقات
الكتاب بالأندلس وكتاب سكن بن سعيد في ذلك وكتاب أحمد بن فرج في المنتزين والقائمين
بالأندلس وأخبارهم وكتاب أخبار أطباء الأندلس لسليمان بن جلجل وأما الطب
فكتب الوزير يحيى بن إسحاق وهي كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجي
أستاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتاني وهي كتب رفيعة حسان وكتب
التصريف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وقد أدركناه وشاهدناه ولئن قلنا إنه لم
يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم
في الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها وأما الفلسفة فإني رأيت فيها
رسائل مجموعة وعيونا ولسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه
من هذه الصناعة وأما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك
فمشهورة متداولة ونامية الحسن فاشية الجدوى عظيمة المنفعة وأما النحو واللغة فلم نسم
إنا في هذا العلم شاذ ولا تصنيفه واستقلالي اعتنى إلا عن الحسن من المعتمد في الوقوف
فيه من أهل بلدنا إلا أبي سعيد بن أبي تقلد وقد سمع من أهل العلم من أتى على زوجته
يقول إنه لم يؤلف في الأوزان مثل زين مثله ومن جواب السمح وهما من أهل بلدنا وكذلك
كتاب لأحمد بن نصر فيما تقدم إلى مسائل فيها وأما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر
والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم إلا في أحدها وهي إما
شيء لم يسبق إليه أو يخترعه أو شيء ناقص يتمه أو شيء مستغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره
دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه
صاحبه يصلحه وأما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت إلى ذكرها وهي
عندنا من تآليف أهل بلدنا أكثر من أن نضبط تعدادها وأما علم الكلام فإن بلادنا
وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب
فهي على كل حال غير عرية عنه وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال نظار
على أصوله ولهم فيه تآليف منهم خليل بن إسحاق ويحيى بن السمينة والحاجب موسى
ابن حدير وأخوه الوزير صاحب المظالم أحمد وكان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك ولنا
على مذهبنا الذي نتحراه من مذاهب أصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى وإن كان
صغير الحجم فقليل عدد الورق يزيد على المائتين يسير فعظيم الفائدة لأنا أسقطنا فيه
المشاغب كلها وأضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البراهين المنتجة من المقدمات
الصحاح الراجعة إلى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة وللإمام تصانيف ما كتب حينه
فيها ما قدم ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على تمامه
لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا أردنا السمعة فنسميها والمراد بها ربنا جل وجهه وهو
ولي العون فيها والمليء بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيبدو وحسبنا الله ونعم الوكيل

قوله بابن الكتاني في نسخة بالكتبي اه

وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء فقد ذكرنا من تأليف أهله ما إن طلب مثله بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها ونحن اذا ذكرنا أبا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباهه الا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الاشعث السجستاني وأحمد بن شعيب النسائي واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباهه الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي وهو شريكهما في صحبة المزني بن ابراهيم والتلمذة واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجارهما الا أبا الحسن بن المغلس والخلال والديباجي ورويم ابن أحمد وقد شاركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته واذا أشرنا الى محمد بن عمرو بن لبابة وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نناطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس واذا صرنا الى ذكر محمد بن يحيى الرباحي وأبي عبد الله محمد بن عاصم لم يقصر اعن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ولولم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج القسطلي لما تأخر عن شأو بشار وحبيب والمتنبي فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك بن سعيد المرادي وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان ممسوح الغرة ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حي بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل ومحمد بن عبد الله بن مسرة في طريقته التي سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه في جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق لعلمه والهادي الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم انتهت الرسالة * وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها وانما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة أعوام انتهى * وقال ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد ابن حزم من مفاخر أهل الاندلس بما حضرني والله تعالى ولي الاعانة أما القرآن فمن أجل ما صنف في تفسيره كتاب الهداية الى بلوغ النهاية في نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعدّ ابن غالب في كتاب فرحة الانفس تآليف مكي المذكور فبلغ بها ٧٧ تاليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة وأما القراآت فلمكي المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب التيسير لابي عمرو الداني مشهور في أيدي الناس وأما الحديث فكان

قوله ابن عمرو في نسخة ابن عمر اه

قوله سنة ٤٣٧ في نسخة سنة ٤٧٤ اه

بحضرة مراكش في المائة السابعة الامام أبو الحسن علي بن القطان القرطبي الساكن بحضرة
مراكش وله في شرح غريبه وفي رجاله مصنفات وإليه كانت النهاية والإشارة في عصرنا
و بعد انه كان أسهل جمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين
ابن عمار الاندلسي في جمع ما تضمنته كتاب مسلم والبخاري والموطأ والسنن والنسائي
والترمذي كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الأحكام
لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي مشهور ومتداول الغرا وهي أحكام كبرى وأحكام صغرى
مثل ووسطى وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي مشهور وأما الفقه فالكتاب
المعتمد عليه الآن الذي تطابق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالإسكندرية
فكتاب التهذيب للبرادعي السرقسطي وكتاب النهاية لأبي الوليد بن رشد كتاب جليل
معظم معتمد عليه عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجي وأما أصول الدين وأصول
الفقه فللامام أبي بكر بن العربي الإشبيلي من ذلك ما صنفه كتاب العواصم والقواصم
المشهور بأيدي الناس وله تصانيف غير هذا ولأبي الوليد بن رشد في أصول الفقه ما به
مختصر المستصفى وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين في نحو ستين
مجلدا وأعاد ذكر ابن حزم كتاب المقتبس وهو في عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار عصره
وعاين فيها ما شاهده وممن ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البياسي أحد
معاصري ساوهو الآن بإفريقية في حضرة تونس عند سلطانها يخصه بإحسانه الغمر
وكتاب المظفر ابن الأفطس ملك بطليوس المعروف بالمظفري نحو كتاب المتين في الكبر
وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة
المؤمنية وذكر ابن غالب أن ابن الصيرفي الغرناطي له كتاب في أخبار دولة لمتونة وأن
أبا الحسن السالمي له كتاب في أخبار الفتنة الثانية بالأندلس بدأ من سنة ٥٣٩
ووضعه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في تاريخ
أصحاب الأندلس من فتحها إلى زمانه وأضاف إلى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما لا
في خاطره وله كتاب الصلة في تاريخ العلماء وللحميدي قبله جذوة المقتبس وقد ذيل
كتاب الصلة في عصرنا هذا أبو عبد الله بن الأبار البلنسي صاحب كتاب سلطان
إفريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير
بدأ فيه من بدء الخليقة إلى أن انتهى في أخبار الأندلس إلى دولة عبد المؤمن قال وفارقته
سنة ٥٦٥ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمة في التواريخ
مثل كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب
التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي
وللقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب التعريف بأخبار علماء الأمم من
العرب والعجم وكتاب جامع أخبار الأمم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والأمم
في معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبي له كتاب اختصار تاريخ
الطبري قد سعد باعتناء الناس به وأضاف إليه تاريخ إفريقية والأندلس ولأحمد

ابن

ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن المياض كتاب العبر وكتاب أبي بكر الحسين بن محمد الزبيدي في أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي في اخبار العلماء والشعراء ومايتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال تاريخ أمة كالمسطور ما كاصبع أيضا بعده أبو طالب المتنبي من جزيرة شقر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد وكتاب الذخيرة لابن بسام في جزيرة الاندلس ليس هذا مكان الاطناب في تفصيلها وهي كالذيل على حدائق ابن فرج وفي عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو مملوء بلاغة والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابي عمرو بن الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخلا بتوفيته حقه من الفضلاء واستدرك من أدركه عصره في بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري المسمى بالمسهب في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافيا وخلطه بالتاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور في غير هذا المكان ولم يصنف في الاندلس مثل كتابه ولذلك قصد المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة ويكمل كتاب فلك الادب المحيط بحلي لسان العرب المحتوي على كتابي المشرق في حلي المشرق والمغرب في حلي المغرب فحكى الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر به حلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمي الذكر فيطلب الملتمس منهم في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في اشبيلية وابن الامام في استجة والحجاري في وادي الحجارة * وأما ما جاء مشهورا من فنون الادب فكتاب سراج الادب لابي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوادر لابي علي * وزهر الآداب للحصري * وكتاب واجب الأدب لوالدي موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلي لابي عبيد البكري * على كتاب الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي * وأما شرح سقط الزند فهو الغاية ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبي الحجاج الاعلم لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة * وأما كتب النحو فلأهل الاندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الاشبيلي والى انتهت علوم

زاد المسافر وكتاب المخالة في صفحة ١

قوله وأما ما جاء الخ في نسخة وأما الكتب التي في فنون الادب فمنها كتاب سراج الادب لابي الخ اهـ

يأتي صحـ

النحو وعليه الاحالة الآن في المشرق والمغرب وقد أثنى عليه من أثق به وكتاب ابن
في التصريف بالممتع في كل جهة وطار صياح الاغتباط ولشيخنا أبي علي الشلوبين
كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولأبي الحسين بن الطراوة والسهيلي من
التصنيفات في النحو ما هو مشهور وعند أصحاب هذا الشأن معتمد عليه ولأبي الحسن بن
خروف شرح مشهور لكتاب سيبويه * وأما كتب علم الجغرافيا فمكي في ذلك كتاب
المسالك والممالك لأبي عبيد البكري الأديب وكتاب معجم ما استعجم من البقاع
والأماكن وفي كتاب المسهب للحجاري في هذا الشأن وذيلنا عليه في هذا الكتاب الجامع
ما جمع بين الأولين والآخرين * وأما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجه
الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق وإليه تنسب
الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد وليحيى الخدج المرسي كتاب الأغاني
الأندلسية على منزع الأغاني لأبي الفرج وهو ممن أدرك المائة السادسة * وأما كتب
الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد سار أيضاً في المشرق لنبله كتاب
التيسير لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر وله كتاب الأغذية أيضاً مشهور مغتبط به في المغرب
والمشرق ولأبي العباس بن الرومية الإشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشأن كتاب في الأدوية
المفردة وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بالقاهرة كتاباً في هذا الشأن حشر
فيه ما عثر به بقدر علمه من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي
وكتاب الشريف الإدريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية
في مقصده * وأما كتب الفلسفة فإمامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها
تصانيف جحدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وحبسه بسببها
وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم بإشبيلية وهو علم
ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم
فلابن زيد الأسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصاً بالمستنصر بن الناصر المرواني وله
ألف كتاب تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق
بذلك ما استحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الإشبيلي في عصرنا قد اشتغل
بالتصنيف في هذا الشأن إلا أن أهل بلده كانوا ينسبونه إلى الزندقة بسبب اعتكافه على
هذا الشأن فكان لا يظهر شيئاً مما يصنف * قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوماً
في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد
الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي
لولا الأندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم
فقال الأمير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل برنا عرباً وأهل بركم بربراً فقال حاش لله
فقال الأمير والله ما أردت غير هذا فظهر في وجهه أنه أراد ذلك فقال ابن المعلم تقول هذا
وما الملك والفضل إلا من بر العدوة فقال الأمير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما
رسالة في تفضيل بره فالكلام هنا يطول ويمر ضياعاً وأرجو أن تخلصا فيه فكركما يصدر

عسكما يحسن تحليده ففعل ذلك فكانت رسالة الشقندي "الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم ملء فيه ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه اذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلني من أنشأته وحباني بأن كنت من أطهرته فامتد في الفخر باعي وأعانني على الفضائل كرم طباعي وأصلي على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه جرى في مجلس مولاي صاحب سبتة ومولى في المغرب كنت من خرجت عن حقيق في الاغضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع في فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع ويأتي بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يصله من تاه في تلك المسالك رام أن يفضل برّ العدوة على برّ الاندلس ورام أن يفضل على اليمين اليسار ويقول الليل أضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج فيا من نفخ في غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تكثر بما جعله الله قليلا وتعز بما حكم الله أن يكون ذليلا ما هذه المباهتة التي لا تجوز كيف تبدي أمام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديث من تصغى

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

أفق ويحك أيها المعتزل بالصيب المتزين بالخلق المتحبب الى العوالي بالمشيب الخضيب اين عزب عقلك وكيف نكص على عقبه فهمك ولبك أبلغت العصبية من قلبك أن تطمس على نور بصرك ولبك أما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا أيضا وما نحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسي جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بني عبد المؤمن أدامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

واني من قوم كرام أعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

خلائف في الاسلام في الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ في مدتهم من العلماء والشعراء ما اشتهر في الآفاق وصار أثبت في صحائف الايام في أعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس في كل بلدة * وهب هبوب الريح في البر والبحر

ولم تزل ملوكهم في الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى أن حكم الله بتر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت أخبارهم ودرسوا

(رسالة الشقندي أبي الوليد إسماعيل بن محمد ...)

عباد لشعراء الاندلس في مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا الملكه قدرا وبعد ماذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد أنشدوه أيعلم أمير المسلمين ما قالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جواري سودا وبيضا قال لا يامولانا ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لان ليالي السرور بيض فعاد نهاره بعده ليلا لان ليالي الحزن ليال سود فقال والله جيد اكتب له في جوابه ان دموعنا تجري عليه ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حمر بغلا دهم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدولة لما كان لكم على الناس صوله

وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

والله ان تعرضت للمناصلة بالعلماء فأخبرني هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذي يعمل بأقواله الى الآن ومثل أبي الوليد الباجي ومثل أبي بكر بن العربي ومثل أبي الوليد بن رشد الاكبر ومثل أبي الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام ومصابيح شريعة محمد عليه السلام وهل لكم في الحفظ مثل أبي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال الى رتبة العلم ورآها فوق كل رتبة وقال وقد احترقت كتبه

دعوني من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي * تضمنه القرطاس اذ هو في صدري

ومثل أبي عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب والتمهيد ومثل ابي بكر بن الجد حافظ الاندلس في هذه الدولة وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيدة صاحب كتاب المحكم وكتاب السماء والعالم الذي ان أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته وهل لكم في النحو مثل أبي محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبي علي الشلوبين الذي بين أظهرنا الآن وقد سار في المغارب والمشارق ذكره وهل لكم في علم اللحون والفلسفة كابن باجة وهل لكم في علم النجوم والهندسة والفلسفة مثل كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان في ذلك آية وهل لكم في الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان المقدم في علم الفلسفة ومثل بني زهر أبي العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبي بكر ثلاثة على نسق وهل لكم في علم التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس وهل عندكم في رؤساء علم الادب مثل أبي عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء اقليمه والاجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة وهب انه كان يكون لكم مثله فتصنع الكيسة في البيت الفارغ وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح ابن عبيد الله الذي ان مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك في كتاب القلائد

ولما تواخوا السلام ورددت * عن الشمس في أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الاسنة دونها * صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها * وآيات صنع الله كيف تسير
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس * وقام بعبء الراسيات سرير
فجاؤا عجالا والقلوب خوافق * وولوا بطاء والنواظر صور
يقولون والاجلال يخرس ألسنا * وحارت عيون ملأها وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط * وقدر فيك المكرمات قدير

وأنا أقسم بما حازته هذه الابيات من غرائب الآيات لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تمتن فيه كل ناظم وناثر وان ذكر الغربة عن الاوطان ومكابدة نوائب الزمان قال

قالت وقد مزج الفراق مدامعنا * بمدامع وترائبا بترائب
أتفرق حتى بمنزل غربة * كم تحسب للايام نهبة ناهب
والتي جبيت عليك ترحة راحل * ما بالزمان لها بفرحة آيب
هل أبصرت عيناك بدرا طالعا * في الافق الا من هلال غارب

وان شبه قال

لمعاقل من سوسن قد شيدت * أيدي الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وحماتها * حول الامير لهم سيوف من ذهب

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو أبو عمرو بن فرج في قوله

وطائعة الوصال عففت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فملكت النهى جماب شوقي * لاجري في العفاف على طباعي
وبت بها مبيت السقب يظما * فيمنعه العكام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فاتخذ الرياض من المراعي

وهل بلغ أحد من مشبهي شعرائكم أن يقول مثل قول أبي جعفر اللماي

عارض أقبل في جنح الدجا * يتهادى كتهادي ذي الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا

ومثل قول أبي حفص بن برد

وكأن الليل حين لوى * ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء أحرقها * عامد أسرج مصباحا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان مقابل ذلك بقطع مدحه له فبلغه انه عتبه على ذلك وهو ابن رضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم * فى دوح مجدكم أقوم وأقعد

ان تسلبونى ريشكم وتقاصوا * عنى ظلالكم فكيف أغرد

وهل منكم شاعر رأى الناس قد صحوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك فى أن يأتى به فى منزع يصير خلقه فى الاسماع جديدا وكاسده فى الافكار جديدا فاغرب أحسن اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل اعراب وهو ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحا * وحثها والصباح قد وضحا

والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا

قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا

فظل ساقى المدام يجحد ما * قال فلما تبسم افتضحا

قوله وحثها هكذا فى النسخ ولم أجده بمعنى الشرب لا فى القاموس ولا فى الصحاح فلعل الاولى أن يقول بدله حسوتها الخ وليحرر اه مصححه

وقال

أديراها على الروض المندى * وحكم الصبح فى الظلماء ماضى

وكأس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض

وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقال

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح

قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاحتيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللامط المبتدعين وهل منكم من برع فى أوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل من طمع بعده فى اللحاق وهو ابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشى أنس أضجعتنى نشوة * فيها يمهد مضجعى ويدمث

خلعت على بها الاراكة ظلها * والغصن يصغى والحمام يحدث

والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقى والغمامة تنفث

والقائل

لله نهر سال فى بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء

متعطف مثل السوار كأنه * والزهر يكنفه مجر سماء

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة فى بردة خضراء

وغدت تحف به الغصون كأنها * هدب تحف بمقلة زرقاء

ولطالما عاطيت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدى الندماء

والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

ولا تكحل رؤيته صبابا * تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن * توافيه فيحط اللثام

وهل منكم من تغزل فى غلام حائك بمثل قول الرصافى

قالوا وقد أكثروا فى حبه عذلى * لولم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو كان أمرى فى الصبابة لى * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لى
علقته حبيّ الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل فى الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر فى الغزل
جذلان تلعب بالمحوال أنمله * على السدى لعب الايام بالاجل
ضما بكفيه أو فحصا باخمصه * تخبط الظبى فى أشراك محتبل

ومثل قوله فى تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشىّ رائق منظره * قد قطعناه على صرف الشمول
وكأن الشمس فى اثنائه * ألصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع أذيال الربا * ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا * حيث لا يطرقنا غير الهديل
طائر شاد وغصن منثن * والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول فى موشح مما يجزه هذا المعنى

ورداء الاصيل تطويه كف الظلام

وهو أبو القاسم بن العرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة راقصا بمثل قول ابن شروف

ومنوع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه * متلاعبا كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه راسه * كالسيف ضمّ ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا بأحسن من قول الشاقى

ألوامى على كلفى بحيى * متى من حبه أرجو سراحا
وبين الخد والشفتين خال * كزنجيّ أتى روضا صباحا
تحير فى جناه وليس يدرى * أيجنى الورد أم يجنى الاقاحا

وهل منكم الذى اهتدى الى معنى فى لثم وردة الخد ورشف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقىّ فى قوله

لما ظفرت بليلة من وصله * والصبّ غير الوصل لا يشفيه
ألفيت وردة خده بتنفسى * وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النعاق باقذاع فابدع ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومىّ فى قوله

يود عيسى نزول عيسى * عساه من دائه يريح

وهل منكم من قال في الزهد مثل قول أبي وهب العباسي القرطبي

أنا في حالتي التي قد تراني * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلي حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لي كسوة أخاف عليها * من مغير ولا ترى لي مالا
أجعل الساعد اليمين وسادي * ثم أثني اذا انقلبت الشمالا
ليس لي والد ولا مولود * لا ولا حرت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بأمور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبي محمد عبد الله بن العسال الطليطلي

انظر الدنيا فان أبصرتها شيأ يدوم
فاغد منها في أمان * ان يساعدك النعيم
واذا أبصرتها منك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشا عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التي تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه علي

ما لابن زيدون على فضله * يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأخصي علي

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشية التي تقول

ولما أبى الواشون الا فراقنا * وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي * ومن نفسي بالسيف والماء والنار

وأنا أختم هذه القطع اليسيرة بقول أبي بكر بن بقي ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق *

وبقول القاضي أبي حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فأنوح وجدا * على الاغصان تندب الحمام
وأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وبقوله أيضا

لها ردف تعلق في لطيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم

يعدي إذا فكرته * ويعميها إذا رأيت سموم

وقد أطلت عنان القلم على أني اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالمصباح فإنه الأما أحد يجري من شاعركم الذي تفاخرون به شاعرا ممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا وأشجع شعرا من أبي العباس الجراوي وأولى لكم أن تخمدوا ذكره وتستروا ذكر ما قد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيد يمدح بها خليفته

إذا كان أملاك الزمان أراقما * فإنك منهم دائم الدهر ثعبان

فما أقبح ما وقع فيه وما أضعف ما أتى به دائم الدهر ولقد أنشدت أحد ظرفاء الأندلس هذا البيت فقال لا تنكر هذا على مثل الجراوي فسبحان من جعل روحه ونفسه وشعره تتناسب في الثقالة وإن أردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان منهم في عدد المنصور بن أبي عامر ومن بعده ملوك الطوائف أخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الأمير أبي عبد الله بن مردنيش وأنه كان يدفع في راكب النصارى وحده اعتمادا وثباتا ونجدة

أكر على الكتيبة لا أبالي * أحتفي كان فيها أم سواها

حتى إنه دفع يوما في موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجب به نفسه فقال لبعض خواصه عالم بأمور الحرب مشهور بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان وأدخلك في بيت المال وأعطاك منه ما أمكن لكان قد أنصف ثم هذا الإقدام وعرض هلاك نفسه إلى هلاك من أولئك يعني فإني لا أموت مرتين وإذا مت فاطلع عاش من بعدي وما زال أبو عبد الله بن قادوس الذي اشتهر بشجاعته وإقدامه في النصارى وحتى لا ينماصر النصارى من رعبه والإقرار بمثله في هذا الشأن أن قال أحدهم لفرسه إذا سقا فلم يشرب على الماء ما لك أو أبصرت ابن قادوس في الماء وعد فرسه عظيمة والفضل ما شهدت به الأعداء ولقد أخبرني من أثق به أنه حرج بن عسكر في جملة عسكر ثم الغار على بلاد النصارى فوقع في جمع كثير منهم فجهد جهده في الخلاص منهم والرجوع إلى العسكر فلم يقدر فجعل يقاتل مع أصحابه في حالة الفرار إلى أن كان أصابه ما أقعد فرسه ووقعه فنادى بعض الفرسان فنظر إلى فارس من النصارى قد طرف فقال انزل إلى هذا المصراني فجدفرسه وركض نحوه فاستعطفه وقال لصاحبه اركب فركب وتجامعه سالما وأقبال هذا كثير وأعاجيب عصرنا من سر وأما كرم النفس وفضائل الرياسة فإنما أحكي لك حكاية تغنيك عما هو من جاري في عصرنا وذلك أن أبا بكر بن زهر شاب نشأ في بيت الحافظ أبي بكر بن الجد فراره بمرطه للاستمرار في العلم والرياسة وكثرة المال والثلاثة فأجرى ابن زهر يوما ذكر في جماعة من أصحابه وقال لقد آذانا هذا الرجل اشد أذية ولم يقصر في القول عند أمير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له أحد غلمانه أي أذكر الأعداء ذاكرة مخاصمة في وضع عامر عليه ب واضعته في حاضرة في ذلك تلعب منه في النكاية اشد فبلغ فجرح ابن زهر وأظهر الغضب الشديد والإنكار لذلك وقال لو كنت أملي مجاري على العداوة ما جاريته

السفل والاوباش وانى أجعل ابن الذى حل من موضع الصمام وأمر بان يحمل له العقد ثم قال وانى والله ما أروم بذلك أصالحه فان عداوته شديدة من حسد وأنا أسأل الله تعالى أن يديمها الانعامة مقترنة بدوام نعم الله على * وان تعرضت الى ذكر البلاد وتصيير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع مايميت الحسود كمدا * أما اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى وتزيين الخارج والداخل وتمكن التمصر حتى ان العامة تقول لو طلب لبن الطير فى اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزة بالمناره والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره وأخبرنى شخص من الاكياس دخل مصر وقد سألته عن نيلها انه لا تتصل بشطيه البساتين والمناره اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك أخبرنى شخص آخر دخل بغداد وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لا ناه عن ذلك ولا منتقد ما لم يؤد السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته وأهله أخف الناس أرواحا وأطبعهم نوادر وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يتبذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذى ذكره أحد الوشاحين فى موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلية عروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف وسلكها الواد أى شرف قد حاز ما شاء من الشرف ادعى أقطار الارض خبره وسفر ما بمصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها فيها داخلا وخارجا حتى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى مصر والشام أيهما رأيت أحسن هذان أم اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جمال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين القوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامى والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى بر العدوة من هذا شئ الا ما جلب اليه من الاندلس وحسبهم الدف وأقوال واليرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقى البرابر وأما جواريها ومراكبها برا وبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فأصناف أخذت من التفضيل باوفر نصيب وأما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام أصحابها بها وكون أكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون

أموال الناس ومن الدين ما يصده عن محارم الله تعالى ومن العلم ما لا يجهل به التصرف في الشريعة أباحوا له الفتوى والشهادة وجعلوا علامة ذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الاقوال المالكية حتى انهم كانوا لا يولون حاكما الا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسي السلاطين وهي كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها نصر الله على عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبي عامر حين تم له ملك البرين وتوفرت الجيوش والاموال عرض بظاهر قرطبة خيله ورجله وقد جمع من أقطار البلاد ما نهض به الى قتال العدو وتدويخ بلاده فبلغ الفرسان على مائتي ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم من لا يعترض محاربة ولا يمل من مضاربة من أسماؤهم بأقاصي بلاد النصارى مشهوره وآثارهم فيها مأثوره وقلوبهم على البعد بخوفهم معموره ويحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشي فيها بضوء السرج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الاعظم فقد سمعت أن ثرياته من نواقيس النصارى وأن الزيادة التي زاد في بنائه ابن أبي عامر من تراب نقله النصارى على رؤسهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحى واديها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر عن كنائيتها وما فضل الله تعالى به تربها من بركة ما ينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جمال الورد الذي بلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يجنونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقطع غدره وهي وجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة انس وكثرة أمان من الغرق وفي جوانبه من البساتين والمروج ما زاده نضارة وبهجة * وأما جيان فانها بلاد الاندلس قلعة اذ هي أكثرها زرعا وأصرمها أبطالا وأعظمها منعة وكم رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولا خلت من علماء ولا من شعراء ويقال لها جيان الحرير لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بدود الحرير ومما يعد في مفاخرها ان ياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفر برا وبحرا وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها ولا يشترى كثرة وما كان بأبدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحماماتها وأرجائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرغت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار ولنسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار استلطاف يروق الطباع ويحدث فيها ما شاء الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولولم

قوله القرى في نسخة القروي اه

قوله وارجائها في نسخة وأرحاها اه

قوله ولولم الخ جواب لو محذوف أي لما ظهر ورهاأي لكماها اه

أرض وطئت الدرّ رضراضها * والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية فقتل وسبى وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منيته كما قال أشجع

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجمع ديوانهم ومنها كانت تسفر اسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون بجميع البضائع التى تصلح لهم وقصد ضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة * وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ما هو معروف مشهور ووادبها قسيم وادى اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدلة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغرده والازهار المتضده ما قد سمعت وهى من أكثر البلاد فواكه وريحانا وأهلها أكثر الناس راحات ورب الكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهى بلدة تجهز منها العروس التى تنخب شورتها لاتفتقر فى شئ من ذلك الى سواها وهى للمرية ومالقة فى صنعة الوشى ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلية التى تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال * وأما بلنسية فانها الكثرة بساتينها تعرف بطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متنزهات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هى موصوفة بذلك ومما اختصت به النسج البلنسى الذى يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب * وأما جزيرة ميورقة فهى أخصب بلاد الله تعالى أرباء وأكثرها زرعا ورزقا وماشية وهى على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والقصور وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله * لا يبتغى أبدا سواه معينا

هذا زان الله تعالى فصلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرنى الآن فى فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بنى عبد المؤمن على انفرادو غيرها فى حكم التبع * وأما علماؤها وشعراؤها فانى لم أعرض منهم الا لمن هو فى الشهرة كالصباح وفى مسير الذكر كسير الرياح وأنا أحكى لك حكاية جرت لى فى مجلس الرئيس الفقيه أبى بكر بن زهر وذلك انى كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمى من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول فى علماء الاندلس وكتابهم

أين الذي قد عادني * في است الذي لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدني والدي للحافظ أبي الطاهر السلفي قال وكفى به شاهدا وبقوله معتمرا

بلاد ادريحان في الشرق عمدتا * كاندلس بالغرب في العلم والادب

فحالهما تكاد الدهر تلقى مميزا * من أهليهما الاوقد جد في الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقي أبا نواس قال له أنشدني لابي الاجرب قال فأنشدته ثم قال أنشدني لبكر الكناني فأنشدته وهذان شاعران من شعراء الاندلس واعلم ان الذي تتبع كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ما عداه (يكفي من الحلي ما قد حف بالعنق) ولنبدأ بما نسوقه من اخبار الاندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم في الجد والهزل والنوادر والعزل بقول الفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران المارتلي وكان سكن اشبيلية

لاتلبس ثوبك ان أبليت جدته * وابلي الذي أبلت الايام من بدنك

ولاتكون مختالا بجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك

ولا تعمه اذا أبصرته دنسا * فانما كتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليحصبي اللوشي

شرد النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما

فحرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار في الذي * يتقي من حركاته وسكونه

انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكونه

وقال أبو وهب القرطبي

قوله القرطبي في نسخة القرشي اه

تنام وقد أعد لك السهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

وتصبح مثل ما تمسي مضيعا * كأنك لست تدري ما المراد

أتطمع أن تفوز غدا هنيئا * ولم يك منك في الدنيا اجتهاد

اذا فرطت في تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التي أولها أنا في حالتي الى آخره وجدت في تركته بخطه في شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم أبي وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال في الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان في أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون عليه يا مجنون يا أحمق فيقول

ياعاذلي أنت به جاهل * دعني به لست بمغبون

أما تراني أبدا والها * فيه كمسحور ومفتون

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

وقال أبو الفضل بن شرف

امرك ما حصلت على خطير * من الدنيا ولا أدركت شيا
وها أنا خارج منها سليبا * أقلب بادما كلتا يديا
وأبكي ثم أعلم أن مبكا * ي لا يجدي فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن * بكيت لقلة الباكي عليا
وان الدهر لم يعلم مكاني * ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا * اذا أنا بالحمام طويت طيا
أسر بأني سأعيش ميتا * به ويسوءني ان مت حيا

وقال الزاهد العارف بالله سيدي أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمي ومن نفسي
فمن رسولي الى قلبي ليسألهم * عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
سلوا فؤادي هل يندى ولو وطئوا * صخر الجلاد بما منه منبجس
وفي الشمال لو اوالوهم يحرجهم * فكيف قروا على أذكى من القبس
لانهض الى حشري بحبهم * لا بارك الله فيمن خانهم ونسي

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن يتبرك به في تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من أهل المرية وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله تعالى به * واعلم ان أهل الاندلس كانوا في القديم على مذهب الاوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك برأي الحكم واختياره واختلفوا في السبب المقتضي لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فأعظموه كما قدمناه ذلك وقيل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسيين عن سيرة ملك الاندلس فوصف له سيرته فأعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكابد لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما مما هو مشهور في كتب التاريخ فقال الامام مالك رضي الله تعالى عنه لذلك المخبر نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فنميت المسئلة الى ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي والله تعالى أعلم * وحكى أن القاضي الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور لما ندبه أهل الامر لولاية القضاء بمدينة فاس امتنع فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فأنشد

عليكم سلام الله اني راحل * وعيناي من خوف التفرق تدمع

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كبده من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجىء على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير تروّ ياسيدى جرت الايام بفراقك وكان الله جارك فى انطلاقك فعيرك روع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كانك والله يحتال ماتأتيه وما تدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع أن يعدك من العوارى السريعة الارتجاع فلا يأسف على قلة الثوى وينشد وفارقت حتى لا أبالى من أهوى ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جارية مشت بين يدى المعتمد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفى آثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جائلة الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبى الوليد البطليوسى المشهور بالنحلى وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فأجاب النحلى لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى دعص النقا * والتف فى ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعز جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعنا له صرف الزمان الجائر
واذا لمحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أومعنا كنت فقال له ياقاتل المحل أماتلوت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما ثملا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلى معه فخاء وقعد فى مسلخ الحمام حتى يستأذن عليه فجعل المعتمد يحبق فى الحمام وهو ثمل وقد بقيت فى رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز الازرق القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النحلى فصاده فلما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول مارتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصفون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبى اذا ظفرت منك العيون بنظرة الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فأمر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاص الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال

قوله سنة ٥١٨ فى نسخة سنة ٥٢٨ اه

الله تعالى ممارا العجب من أهل رما ما يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندى كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائل له من أنتم فقالوا من أهل الكوفة فقال تسألونى عن هذا وأنتم قتلتم الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموّله وروى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموّله وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه وفى حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفى لفظ بعض الرواة ولا تردّ على الله رزقه وهذا كله مبنىّ على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشئ المحرم بعينه فانه لا يحل له المسئلة من كلام ابن عبد البرّ انتهى * وحضر ابن مجبر مع عدوّله جاحد لمعروفه وأمامهما رجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا سأشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت فى رسالة الشقندى رحمه الله تعالى وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهرى كان فى وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا وبعدت على قربها منالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبى عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح

ان خير الفتوح ما جاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوى حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها وقال يا سيدنا اهتدم بيت وصاح خير شراب ما كان عفوا كانه خطبة ارتجالا فغدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسرّ أبو مجبر بجوابه وعجب الحاضرون * ومرّ المنصور أيام امرته بأوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن مجبر * ومن شعر ابن مجبر يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه

له حلبة الخيل العتاق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العرف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب انه * وان جرّدوه فى ملاءته التفا
وأبلق أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاذ حازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مج الراح صرفا أديمه * وأصفر لم يمسح بها جلده صرفا
وأشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطط الزاهى مهرق كاتب * فجرّ عليه ذيله وهو ما جفا

لو أعار السهم ما فى رأيه * من سداد وهدى لم يصف
حله الراح ميزان الهدى * يزن الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكننى * أعجب من بين لنا يقدر
كأنناً فى فلك دائر * فأنت تخفى وأنا أظهر

وهما الغاية فى معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلى

اذا الشتمت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عزمن وطرى
فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكرّ على ماطل فى الشعر

وقال القاضى أبو حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
واذكر قدها فأنوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
فأعقب بينها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب بزاة لحمام الحمام
كأنما الايدى قسى لها * والطير أهداف وهن السهام

قوله أحد فى نسخة مجيد اه

وقال أخوه أحمد

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه
وانظر الى الايكة فى برده * ولاحظ السدر بأطواقه
وقد بدا السرو على نهره * كغائص شمر عن ساقه

وقال أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله بن أمية البلنسى

اذا كان ودّى وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم
ومن أضيع الاشياء ودّ صرفته * الى غير من تحظى لديه وتكرم

ومن حكايات أهل الاندلس فى خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتجال ما حكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرنى من أثق به بما هذا معناه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبنى عباد بموضع يقال له الفنت تحف بها مروج مشرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور النوار فى زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها ووليها وجلتها فى زاهر ملبسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم الدر النوار قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزرى على مداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهز أبنواعس الاجفان وقد نوّر الانفراد للهو والطرب والتنزه فى روض النبات

وقال ابن بسام ان جماعة من اصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا أبا عامر انك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتي منك ها زلعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف انا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زبدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كانت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت خفافهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
منتقد الجانبين ماض * كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافى عن المعالى * والحد من دونها فليل
فالشد فى امرها سجيح * كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى * وطاردت وصفه العقول
كأنما بابه أسير * قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لا يقول
ينظر من أسده الينا * بجرم تحتها يسيل
كأن أخفافنا عليه * مراكب ما لها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى * فهل على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطراتقيين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال له لا أترك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيأ فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك يا خليلى * قنافذ اتباع فى زنبيل
من خرشف معتمد جليل * ذى ابر تنفذ جلد الفيل
كأنها أنياب بنت الغول * لو نخست فى است امرئ ثقيل
لقفرته نحو أرض النيل * ليس يرى طى حشا منديل
ثقل السخيف المائق الجهول * وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى * ولا طعمتها على شمول

انتهى

قوله لقفرته فى نسخة لقذفته اه

وقال فى بدائع البدائه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى بخمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بدا خط عذاره فى صحيفة خده وكمل حسنه باجتماع الضد منه مع ضده فكأنه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدى أن تبدى عذاره * وهم خان القلب من اصطباره
وقد كان ظنى أن سيمحق ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره

كثيرا مايداعبني في أمرهما ويستجلب مني القول فيهما والكلام في التفصيل بينهما فقلت للوقت

يا مالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لما تهديك أمننا * في الليل بين الشمس والقمر

فاربى وأمر في الحال باحضار المعاقب منهما فحضر والنوم قد راد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة في وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لي * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا بات الانوار فيه * تعاون في مدافعة الظلام
فمن نور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس بهوداء * فتحسب راحها ذوب الضرام
يجيل به غصو نامن قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلي فيه يشدو * فينسي الغوس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن أيوب المرجي * اذا ماضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فما شمس تقاس الى نجوم * تحاكي قدره بين الكرام
فدام مخلدا في الملك يبقى * اذا ما ضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفي ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لي انتهى * ولابن طاهر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن أعجب ما دهيت به ورميت الآن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطري الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أني كنت في خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشي والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون في الخدمة مرتصدون لافاويق النعمة فحضرت في جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل المعسكر الاحضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا حتى غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر في دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفي الدين أبي محمد عبد الله بن علي وزير دولته وكبير جملته وهو مفصوص الختام مفكوك المدام فتصفحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه ويستحثه على عوده كابه الى بلاد الشام للمشاعرتها وقع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جمرها

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بما جرت هالاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
نجم أو قد جاءت كمثل الروض اذ * لم تدو هالا بالحيا تزاركا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرتك وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شممت يعقوب اذ * اشمتني مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم ولا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندي وأنت هناكا
أم كيف احنى والبلاد جميعها * محمية في جاه طعن قناكا
يكفي الاعادي حرباسك فيهم * أضعاف ما يكفي الولي ندا كا
مادرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت وديت عن رؤياكا
أم البلاد علا علي اقدرها * لاسيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهي قد * حوت المعلى في القداح أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وامنح غيرها سقياكا
مكثي جهاد للعدو لانني * أغزوه بالرأي السديد دراكا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالسير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحتثني شوقي الى لقياكا
اني لامحك المحبة جاهدا * وهواي فيما تشتهيه هواكا
فاخر فقد أصبحت بي وبآلك السامي وكل ملك يخشاكا
لا زلت تقهر من يعادي ملككا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أبصر آلك الباقي أبا * وتعيش تخدم في السعود أباكا

ثم عدت الى مكاني وقد بيضتها وحليت زهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآني السلطان قد عدت قال لي هل عملت شيأ طامنه أن العمل في تلك اللمحة القريبة متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشد فأنصت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس في الظنون وترقبوا ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدي اعجابا وتعاضت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بأنه المعلى في الذين اداضر بقداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه دمعا لذكره وابان صفحته محقق المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فتقدم مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها اياه وعند حصولها في يده قام من غير اشعار لاحد عاد ارمى ارادة القيام في خلده ستر الماطهر عليه من الرقة على الموالي الاولاد وكتما لما عليه من الوجد بهم والمحبة لهم وانفض المجلس وأما حال الصاحب على هذا الفعل الذي عز ربي وشاطرني بالتعريض له أشياء كان يقترحها علي فاسددتها من بين يديه وجعت الامر بها على الذي

انظر لطرد الماء تصحق * ولما رحلتى كم امن صال
قد عاد شدى فى المضايق شيمتى * كبلال بن مدافع بن بلال

وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومشبه بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كمت دياجى الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عبوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تفرق عن صبح من العاج باهر
وان غاص فى بحر الشعور رأيته * تبشر ما أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الصبح * حسنا ويسرى فى الدجى الفاحم
وكانما قلب فى لمسة * أصحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر فى دار الاغماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهى شمس تحت سحاب النقاب وغصن فى أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تلفت تلفت الظبى المذعور أفرقه القانص فهرب وتثنى تثنى الغصن الممطور عانقه النسيم فاضطرب فسألوا العمل فى وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدى القيروانى

قوله العطار فى صفة ابن القطان اه

أعرض لما أن عرض قالى بكى * حذرا فأين تلفت الغزلان

ثم صنع

لها ناظر فى ذرى ناضر * كما ركب السن فوق القناة
لوت حين وات لنا جيدها * فأى حيا قد بدت من وفاة
كما ذعر الظبى من قانص * فزود كرر فى الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعتا
كملت محاسنها فود البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو نعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى
قالت انا الظبى العسير رواعا * ولى وأوجس نبوة فتلفتا

قال على بن ظافر وحضر يوما عند بنى خليف بظاهر الاسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما وكاد يزرى بزاحمه أبواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثناياه شرفاته واتسمت بالحسن خناياه غرفاته وأشرف على سائر نواحى الدنيا وأقطارها وحمته الرياض بما أتحفتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد انتثر فى زبرجد كرومه والجو قد بعث بذخائر الطيب لطيمة نسيمه والحل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والطل يتلألؤه فى مسارب النسيم ومساحبه والمعر

ومهمهم صرح الفتور بشدة * وأقام بين تبدل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أومى الى بكأسه فكدمتها * ورنا فشعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لاخذت في تلك السبيل بأحدى * فيما مضى ورعت فيها مرعى انتهى

وحكى الحميدي أن عبد الملك بن ادريس الجزيري كان ليلة بين يدي الحاجب بن أبي عامر والقمر يبدو تارة ويحجبه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمى عني اليه * لراجعني بتصديق جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه به هذه الابيات

أما ترى برد يومنا هذا * صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت شدة البرود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بما الشمول مصطليا * تغد سير اليك اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالي أبا العلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا
مادام من أرض قرطبة مشربنا * دع دير عمى ودير باباذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فأمر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا في شأنهم فرأوهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسماهم حتى تمايح القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عياش فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هاك شيخا قاده عذر لكا * قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغي ملكا
أنا لو كنت كما تعرفني * قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا * ورأى رعشة رجلي فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي يعرف بالمكبك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره

صباح اصطباح باسداره * لطاف تحيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤوس * فما زال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنا فاتنا * وأحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فتطير ما يذهل الناظرا
ويحطمها اذ يسل سرباله * فيطير طالعها عاثرا
فظاهرها ينثني باطنا * وباطنها ينثني ظاهرا
وشاهدت ما لا احاط به * دقائق تثني الحجا حائرا
وفي سورة الراح من سحره * خواطر ردت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فالوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المعربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن دريد بحيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشى ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكأنه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت في سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

يا شمعة تحملها أخرى * كأنها شمس علت بدرا
امتعت احدا كما هتى * عدل ما تقضي الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديها

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ما تضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على غرفة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على الغرفة فقال له الرجل انها لا تسعنا فقال ما ذكر * وقال ابن بسام أيضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم في ذلك فقال ابن هند الداني فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أبى الحق أن تحكي سرافيل نافخا * وامكث في رمس الصدود وألبث
فيا نبي الحسن تأتي بآية * فتنفخ في ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم فمر عليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

قوله "نبي الحسن" في الدرائع خيار الناس وهو الانسب باسمه والاول أنسب بقوله تأتي بآية اه مصححه

ثم قال مامعناه وقوله بيان غير معروف فان لو تالم يجئ جمعها على بيان وقد كان سيبويه خطأ بشار بن برد في قوله في صفة السفينة

تلاعب نينان البحور وربما * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فعيره بشار بنينان البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

وهن مع السيدان في البر عسل * وهن مع النينان في البحر عوم انتهى

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستعين بالله سليمان بن هود الجذامي رحم الله تعالى الجميع * وعبد الله كورعى قصبة ابن وهبون في هلال شوال بما نصه شرح ابن وهبون يوما النظر هلال شوال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يحمل الذرر ويذوى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بأنقاسه وورده خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

يا هلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض شمالى

هل تحكى سناه مجد اجتذ * فم خفتى لحد قد عثال انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية في غير هذا الموضع بلفظ الفتح في القلائد وانما أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها بما يخالف طريقته * وذكر ابن بسام أن الوزير أبا عبد الله بن أبي الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جئنا للحاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان في بؤس

وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبي عامر بن عبدوس

لما قاص له خلق * أقل تذميمه البرق

اذا جئناه محتجبا * فلعنه وبعترق

وهو تمليح مليح سامح الله تعالى الجميع * وقال أبو جعفر الكاتب القرطبي الربضى

وأبى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهمال اللاهى

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لا لله

وبعضهم نسبها لابى القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاول * وقال ابو جعفر المذكور في فوارة رخام كالمهد وصفها والى قرطبة

ماشعل الطرف مثل فائرة * تمج صرف الحياة من فيها

اشرب بها والحباب في جدل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تقمها * تخطفها العين ادتوافيها

كأنها ادرة منعمة * زهرا قد ذاب صفها فيها

ومن شعره أيضا

ضحك المشيب براسه * فبكى بأعين كاسه

رجل تخونه الزما * ن برؤسه وباسه

قوله القبطرنة في نسخة من البدائع القبطرية وقوله ويذوى فيها ويرى اه

مهما ذممت جارما * نى فى زمانك بالذميم
زمن كمألوف الرضا * ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أقواه سليم
الله يعلم أن حبـ * ـك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى بأى خلال سر * رك فيك أقبل أو أهيم
أبجودك العمم الذى * سبق الحديث مع القديم
أم طرفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الجما * م وبشرك الغض الجميم
ان أشمست تلك الطلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كاللآ * لى من نثير أو نظيم
ابلاغة ان عدّها * لوها وأنت بها زعيم
فقر تسوغ بها المدا * م اذا يكررها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعـ * ـمى فيك لا بل أستديم
فلقد أقر العين أنـ * ـك غرة الزمن البهيم
حسبى الثناء بحسن بر * رك ما بدا برق وشيم
ثم الدعاء بأن تهنـ * ـا طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تلقتـ * ـه نغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يبنى مجلسا
صنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمر يبهج الانفسا
وبعد ذا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى السرور بها والرضا * ووقى الاسواء والابؤسا
ودام عباد لعضد الهدى * يحرس حتى يفنى الاحرسا
معتضدا بالله احسانه * يجبر اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الذى المتقى * من كل مجد علقه الانفسا
ان رام يوما وصف علياته * مفوه مقتدر أخرسا
لازال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الاكؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجدد فقد الانفس

ان الزمان الذي مازال يضحكنا * انسا بقربهم قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا * وانبت ما كان موصولا بأيدينا
بالامس كنا وما يخشى تفرقنا * واليوم نحن وما يرجى تلاقينا
ياليت شعري ولم نعتب أعاديكم * هل نال حظا من العتبى أعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه * وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لارواحنا الا رياحينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأي المحبينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياساري البرق غاد القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عنى تذكرنا * الفا تذكره أمسى يعنينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حيا كان يحيينا
من لا يرى الدهر يقضينا مساعفة * فيه وان لم يكن غبا يقاضينا
ربيب ملك كأن الله أنشأه * مسكا وقدر انشاء الورى طينا
أو صاغه ورقا محضا وتوجه * من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تأود آدته رفاهية * تدمى العقول وأدمته البرى لينا
كانت له الشمس ظئرا في تكلله * بل ما تجلى لها الا أحايينا
كأنما أثبتت في صحن وجنته * زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضر ان لم نكن أكفاءه شرفا * وفي المودة كاف من تكافينا
ياروضة طالما أجنت لواحظنا * وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
ويا نعيما خطرنا من غضارته * في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وما شوركت في صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسدرتها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

ياهلالا تراآه * نفوس لاعيون
عجباً لقلب يقسو * منك والعطف يلين
ما الذى ضرك لو سر * بمرآك الحزين
وتلطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحى * وأنت من الزمان مدى اقتراحى
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحانى وراحى
فديتك ان صبرى عنك صبرى * لدى عطشى عن الماء القراح
ولى أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
واعجب كيف يعلبنى عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحى
ولما أن جلتك لى اختلاسا * أكف الدهر للحين المتاح
رأيت الشمس تطلع فى نقاب * وغصن البان يرفل فى وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالى وصال واجتناب * وفى يومى دنو وانتزاح
وحسبى أن تطالعك الامانى * بافقك فى مساء أو صباح
فؤادى من أسى بك غير خال * وقلبى من هوى لك غير صاح
وأن تهدى السلام الى شوقا * ولو فى بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أريد ولا أراد * لله ما لقى الفؤاد
أصفى الوداد الى الذى * لم يصف لى منه الوداد
كيف السلو عن الذى * مثواه من قلبى السواد
يقضى على دلاله * فى كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
ياهاجرى كم أستفيد الصبر عنك ولا أفاد
أفلا رثيت لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا فى الهوى * خطأ فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

متى أنسك مالى * يا راحتى وعذابى
متى ينوب لسانى * فى شرحه عن كتابى
الله يعلم أنى * أصبحت فيك كما بى
فلا يلذ منامى * ولا يسوغ شرابى

لى بيمه المثل السائر فى * جانب القصر الى ارض مصر
ثم قد وفق عمد عظمت * نعمة المولى عليه فشكر
لاعداحظك اقبال يرى * فاصبيا أبناؤه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك * سرت فى ارضائه أزكى السير
حين صممت الى أعدائه * فاتهم سم ملك صماء العبر
فاض غمر للذى من فوقهم * كان يروى شربهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق * اذ رأى آثاره مثل الزهر

وهى طويلة وقال رحمه الله تعالى

لم يكن هجر حبيبى عن قلا * لا ولا ذاك التجنى ملالا
سره دعوى ادعائى ثم لم * يدر ما غاية صبرى فابتلى
أنا راض بالذى يرضى به * لى من لو قال مت ماقلت لا
مثل فى كل حسن مثل ما * صار حالى فى هواه مثلا
يا منيت الملك يا شمس الضحى * يا قضيب البان يا ظبى الفلا
ان يكن لى أمل غير الرضا * منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا * ياليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذ نحن فى روضة للوصل أنعمها * من السرور غمام فوقها صابا
انى لاعجب من شوق يطالبنى * فكلما قيل فيه قد قضى ثابا
كم خطرة لك عندى قد علمت بها * يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم * فان أكلفه يوما سلوة يابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكرا الهوى من بعد نسيانى * واستحدث القلب بعد العشق سلوانى
من حب جارية يبدو بها صنم * من اللجين عليها تاج عقيان
غريرة لم تمارقها تمائمها * تسبى القلوب بساجى الطرف وسنان
لاستحدثن من عشقى لها بدلا * يحيى سوالف أيامى وأزمانى
حتى يكون لمن أحببت حاقية * نسبت فى حبها كم رايا عان

وقال رحمه الله تعالى

أنت معنى الهوى وسر الدموع * وسبيل الهوى وقصد الولوع
أنت والشمس ضرتان ولكن * لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يا مؤنسى تكلفك العتب دلا لامن الرضا الممنوع
انما أنت والحسود معنى * كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

ياليل طل لا أشتهى * الا بعهدى قصرك

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها في غير هذا المحل جملة وسألت جارية من جواري الاماس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

يا معطشي من وصال كنت وارده * هل منك لي غلة ان صحت واعطشي

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهي لا تعلم انه يعلم فقال

كسوتني من ثياب السقم أسبغها * طلما وصيرت من لحف الضنى فرشي

أني بصرف الهوى عن مقلة كحلت * بالسحر منك وخد بالجمال وشي

لما بدا الصدع مسودا بأحمره * أرى التشاكل بين الروم والحبش

أوفى الى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش

لو شئت زرت وسلك الليل منتظم * والافق يختال في ثوب من الغبش

جفا اذا التذت الاجفان طيب كرى * جفني المنام وصاح الليل يا قرشي

هذا وان تلفت نفسي ولا عجب * قد كان قلبي في تلك الجفون حشي

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسي صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني * وهمت في حب عزون فعزوني

ثم ارحموني برحمون وان ظمئت * نفسي الى ريق حسون فحسوني

قال ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفناني

في فيه سمط جوهر يروي الظما * لو علقت ببروده أحياني

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الانصاري الاشبيلي المعروف بالابيض في مشبة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل في هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عند ما عطسا

تعشق الدرع مذ شدت لمائمه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا

تعلم الركض أيام المخاض به * فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمي في غلام يرش الماء على خديه فتزداد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع في * أرجائه قمر والحسن يكمله

أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والارداف تخجله

يرش بالماء خديه فقلت له * صف لي لما أحمر الياقوت تصقله

فقال طرفي سفاك بصارمه * دماء قوم على خدي فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبي * ثم هب ريح صده

فشرار النار طارت * فانطفت في ماء خده

بلفسه وعليها اذا ما شبهها درر * تحالها احتلت بر ثغره الحصر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت فى الافق بالقمر

وقال

تفوّعن أساسا وأشرقن أوجها * فهن منيرات [illegible] اسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا [illegible]كائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها [illegible]
وميز فى زمانك كل حبر * وباطر أهل [illegible]
وطن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فا[illegible]
أرادوني بجمعهم فردّوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت [illegible] ادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لا سرح من نواظري * فى ذلك الروض النضر
ولا كانسك بالمنى * ولا شربنك بالنظر

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعدى أن يسوّد معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذا النجوم الجوّ تبدو زواهرا * اذا ما توارت فى مغاربها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جميلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين ألمابى عـلى مقـة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفصيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى الـيه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مصبوغ من العسق
وكحل عينىّ سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لا * كن فاستمع لمقالى فى متسق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى حمرة الشفق
وفضل ما عيب فى عينىّ من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * لونى كذا حبها يقضى على رمقى
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * بمهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
فقلت عفوك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لي عن رائه * وكنت في قعدد ابنائه

يريد ابن عبد ربه وقال

ان كنت في قعدد أبنائه * فقد سبق أمك من مائه

فانقطع القلفاط خجلا وعاش ابن عبد ربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى *(ومن الحكايات في مروءة أهل الاندلس ما ذكره صاحب الملتمس في ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله يحسب الناس بأني متعب الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب الملتمس ثم قال أعني صاحب الملتمس ومن أغرب ما يحكى أني كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الفرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك ولم يوفق الله بيني وبين الزوجة فخشيته وشكوت له ذلك فقال اما انا كان القصد لي احتفاء بكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضا في افتراقكما اذ هو من غرضك وخرج في الحين فحصل القضية ولم أرفى وجهه أولا ولا آخرا عبوسا ولا امتنانا ولا تصعيب ثم انه طرق بابي فخرجت له ودخل وفي يده مخفظة فيها مائة دينار مؤمنية ثم قال يا ابن أخي اعلم أني كنت السبب في هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عندي عملك والله الا ما سررتني بقبوله فقلت له أما أنا أستحي منك في هذا الامر والله ان أخذت هذا المال لا أتلفته فيما أتلفت فيه مالي والذي من امور الشباب ولا يحصل لك أن تمكني منه بعد أن شرحت لك أمري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة وانصرف بماله انتهى * ثم قال صاحب الملتمس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبي عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل * وكم ذا أحوم ولا أنزل

وأزجر عيني فلا ترعوي * وأنصح نفسي فلا تقبل

وكم ذا تعلل لي ويحها * بعل وسوف وكم تمطل

وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل

وفي كل يوم ينادي بنا * منادي الرحيل ألا فارحلوا

أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل

كأني بنفسي الى مصرعي * يساق بنعشي ولا أمهل

فياليت شعري بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثاني قوله

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه

لا تقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه

قوله في قضائها الخ الاول حذف في أو هي بمعنى اللام تأمل اه مصححه

قوله أبي عمران في نسخة أبي عثمان اه

ياعاذلي في مذهبي * أردالك شرب اللبن
أعطيت في البطن سنا * نار تقالب سنني
أي فتى حالفني * يوما ولما يلقني
فاني لصاحبي * وانني واني
فلا تكن لي لاحيا * وفي الامور استفتني
فلم أزل أعرب عن * نحوي لمن لم يلحني
وان تسمه نظري * ومذهبي وتنهني
فاسمع تستوجبه * نعم وتنف الدقن
والربل في وجهك يعـ * ـلو باتصال الزمن
وبعد هذا أشتفي * منك ويبرا شجني
وأضرب الكف أما * م ذلك الوجه الذي
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قحقح قح قحقح قح * الضحك يغلبني
قد كان أولى بك عن * هذي المخازي تنثني
السفي تستوجبه * لو اسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدي صديقا كان لي * بنفسه يسعدني
فتارة أنصحه * وتارة ينصحني
وتارة ألعنه * وتارة يلعنني
وربما أصفعه * وربما يصفعني
أستغفر الله فهـ * ـذا القول لا يعجبني
ياليت هذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الـ * ـحديث من يسمعني
دهرتي لي واقفي * عني كطيف الوسن
ياليتني لم أره * وليته لم يرني
دست فيه جانبي * وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي * لكن ببخس الثمن
كأنني ولست أد * ري الآن ما كاني
والله ما التشبيه عنـ * ـد شاعر مـــين
لكنه أنطقني * بالقول ضيق العطن
واحسرتي واأسفي * زات وضاعت فطني
لو أنصف الدهر لما * أخرجني من وطني
وليس لي من جنة * وليس لي من مسكن

كذلك الخياط بالشرب الذى يقتضى
تطبخه حتى يرى * يحمر فى التلوّن
والزين فى الصبا * فحسب أهل البطن
فاسمع قضايا ناصح * يأتى بنصح بيّن
من اقتنى الحق فهو نعم المقتنى
وان فى شاشية الشعير انسا للعنى
تبعدنى عن وصلها * عن وصلها تبعدنى
تؤنسنى عن اللقا * عن اللقا تؤنسنى
فأصلى ان ذكرت * تهوى كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يمكن
وصدّنى عن ذا الثقافة الوفا بالثمن
ايه خليلى هذه * مطاعم الكنى
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعنى
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الالسن
يصوّر الاشياء وهى * أبدا لم تكن
فقوله يريك ما * ليس يرى بالممكن
فاسمع وسامح واقتنع * واطو حشاك واسكن
ولنصرف قصدنا * اطراف هذا الموطن انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * فى أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع

لقد غضبت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الشيب الملم بلمتى * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بحيق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء ما بين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمه فقلصت عنه تلك النعمه وأخرج عن تلك العنايه وارتحل الى بجايه وهو الآن بها عاطل من الرتبه

لاسيما اذ تلتقي حضرة * فيعاب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فتسمع الهمس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذي ورده * ما زال فيه لذة الشاربين
وما حوى ذلك الازار الذي * لم يعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها في غلام كان من أدباء اشبيلية قد صبوا به وكان من ورده على داره ويحكى عنه انه أعطاه في زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صادفه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على ما فيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من أشد الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد في حقه انه بيته باشبيلية من أجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وحموت وكان أديبا شاعرا ذوّاقا لاطراف العلوم انتهى * ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر احمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بني عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس ورعا استوزره في بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو ممن كان والدي يكثر مجالسته ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه في مجالسته وكان شديد التهور كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو في محفل يقول تقمون القيامة لحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي الى ما لم يهتدوا اليه فأهوى له شخص له فقة واقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أطالك تعني الانفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذي أقول ما لم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدي لمثله متأخر

يا هل ترى أطرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * في الارض الا بكؤس الشقيق

فلم ينصفوه في الاستحسان وردوه في الغيظ الى أضيق مكان فقلت له يا سيدي هذا هو السحر الحلال فبالله الا ما زدتني من هذا النمط فقال

أدرها فالسماء بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالي
وخد الروض أحمر اصيل * وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق من لآل * تمنى بهن أكناف الليالي

فقلت زد وعد فعاد والارتياح قد ملك عنانه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عند دارته * عاين طرفي منه سحرا حلال
اذ أصبح الطل به ليلة * وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فأنشد

والماماح بحر الليل بيني * وبينكم وقد جدت ذكرا
أراد لقاكم انسان عيني * فمد له المنام عليه جسرا

بجهــلا لمثلك أن يبكى لما قدرا * وأن يقول أسى يا ليته قبرا
فاصت دموعك ان قاموا بأعظمه * وقد تطاير عنه اللحم وانتثرا

ومنها

ضاقت به الارض مما كان حلها * من الايادى فلت شلوه نجرا
وعز جسمك أن يحظى به كفن * فاستربل الا الشمس والقمرا

وقال أبو العلاء عبد الحق المرسى رحمه الله تعالى

يا أبا عمران دعنى والذى * لم يزل بى خاطرى الا اليه
ما مدحى غير من يحدمنى * لا الذى يجلسنى بين يديه
يرفع الكلفة عنى ويرى * انها واجبة منى عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لا تخش قولا قد عقدت الالسنا * وابعث خيالك قد سهرت الاعينا
واعطف على فان روحى راهق * وانظر الى نظرة ان أمكنا
لا يخدعنك أن ترانى لابسا * ثوبى فقد أصبحت فيه مكمنا
مازال سحرك يستميل خواطرى * بأرق من ماء الصفاء وألينا
حتى غدوت بحر حب زاخر * فرمت بى الامواج فى شط الضنى

وقال

فالنسيم لدى الاصيل عليلا * أتراه يشكو زفرة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وقال أبو عبد الله بن عساكر الغسانى قاضى مالقة

أهوى النايابدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مربها من قريب
مالى تنصرت ولكننى * أقول بالتثليث قولا غريب
يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن عصفور قاضى اشبيلية مع براعته وتقدمه فى العلوم الشرعيه أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعيه وقد اشتهر بسرعة الخاطر فى الارتجال وعدم المماطلة فى ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء فى أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عينى * وليس لى وصلة اليها
الا سلامى لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تفرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح هيما
أتانى ثم حيانى حبيب * به وأباحنى الخد الرقيما
فقرأنا نجون فى فنون * سلكت به الصراط المستقيما

ذاك وقت لولا معيك عنه * كان بالمدح والثناء حليقا

قال وأجاب عم سامي الوزن دون الروى

قد أتتني من الجمال قصيدة * يالها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب المسك في سبكها وصفو الماء
قارنتها طباعه وشذاه * والذي حازه من ذكاء
سيدي هل جمعت فيها اللآلى * يا أخا المجد أم نجوم السماء
أشمتني حسنا وحق أياديك التي لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يا مولائي
هل يسامي الثرى الثريا وأنى * يدعى النجم فرط نور ذكاء انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان معتمدا * في كل يوم الى أن يكثر العدد
في واحد منهم تصفي الوداد له * من التكاليف ما يفني به الجلد

وله

تحن ركابي نحو أرض ومالها * ومالي من ذاك الحنين سوى الهم
وكم راغب في موضع لا يناله * وأمسيت منه مثل يونس في اليم
بمداقص الرحمن في كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجي باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسي في البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهري القرطبي في ذلك

كأنما الراية السوداء قد نصبت * لهم غرابا بين الاهل والولد
مات الهوا تحتها من فرط روعته * فأظهر الدهر منها لبسة الكمد

وأنشدهما القائم الباجي في جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلي

أمسى الفراش يطوف حول كؤسنا * اذ خالها تحت الدجى قنديلا
مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب براسي
والغصن أحوج ما يكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسي

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صفوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع
وماودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله في فتى وسيم عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قامر الارواح ناظره قمر
تعمد كلب عض وجنته التي * هي الورد ايناعا وأبقى بها اثر

واتفق أن وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة واستطرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها

ألا يا حبذا ضحك الحبا * بحانتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جنبتيه ريح رخاء
اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة في ديوانه صاحبت في صدري من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع في النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير وملّ الركب رسيمه وذميله وأخذ كل منا زناده فقدحه اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق مناما حتى نقول في صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطري فقلت أتربص به وأعرض بعظم ساقيه

ألا قل للمريض القلب مهلا * فانّ السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غرّ * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى الجميع هناك أرضا * وقد شمل العجاج به سماء
ودبّ به اختلاط ابطال واد * مذ أعشب شعر ليته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لي ومعهم صبي منهم في نفسه واتفق انهم تحاوروا في تفضيل الرمّان على العنب فانبرى ذلك الصبي فأفرط في تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلى لك الخير برمّانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لاعما أمتص عنقوده * ثديا كأني بعد في المهد
وهل يرى بينهما نسبة * من عدل الخمصة بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما بشاطبة الى باب السمار ابتغاء الفرجة على سرير ذلك الماء تلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبي عمران بن أبي تليد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك فألفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يامن يمرّ ولا تمـ * ـرّ به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما في القطعة سياقه الاعداد والا فأنت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذي قبله فينزل بازاء

لله يومى بمركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب * كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوّفة * دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نورها على فرش
فعاطنى الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
وأسقنى بالكبار مترعة * فهنّ أروى لشدّة العطش
فأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعى الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه فى الباب الخامس فى المرتحلين من الاندلس الى المشرق * وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن على ابن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية فى الميدان وقد وقف يرمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

ياملكا مذ خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت فى قربك الناسا
وودّت الاملاك لو أنها * تحوّلت تحتك أفراسا
كما تقى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا انتهى

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشى وزير الرئيس أبى اسحق بن همشك صهر الامير أبى عبد الله محمد بن مردنيش فى غلام أسود فى يده قضيب نور بديها

وزنجىّ أتى بقضيب نور * وقد رويت لنا نت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى المكى فى هجاء أهل فاس تعسفوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصى من قبل أمير المسلمين على بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجيانى وكان يتولى امورا سلطانية بها فقدموا رجلا ادّعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالرنانى ورجل آخر يكنى بأبى الحسين من مشايخ البلد فأثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذى أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الرنانىّ الفقيه بصفة * يشهد بأنّ مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * مابال عبد الله عرس أبى الحسين

وقال أبو الحسن على بن عتيق بن مؤمن القرطبى الانصارى عمل والدى محملا للكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه وقال ارتجالا

أيها السيد الذكىّ الجنان * لاتقسنى بسلم البنيان
فضل شكلى على السلالم أنى * محمل للعلوم والقرآن
سرت من حلية المحبين صفرى * واصفرارى ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد نفور * ثم والى الدعاء للاخوان

قوله همشك فى نسخة همشك اه

قوله أبو الحسن فى نسخة أبو الحسين اه

وأنشد

كف هذا النهد عنى * فؤادي منه جريح
هو في صدرك نهد * وهو في صدري رمح

وعمر في البدائع على طريقة القلائد عاصورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه أخبرني ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر عند المؤتمن بن هود في يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى نبل ودقه وحلت الرياح فيه أوقار السحاب على أعناقها وتمايلت قامات الاغصان في الحلل الخضر من أوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق ألوان البز وبث ما يعلو العطر والراح قد أشرقت نجومها في بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فطلعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خدها حسنا فتكلل بعرق حبابه اذا بمؤتمن روحي من أصبح فتيان المؤتمن قد أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخز اكتسبت حبابا والطاووس انقلب حبابا فهو ملك حسنا الا أنه جسد وغزال لينا الا أنه في هيئة الاسد وقد جاء بريد استشارة المؤتمن في الخروج الى موضع كان عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه في ضواحي قلبه فأشار اليه وقربه واستدعى ذلك اللباس واستغربه وجد في أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلي عنه كما يجلي النلث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقي على عادته القديمة ورسمه فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كئب المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب في مجلس
متأود الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقى بكأس في أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب في دلال عذاره * كالمهر يلعب في اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبي المكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بساقيه من دمعي فريد
قسا قلبا وشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا وأرى رضاه * وقد يبكي من الطرب الجليد

قوله انقلب حبابا في البدائع تحبابا اه

قوله ضواحي في البدائع نواحي اه

قوله وان يجلي عنه كما الخ في البدائع وان يجلي عنه سهكه كما الخ اه

قوله يندى في البدائع يبدي بالباء اه

من أصحابه فلما رأى الجلد الذاة قد وثب راجعا على عقبه فقال له أصحابه ماهذا أيها الاستاد فقال البعلة نمرت فمحوا من تعدلك كيف طن مع مايقاسيه من ألم المشى ونصب التعب انه راكب وأن حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له فكان تعدله ربما أوقعه في تهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كاتب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كاتب بجيم لاح في حومة الوغى * وقارنه نسر هالك أوذيب
جوارح أهليه حروف ورعا * تولته من نقط الطعان أنابيب

وقال الحميدى ذكر لى أبو بكر المروانى أنه شاهد محبوبا الشاعر النحوى قال بديهة في صفة ناعورة

وذات حنين ماتغيض جفونها * من اللجج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتحيى من دموع جفونها * رياضا تبدت بالازاهر في بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض واد كى مشمط
كأن طروف الماء من فوق متنها * لآلى جمان قد نظمن على قرط

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى فوقع الكلام في علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركى سماحا * فلمثلى يحق منك السماح
ان تحلى اذا نطقت عييا * فبيانى اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو في نظام ونثر * ثم أثنى وفى العنان جماح
فتهزل كما تأود غصن * وتجد كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه مرة بشاطبة في اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه فأنشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبرى * استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بأديمى
ودعونى بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعا أبى أبا الوليد النحلى فلما قصروا طرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما مشت في النحلى سورة الحميا ارتجل

لابن طوفان اياد * قل ما يشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل في البيت أبوه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة في الشاعر ابن القزاء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

وذكر في بدائع البداية أن جماعة من الشعراء في أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتأملوا ماسطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيهما فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على مارأت عيناك من هرمى مصر
أنافا بأعنان السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك أو النسر

قوله في تهمة في البدائع في تخمة اه

قوله تبكى والخ في البدائع (وتبكى فتحيى من دموع عيونها لآلى رياض بالازاهر في بسط) اه

قوله تهزل في البدائع تسل اه

٢ قوله المتقبل في البدائع المعقل اه
٣ قوله ويتأملوا في البدائع ٢ ويقرؤا اه
٤ قوله بأعنان في البدائع بالكاف
٣ وقوله أو النسر فيهما على النسر وبالجملة فبينهما وبين ماهنا بعض اختلاف أغلبه نقل بالمعنى اه
٤

قصدني قد قرأته وأكرمته وصحبته بالاصغاء الى كلامه وتقدم عليه بالسؤال عن هذه واحذر أن تكون للعادة فانها من أسوإ الادب فقال ابن جودي لم يزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام (يأخذ من ماله ومن أدبه) * وحكى أن بكارا الروائي المتزلق وطنه وسرح في الجهاد وقتل قال صاحب السقط انه اجتمع به في اشونة فقال قصدت منزله ما ونقرت الباب ونادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لرؤياك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والا فتجنى فقلت أرجو في الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به في مصلاه وسبحة أمامه وهو يعدّ حبوبها ويسبح فيها فقال لي ارفق عليّ أتمم وظيفتي من هذا التسبيح وأقص حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف عليّ وقال ما القرابة التي بيني وبينك فانتسبت له فعرف أبي وترحم عليه وقال لي لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شئ فقلت له انه كان يأخذني بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أعبر به فقال لي هل تنظم شيأ قلت نعم وقد ألجأني الدهر الى أن أرتزق به فقال يا ولدي انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة وأنشدني أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فطلبت بخاطري شيأ أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لي الا مما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فأطرقت قليلا فقال لعلك تظم فقلت لا ولكني افكر فيما أقابلك به فقولي أكثره مما حملني عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجالسك فقال يا بني ولا هذا كله بالاسلم من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل (ان يصدق الطير ننـل عيشنا) فمن نحن حتى نأبى أن نسمع مثل هذا والله لا نشذ عن السلف الصالح أنشدني ما وقع لك غير متكلف فلم يعدني خاطري الى غير قولي من شعر أمجن فيه

ابطأت عني وانى * لفي اشتياق شديد
وفي يدي لك شئ * قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم * تعدلهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان في بطنك أطهر من هذا فقلت له ما وفقت لغيره فقال لا بأس عليك فانشدني غيره ففكرت الى أن أنشدته قولي

ولما وقفت على ربعهم * تجرعت وجدي بالاجرع
وأرسل دمعي شرار الدموع * لنار تأجج في الاضلع
فقام عذولي لما رأى * بكائي وقفا على الادمع
فقلت له هذه سنة * لمن حفظ العهد في الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجيء ويذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فاعدت فاعاد ما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحرّكك ما أنشدتك اياه فقال

كلما مرت روزة * قبض الله لي رقيب

قال فمازح قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدني زادك الله تعالى خيرا فانشدني

ما كان أني بدري قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب أني لا أصيق به * درعا فما حان حتى فت في عضدي
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالتلاقي رمق * فليس لي مهجة تقوى على الكمد

ثم قال حسبك وان كانتني زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتني الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتني وأكببت لا قبل رجليه فصمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه نحولي
أما السبيل لوصل * فما له من وصول
فقلت حسبي التماح * بحسن وجه جميل
ووجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعني فهذا * تعرض للمصول
فقلت عاتب وخاطب * بالأمس أهل العقول

فلا سمعي عتاب وبسط أنسي وكتبت كل ما أنشدني ثم قلت له لولا خوفي من التثقيل عليك لم أزل أستدعي منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وأنشدتك فما عندي مما أضيفك غير ما سمعته ومارأيته ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن أشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لي هذا غداء عملته نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن أين عيشك فقال يا بني عيشي بتلك الشبكة أصطاد بها في سواحل البحر ما أقتات به ولي زوجة وبنت يعودون من غزلهما مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة رضاها وحتم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وقد وفي نيتي أن أعود الى زيارته ورأيت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فقرعت الباب فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم نالة كالجنون فقلت له ماشأنك فقال اني أريد أن أموت شهيدا في الغزو وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو وأنا ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم وقال لي مسي هي التي قتلتني جواها أولا أقنص منها بها قتلها قال فقلت لها من خاف للنظر في شأنكم فقالت ليس ذلك لك فالذي خلفنا له لا نحتاج معه الى غيره فأدركني من جوابها روعة وعلمت انها شابة زهدا وصلاحا فقلت لي قريبة ويجب على أن أنظر في حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذي محرم ولنا من العجائز من ينظر منا ويبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا

فبلغ ابا احمد دراهم خدوها لتستعينوا بها فقال ما اعهد اني اخذتها ان عمر الله تعالى وما كان لسانى يحل بالمال فانصرف نادما على ما فاته من الاستكثار من شعر السمح والتبر لم يراد دعابة ثم تنبه لذلك الدار الاعمه فقال لى اقرأ انه قد قبله الله تعالى فعلت انه قد قبل فقلت انها أقبل فقرأت ولايعد من الذين قتلوا في سبيل الله الآية فانصرف مسرورا من حاله رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به وكان سعيد الخير واقع من الاندلس بدعائه في الدين والدنيا * وقال محمد بن ايوب المرواني لما كانت فتنة بمطامعه لم سلطا فيه دعائهم وانهاؤكما في اراس بنى مروان الا ابن سعيد بن المنذر فحرص بنا

نهضت بنا الملك مروان * وقد صح بعد الملك الطرد
ولبس من يحمل الى الا * اذا كان له ما الا ما لا بد منه

وعسه بو ما سعيد بن المنذر كونه قد رص لمدح خدام بنى مروان فقال له اعز الله تعالى السائد الوزير انكم تعلمون ذلك وتعلمون رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها اكرم منهم وان كان دونها وانى من هذا وهذا في امر لا يعلمه الا الله الذى لا اله الا هو وما زح النبى من الحلى وأما الذى أقول فما يحلل هذا المرغ

ليست لقوم لبنى على عزهم * ولى نسب عال وحظى نعل
اطلع عمرى بالسؤال والمنى * وكم يخدع المرء الامل المعلل
تعالى مكان ان ينقصه انهم * ولا مال منه استعف واسأل
ولكنى اقصى الحيا مخملا * وهل يطلب الانسان الا التحمل

فقال له سعيد قصد بالوصل فعطف الاعيه علما وعن انحراف مها وسطران شاء الله تعالى فما ردع اللوم عن الناس ثم تكلم مع الناصر في شأنه فاجرى له ارزاقا ادنى السلطان مكا هذه من حسان سعيد وأياديه * وقال المطرف بن عمر المرواني عدح المطرف المنصور بن ابى عامر

ان المطرف لم يزل مطرفا * مكانه من الرحمن عمر مصدل
وهو الاسى مكل ما قد جار * من دهمه وريا سه و صل
فلما صدرا كل ا فلبه * مثل السنان محمل ويحمل

ونصر بو مامع شاعر الاندلس في زمانه ابن دراج القسطلي فقال له القسطلي أنشدنى ابياتك التى اولها (على قدر ما تصفو الخليل تكدر) فانشد

عثرت من بني الايام مهدنا * ولم أدر انى نائب حين احذر
فاوحى كالراح للما واء ذى * على كل ما نحسبه نصر
الى أن دهانى اذا صب غروره * سقاها وأدانى المالس يذكر
وكدر عيشى بعد صفو واعا * على قدر ما تصفو الخليل تكدر

فاحر القسطلي وقال والله ان في هذه الابيات لشاعر وأنا أنشد له ما يناظرها الملال من شعرى

لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت ما لم افعل

ولكن يجعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن أين يلوح ذلك
فقال القسطلي من قولك وأداني الملابس يذكر فيما يطلق في ذلك الا انه أداك الى موضع فعل
بك فيه فاغتاظ الاموي وقال يا أبا عمر ومن أين جرت العادة بأن تمزح معي في هذا الشان
فقال له حلم بني مروان يحملنا على أن نخرق العادة في الحمل على مكارمهم فسكن غيظه *
وكتب المرواني المذكور الى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة
أنهض الله تعالى سيدي بأعباء المكارم ان هذا اليوم قد تبسم أفقه بعد ما بكى ودقه
وصفقت أصداء أوراقه وفتحت حدائق أحداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضضت
غدرانه وتوجت أغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعد ما تلفعت بسحابها وتنسم
في أرجاء الروض أرج النسيم وعرف في وجهه نضرة النعيم وقد دعا كل هذا ناظر أخيك
الى أن يجيله في هذه المحاسن ويجدد نظره في المنظر الذي هو غير مبتذل والماء الذي هو غير
آسن والقعص اليوم أحسن ما سلخ وأبدع ما مرن فيه وجمح فجد لي باعارة ما أنهض
عليه لمشاهدته ويرفع عني خجل الابتذال بمناكبة الانذال لا زلت ناهضا بالآمال
مسعفا مراد كل خليل غير مقصر ولا آل * وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى أخيه
عبد الله المعروف بالبلنسي حين فر كتابا يقول في بعض فصوله والعجب من فرارك دون
أن ترى شيأ فخاطبه بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فراري دون أن أرى شيأ لاني خفت
ان أرى ما لا أقدر على الفرار بعده ولكن تعجب مني ان حصلت في يدك بعد ما أفلت منك *
وقال له وزيره أحمد بن شعيب البلنسي أليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبي
أن تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك أبيك فقال ما أعرف ما تقول وكل ما
وقى به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل وأول ما ينظر الاديب في حفظ رأسه
فاذا نظر في ذلك نظر فيما بعده * وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموي ويعرف بالحجر

اجعل لنا منك حظا أيها القمر * فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر * فقلت كفوا فعندي منهما الخبر
البدر ليس تغير النصف بهجته * حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعد ما كان قد أعيا

وحكي انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن أضحى وكان من أعيان غرناطة
فمدحه بقصيدة ثم موشحة ثم زجل ولم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فأخذ الدواة
والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا لمثال الذي أشكوه من عدم * وساءه مثل ما قد ساءني فبكى
ان المقل الذي أعطاك دمعته * نعم الجواد فتى أعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجة

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

يامانعا شعره عن سمع ذي أدب * نائي المحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به في كل متجه * كالبدر أو نسيم الريح بالعذب
اني وحقك أهل أن أفوز به * واسأل وديتك عن ذاتي وعن أدبي

فكان جوابه

ياطالبا شعر من لم يسم في الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
اني وحقك لم أحصل به صلفا * ومن يصن على جيد بمجتلب
لكني صنت هذري عن روايته * لمثله قل عن سام الى الرتب
خذه اليك كما أكرهت مضطربا * حلاذم مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لي مما أتحفني به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار* وقال صالح بن شريف في البحر وهو أحسن ماقيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما مارأى العجبا
طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ماملئت شهبا

وقال أيضا

ماأحسن العقل وآثاره * لولازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما ان كان في غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن رطلة

خطوب زماني ناسبتني غرابة * لذلك يرميني بهن مصيبه
غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذي يزري بالدر الثمين* ودخل ابن بقي الحمام وفيه الاعمى التطيلي فقال له أجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد برد غير ذي ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولايخفى حسن ماقال الاعمى * وقد ذكر في بدائع البدائه البيتين معا منسوبين الى ابن بقي ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقي الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحما منا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس في ديمة تصوب

قوله الاعمى في البدائع الاعمى اه

كما رأيتهما فانه لم تشكر روثيتي لهما ولا اتفق لي الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفي الذي ذكرت كفاية انتهى * ولما اتصل أبو القاسم علي بن أفلح البغدادي الكاتب بأمير المؤمنين المسترشد بالله العباسي ولقبه جمال الملك وأعطاه أربع دينار في درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهدم الكل وأنشأ داره الكبيرة وأعانه الخليفة في بنائها وأطلق له أموالا وآلات البناء وكان في جملة ما أطلق له مائتا ألف آجرة وأجريت الدار بالذهب وصنع فيها الحمام العجيب الذي فيه بيت مستراح فيه أنبوبان فركه الانسان يمينا خرج ماء حار وان فركه شمالا خرج ماء بارد وكان على ايوان الدار مكتوبا

ان عجب الرائين من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يهمل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه * في رياضا نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره * شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

وناد كأن جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا تلم به موثقا
فأضحى يتيه على كل ما * بني مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسي الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو * ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقى

انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام وافتتح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا فصحت بصبحي سوالف وسلاف
وبساق يسبي العقول بساق * وقوام ودق العناق حلاقي

ووصله بتمثيله بالبيتين كما مر ولبعضهم

كعاشق وحبه * تعانقا بالمقل
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما فى سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى * وما ألطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد لى شا * يشير الى التقبيل فى حالة اللمس
و بعد زوال الشمس الفاه وجنة * وقد أثرت فى وسطها قبلة الشمس

وقال ابن ظافر فى بدائع البداءة اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس ابن صارة الاندلسيان فى يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور انه اجتمع مع القاضى الاعز يوما فقال له ابن ظافر أجز   طار نسيم الروض من وكر الزهر
فقال الاعز   وجاء مبلول الجناح بالمطر   انتهى * ويعجبنى قول ابن قرناص

أطن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا فغاحت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دونى ولى دونه السكر
ترقرق ماء مقلتاى ووجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر
أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر اى قبلها منهما السحر
وطبنا معا شعرا وثغرا كأنما * له منطق ثغر ولى ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبى الى القوم اننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

قوله القبطرنة فى الشذرات القبطرية اه
قوله فقال ابن القبطرنة الخ الذى فى البدائع عكس النسبة فليتظر اه مصححه

فهو من دل عـــــراه ربدة * مـن صريح لم تخالط ربدا
قلت هب لي يا حبيبي قبـــلة * تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * مائلا لطفا وأعطاني اليدا
كلما كلمني قبلته * فهو اما قال قولا ردّدا
كاد أن يرجع من لثمي له * وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعده * أمطل الوعد وقال اصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذا بت به في روضة * أغيد يغزوننا أغيدا
قام في الليل بجيد أتلع * ينفض اللمة من دمع الندى
ومكان عازب عن جيرة * أصدقاء وهم عين العدا
ذي نبات طيب أعراقه * كعذار الشعر في خد بدا
تحسب الهضبة منه جبلا * وحدور الماء منه أبردا

وقال يرثى القاضي ابن ذكوان نجيب ذلك الأوان وقد اقتن في الآداب وسن فيها سنة ابن داب وما فارق ربيع الشباب شرخه ولا استجد في الكهولة عفاره ولا مرخه وكان لابي عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظننا الذي نادى محقا بموته * لعظم الذي أنحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانما * هبطنا خدارياً من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل وانما * فقدنا لك يا خير البرية ناعبا
وماذهبت اذحل في القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدرك ذاهبا
ولما أبى الا التحمل رائعا * منحناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعد كانوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخطى في الشريعة هاربا
اذا ما امتروا سحب الدموع تمزعت * فروع البكاء عن بارق الحزن لاهبا
فى ذا الفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوينا الالد المناويا
ومن ذا ببيع المسلمين يقومهم * اذا الناس شاموا هاربوقا كواذبا
فيا لهف قلبي آه ذابت حشاشتي * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذي غاب السرور لموته * فليس وان طال البكى ممه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويمشو له رب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرار ين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أبا حاتم صبر الاديم فانني * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
ومازلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به نعيي الخطوب المصاعبا
سأستعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا

العدو له ظهيرا فلم اقعدته حتى حل فى الحمه وعاودته حتى غدت لرونقه مشتمه وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يعطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويريح ما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وأيقنت أن الموت لا شك لاحق
تمنيت انى ساكن فى عباءة * بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق
أرد سقيط الطل فى نقر صخرة * وحيدا وأحسو الماء ثنى المعالق
خليلى من رام المنية مرة * فقد رمتها خمسين قولة صادق
كأنى وقد حان ارتحالى لم أفز * قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى * يدا فى ملماتى وعند مضايق
عليك سلام الله انى مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأبينى اذا ما فقدتنى * وتذكار ايامى وفضل خلائق
وحرك له بالله مهما ذكرتنى * اذا غيبونى كل سهم غرانق
عسى هامتى فى القبر تسمع بعضه * بترجيع شاد أو بتطريب طارق
فلى فى ادكارى بعد موتى راحة * فلا تمنعوها لى علالة زاهق
وانى لارجو الله فيما تقدمت * ذنوبى به مما درى من حقائق

وكان أبو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة واسانه ينشد

وشيدت مجدى بين أهلى ولم أقل * ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

وهجا ابن ذى النون بقوله

تلقبت بالمأمون ظلما وانى * لآمن كلبا حيث لست مؤمنه
حرام عليه أن يجود بشعره * وأما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور المخازى دون أبواب قصره * يجيء بها للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أيا راكب الوجناء بلغ تحية * أمير جذام من أسير مقيد
ولما دهتنى الحادثات ولم أجد * لها وزرا أقبلت نحوك أعتدى
ومثلك من يعدى على كل حادث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فهلك أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذنى من طول هم مجدد
وها أنا فى بطن الثرى وهو حامل * فيسر على رقبى الشفاعة مولدى
جنانيك ألفا بعد ألف فاننى * جعلتك بعد الله أعظم مقصدى
وأنت الذى يدرى اذا رام حاجة * تضل بها الآراء من حيث يهتدى

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتى موهوبة من علاكا * وكيف أرى عادلا عن ذراكا
ولولم يكن لك من نعمة * على وأصبحت أبغى سواكا
لناديت فى الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الا نداكا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وأمرائه * وقال المنصور
ابن أبي عامر لشاعره المشهور أبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري
ودون قدرك فأطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه
وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له
إني بلغت السما وتخطيت الجوزا وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

لا حول ولا قوة إلا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسد على مكانه من المنصور فوجد
فرصة فقال وصل الله لمولانا الظفر والسعد إن هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون
نعمة ولا يرعون إلا ولا ذمة كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء
من أجدب وحسبك منهم أن الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون
إلى ما لا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ما ظنك بقوم الصدق
يستحسن إلا منهم فرفع المنصور رأسه وكان محبا في أهل الأدب والشعر وقد اسود
وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال ما بال أقوام يشيرون في شيء لم يستشاروا فيه
ويسيئون الأدب بالحكم فيما لا يدرون أيرضى أم يسخط وأنت أيها المنبعث للشر دون
أن يبعث قد علمنا غرضك في أهل الأدب والشعر عامة وحسدك لهم لأن الناس كما قال
القائل

من رأى الناس له فضلا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة ولسنا إن شاء الله تعالى نبلغ أحدا غرضه في أحد
ولو بلغناكم لبلغنا فيكم وإنك ضربت في حديد بارد وأخطأت وجه الصواب فزدت بذلك
استصغارا وصغارا وإني ما طربت من كلام الرمادي إنكارا عليه بل رأيت كلاما يجل
عن الأقدار الجليلة وتعجبت من تهديه له بسرعة واستنباطه له على قلة من الإحسان
العام ما لا يستنبطه غيره بالكثير والله لو حكمته في بيوت الأموال لرأيت أنها لا ترجح
ما تكلم به قليله وإياكم وإن عاد أحد منكم إلى الكلام في شخص قبل أن يؤخذ معه
فيه ولا تحكموا علينا في أوليائنا ولو أبصرتم منا التغير عليهم فإنا لا نتغير عليهم بغضا لهم
واطراحا فإنه لا يكون إلا تأديبا وإنكارا فإنا من نريد إبعاده لم نظهر له التغير بل نبذه مرة واحدة
فإن التغير إنما يكون لمن يراد استبقاؤه ولو كنت قابل السمع لكل أحد منكم في صاحبه
لتفرقتم أيدي سبا وجوزيت أنا بجناية الأجرب وإني قد أطلت عليكم على ما في صدري
فلا تعدلوا عن مرضاتي فتصيروا حطبا على أنفسكم ثم أمر أن يرد الرمادي
وقال له أعد علي كلامك فارتاع فقال الأمان على خلاف ما قدرت الصواب أولى بكلام لك
من العتاب فسكن لما سمعه وأعاد ما تكلم به فقال المنصور بلغنا أن النعمان بن المنذر حشا
فم النابغة بالدر لكلام استحسنه منه وقد أمرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو أنفع وأحسن
عائدة وكتب له بمال وخلع وفرش ثم رد رأسه إلى المتكلم في شأن الرمادي
وقد كاد يغوص في الأرض لو وجد لبعد ما حل به عارا وغم وقال والعجب من قوم

يقرلون الاستمداد من الشعراء أولى من الاقتراب ثم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا أيادى يرغب فى نشرها فأين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وأين الذى قيل فيه

إنما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أما كان فى الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء والاحسان اليهم أحيت غابر كرمهم وصحبتهم مآثر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح مآثرهم فدثر ذكرهم ودرس خبرهم انتهى * ومن حكاياتهم فى العدل أنه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية عمدوا الى أحد الصالحين فى جنة وألحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح أنها للايتام من أقاربه فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فأمر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك فى الارض ويحملك الحرص على ما ينبغى أن تضم الى حيطانك الواسعة العظيمة قطعة أرض لايتام حرمت بها حلالها وخنت فيها ولئن تحجبت على بسلطانك واقتدرت على بعظم شأنك فتجتمع غدا بين يدى من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خيف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال على بالمشتغلين ببناء الصمادحية فأحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا صدقه واعتذروا بأن نقصها من الصمادحية يعيبها فى عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها فى عين الخالق أقبح من عيبها فى عين المخلوق ثم أمر بأن تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحية ولقد مر بعض أعيان المرية وأخيارها مع جماعة على هذا المكان الذى أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المطر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المطر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال أشعرتم أن هذا المكان المعوج فى عينى أحسن من سائر ما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة فى الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولى عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفى ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بأرض اغتراب لا أمر ولا أحلى

وقد أصدأت فيها الجذاذة أنملى * كما نسيت ركض الجياد بها رجلى

فلا مسمعى يصغى لنغمة شاعر * وكفى لا تمتد يوما الى بذل

قوله أحلى فى نسخة منهل اه

كلما أظماني وردها * منهلي الابداك المورد
ها أنا بالباب آتي اذنكم * وأنا الماقد مد للكاس يدي

وكان قد سلط عليه انسان تحتال اداراته يقول هذا ألف لاشئ عليه يعني ان مالكه ذهب عنه وبقي فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك الى بعض أصحابه فقال أنا أكفيك مؤنته واجتمع مع الاحمق واشترى له حلواء وقال له اذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا الف لاشئ عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك الى أن اقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك أشد عليه وكان به علة المصاقطي أن الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به في موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستثقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

خلت أمتي لكن ذاتي لم تخل * وفي الفرع ما يغني اذا ذهب الاصل
وما ضر كم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجيء به الفضل
وكل اناء بالذي فيه راشح * وهل يخرج الزنبور ما يخرج النحل
سأصرف وجهي عن جناب تحله * ولو لم تكن الا الي وجهك السبل
فما موضع تحتل له برفعة * ولا يرتضي فيه مقال ولا فعل
وقد كنت داعيا لعلك ترعوي * ولكن بارباب العلا يجمل العدل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة في المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبي ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يسطيع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقلامي أنمل
لعل لي أن أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فلتراجع * وقال أبو العلا بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بدا وعليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * في أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يا من حكى البيدق في شكله * أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر ما فيه

وقال ابن حماجة

يا أيها الصب المعنى به * ها هو لا حل ولا خمر
سود ما ورد من خده * فصار فحما ذلك الجمر

وقال أبو عبد الله اليامي

صغر الرأس وطول العنق * شاهد عدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة في الخلق

الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال أم أجل اثني عشر ألف دينار وها هي تحت
ابطي وأخرج ايم اثني عشرة ياقوتة كل واحدة منها بألف دينار وأما الذي أحسنه
فأنا شاعر عالم بأدق علم العربية الذي تبحثون فيه وأما الذي أقول فأنتم كذا وجعل يسبهم
هكذا نقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبي حيان النحوي رحمه الله تعالى * ومن
حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس
حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها
كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمنقالة ليعرف
الاوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له
جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى
في مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد
الشاعر من أبيات

يطم على العنقاء في طيرانها * اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول
مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبي الـ ـقاسم ناهيك حسن رائقها
أما ضراط استه فراعدها * فليت شعري ما لمع بارقها
لقد تمنيت حين دومها * فكري في الصق في است خالقها

وأنشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفي وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد قبحا لما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فخجل
وسمه * وأول من اشتهر في الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم
ابن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق في صلاته وكان عالما بحركات الكواكب
وأحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز
وعمه من المزني وغيره * ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة وكان
بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار
والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلي المذهب * وأبو القاسم اصبغ بن السمح
وكان بارعا في علم النجوم والهندسة وله تآليف منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير
اقليدس وكتاب كبير في الهندسة وكتابان في الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند
المعروف بالسندهند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم
وله زيج مختصر على مذاهب السندهند وله كتاب في عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن
الزهراوي كان عالما بالعدد والطب والهندسة وله كتاب شريف في المعاملات على طريق
البرهان * ومنهم أبو الحكم عمرو الكرماني من أهل قرطبة من الراسخين في علم العدد
والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو أول من دخل برسائل اخوان الصفا الى

قوله بالمنقال في نسخة بالمنقالة اهـ

باشبيلية وحوله أدباء يسطرون فى كتب نهاد يوان ذى الرمة فذا الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا ابا عمران أوا جب أن يمنعه منى وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة فقال اسمعونى وأمسكوه فانشد من أوله حتى قارب نصفه فأقسموا عليه أن يكف وشهدوا له بالحفظ وكان آية فى سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد عهدى به فى اشبيلية يلقى على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا ولما أخذ الحصار عمق اشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج الفارطين ولا يدرى حيث ولاين ومن شعره وقد نزل بدار عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا أقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فى
وقد استشرتك فى الحديث وهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله

يجفى الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش وهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله

عندى افتقاد لأوجال أبيت بها * كأننى واضع كفى على قبس
ولا ملامة ان لم أهد نيره * حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت أودع سر الشوق فى طرس * لكننى خفت أن يعدو على الطرس

وأنشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة فى املائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * ان الكثيب هوى له محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفة * ولكم علينا ادمعنا المسكوب
تحلى الديار من الحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا فى وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفى أم شهاب * هما كالبرق ضرمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقابا * فسربه وصح لنا النقاب
فهما حث خال الصبح وانى * ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كل الحجم عنه * وصلت عن مسالكه السحاب
فيا عجبا له فضل الدرارى * وكيف أزال أربعه التراب
سل الارواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلقى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكى دخلت مرسية فتشبث بى أهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت انظروا من يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابى فأتونى برجل أعمى يعرف بابن سيدة فقرأه على من أوله الى آخره فعجبت من حفظه وكان أعمى وابن سيدة المذكور هو أبو الحسن على بن أحمد بن سيدة وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن الموفق

الاهل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

أيها العادل الذى * تعدانى توكلا
عد صحيحا مسلما * لاتعبير فتبتلى

وتذكرت بهذا ما أنشده لسان الدين فى كتابه روضة التعريف بالحب الشريف

قلت للساحر الذى * رفع الانف فاعتلى
أنت لم تأمن الهوى * لاتعير فتبتلى

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتى ما عرف
وقال الشهود على المدّعى * وأمّا أنا فعلى الحلف
فجئنا الى الحاكم الالمعىّ قاضى الجنون وشيخ الطرف
وكان بصيرا بشرع الهوى * ويعلم من أين أكل الكتف
فقلت له اقض ما بيننا * فقال الشهود على ماتصف
فقلت له شهدت أدمعى * فقال اذا شهدت تنتصف
ففاضت دموعى من حينها * كفيض السحاب اذا ما يكف
فحرّك رأسا الينا وقال * دعوا يا مهاتيك هذا الصلف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فأين الخلف
وأومأ الى الورد أن يجتنى * وأومأ الى الريق أن يرتشف
فلما رآه حبيبى معى * ولم يختلف بيننا مختلف
أزال العناد فعانقته * كأنى لام وحبى ألف
فطال أعاتبه فى الحما * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهرىّ خطيب اشبيلية وكان أعرج انه خرج مع ولده الى وادى اشبيلية فصادف جماعة فى مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف وأشار الى ولده فقال له الزهرىّ ماهو للبيع فقال بكم هذا التيس وأشار الى الشيخ الزهرىّ فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لايجزئ فى الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرّة هذا النهر مع الباجى يوم خميس فلما أصبحا وصعد الزهرىّ يخطب يوم الجمعة والباجى حاضر قدامه فنظر اليه الباجى وأومأ الى محل الحدث وأخرج لسانه فجعل الزهرى يلمس عصا الخطبة يشير بالعصا الى جوابه على ما قصد رحمه الله تعالى * ومن العالم أبو القاسم بن ورد صاحب التآليف فى علم القرآن والحديث محبة لاحد الاعيان فيها وردوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد أتاك يبغى أباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا لجواب * يرتضى بالــدا فهادا تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من حينه اليه وأقسم فى النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى أن أبا الحسن سليمان بن الطراوة نحوى المرية حضر مع ندماء والى جانبه من أحد بمجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب

ووقى السهم ولم يخطئ * واذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حنى * وحبه اياى قد عذبه
يرحمه الله على أنى * قتيل لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب فى فرحة الانفس فى فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية حرق بها العوائد * وحكى ان قاضى المرية قبل شهادته فى سطل ميره فى حمام بالامس واختبره فى ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه بالطيب وجده القاضى أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة فى المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذى يقول فيه ما صورته فاذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه فى قبره ولا ممن لا يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك منزلته فى العدل فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر رضى الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد فى بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من اهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى وأما ابن الفراء الاخفش بن ميمون الذى ذكره الحجارى فى المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن العيداق من أعمال قلعة بنى سعيد وتأدب فى قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودى وهو القائل

صاح محياء تلق الصبح فى الامل * وانظر بناديه حسن الشمس فى الحمل
مالك يلاقى خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجى المنفتل شاعر المرية ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض * زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضرره يا سيدى لا تقرب هذا اللعين فانه قال فى اليهودى

ولكن عندى للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكى على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذى ينبغى أن يصطنع ولولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا فى أصحابنا من لا يرعى مسلما فى حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى
فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

كانهما طست تبر * ويسعى الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسي انه دخل عليه في مجلس انس شيخ دعم الجنة مستثقل فقال البياسي

اسقني الكاس صاحبه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقياله * ليس ترويه ساقيه

وحكى ان العالى ادريس الحمودي لما عاد الى ملكه بمالقة وبخ قاضيها الفقيه أبا على ابن حسون وقال له كيف بايعت عدوي من بعدى وصحبته وقال وكيف تركت أنت ملكك لعدولك فقال ضرورة القدرة حملتنى على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت في يدمن لايسعني الا طاعته ومن نظم القاضي المذكور

رفعت من دهرى الى جائر * ويبتغى العدل باحكامى

أضحت به أملاكه مثل أشكال خيال طوع أيامى

هذا لما أبرم ذا ناقض * كانهم في حكم أحلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدي قاضى مالقة يجرى كما قال الحجاري في صباه طلق الجموح يعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير وأجاب تلك الرجعه فيما شاء من الرجعه وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكانا مررنا على امرأة يده وحسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم يثن عنها صرفه ثم سايرته بعد ما رجع عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلى الطريق معرضا الى ناحيه متى زاحمته امرأة ولو حكت الشمس صاحيه فقلت له في ذلك فقال

ذاك وقت قضيت فيه غرامى * من شبابي في سترة الاظلام

ثم لما بدا الصباح لعينى * من مشيبي ودعته بسلام

ومن شعره في صباه

لا تجعوا رجعتى باللوم عن غرض * واتركونى وصيدى فرصة الخلس

طلبتم ردقلبي عن صبابته * ومن يردعنان الجامح الشرس

ولما أقصر باطله وعريت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبى عففت عن الهوى * كما يهتدى خلف السرى بنجوم

وفارقت أشياع الصبابة والطلا * وملت الى أعلى علا وعلوم

قوله عففت في نسخة عافت اه

ولما تاب بنو حسون على القاضي الوحيدى المذكور صادر عنه العالم الاصولي أبو عبد الله بن الفخار وطلع في حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام في مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلى على خيرة أنبيائه محمد الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفي

نهب الصبح دجى لماته * غربا الخد بعض الشفق
سلبت عيناه حد سيفه * وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق
أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق
لو تمطى بين أسراب المها * نازعته في الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده بالفلق
وانبرى تحسبه أجفل عن * لسعة أوجنة أو أولق
مدركا بالمهل مالا ينتهى * لاحقا بالرفق مالم يلحق
ذو رضا مستتر في غضب * ذو وقار منطو في خرق
وعلى خد كعضب أبيض * ادن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعا * بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شباة خطية * لا يجيد الخط مالم يمشق
كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق
في درى طمآن فيه هيف * لم يدعه للقضيب المورق
يتلقاني بكف مصقع * يقتضى شأو عذار معلق
ان يدر دورة طرف يلتفت * أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح على انبوبه * وبرت أكعبه في زرق
كلما قلبه باعد عن * متن ملساء كمثل البرق
يجمع السرد قوى أزرارها * فتأخذن بعهد موثق
أوجدت في الحرب من وحر القنا * فتوارت حلقا في حلق
كلما دارت بها أبصارها * صورت منها مثال الحدق
نزلت عنه متى مصقول القوى * يرتمى في مائها بالحرق
لو نضا وهو عليه ثوبه * لتعرى عن شواظ محرق
اكهب من هبوات أحمر * من فرند أخضر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته * هيما من لكميك سق
يا بني معن لقد طالت بكم * شجر لولاكم لم تورق
لو سقى حسان احسانكم * ما بكى ندمانه في جلق
أوردنا الظني من حبكم * ماحد البرق وربع الابرق
أبدعوا في الفضل حتى كلفوا * كاهل الايام مالم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أي الوادي أنت قال أنا من الشرف في الدرجة العاليه وان كانت البادية على بادية ولا أنكر حالي ولا أعترف بحالي فخات ابن أخت غانم خجلا

الوليد بن ضابط الصورى المالقى جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف

وقال ابن عبدون معرضا به حين كان مستجديا بالشعر وكان

اذ ذاك شيخا

لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل فى المطرز الاوطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق

فان كنت منى بامتداح مطفرا * فانى فى قصدى اليك موفق

ودخل غانم المخزومى السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حبوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو وفحو قطرك فارحا * فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا

وقد كنت فى مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وكتب أبو على الحسن بن العليط الى صاحبه ابى عبد الله بن السراج وقد قدم من سفر

يامن أقلب طرفى فى محاسنه * فلا أرى مثله فى الناس انسانا

لو كنت تعلم ما لاقيت بعدك ما * شربت كاسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب فى الطريق

يامن اذا ما سقتنى الراح راحته * أهدت الى بها روحا وريحانا

من لم يكن فى صباح السبت يأخذها * فليس عندى بحكم الظرف انسانا

فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذاكرا حسنا فيه واحسانا

وفى البساتين ان ضاق المحل بنا * مندوحة لا عدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو على الحسن بن كسرى المالقى المشهور على ملك اشبيلية السيد أبى اسحق ابراهيم بن أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على فأنشده قصيدة طار مطلعها فى الاقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهى المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقى غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دوره * فـــزاد فى لالائها اللالى

كأنها شمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال

قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتهيا فى المقال

قوله فها أنا الخ لا يخفى ما فى نصب باقلا فلعله محرف والاصل وقد صرت الخ اهـ مصححه

المحبرة مشق جاريته ذهبت بلبه وغلبت على قلبه حتى هام به وخلع عليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها في يديه فتجافى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطر شاغيم عارج شمسه * يستر طورا بالسحاب ويكشف

ترى قرحا في الجو يفتح قوسه * مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان في مجلس المقتدر بن هود بسرقسطة فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذي تسطر فيه من الكتب لاهل التوراة فقال نعم وجلدها من جلد دبغه من تعلم فبات خجلا وضحك المقتدر * وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * وبكرة الندمان قبل الاذين

وبهجة الروض بأنداته * مقلدا منه بعقد ثمين

الا أجب سقاندا في الشكاس تسدت لذة الشاربين

هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين

لاحت لديها شفقا معلنا * فكن لها بالله صبحا مبين

وكتب علي بن خير التطيلي الى ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه الى مجلس أنس أما أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم في مجلس قد عبقت نوافحه وضحكت راحه وخفقت حولنا الطرب ألويه وسالت بيننا اللهو أوديه وحضرتنا مقلة تسأل منك انسانها وصحيفة ذكر عنوانها فان رأيت أن تجعل الينا القصد لنحصل بك في جنة الخلد صفات نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبد الصمد فوصلت أيها الكاتب العليم والمصقع الحبر الصميم طابع كتابك فحلي منه جوهر منتخب لا يشوبه مخشلب هو السحر الا أنه حلال دل على ود حنيت ضلوعك عليه ووثق عهد انتدب كريم سجيتك اليه فسألت فالق الحب وعامر القلب بالحب ان يصون لي حظي منك ويدرأ لي النوائب عنك ولم يمنعني أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطي جواد الانحدار الى محبوبك الا عارض ألم ألم بي فقيد بقيده نشاطي وترك في أتحامل على فراشي كالسليم واستمطر الاصباح من الليل البهيم وأنا منتظر لادباره *(ومن لطف أهل الاندلس ورقة طباعهم ما حكاه أبو عمرو بن سالم المالقي قال كنت جالسا بمنزلي بمالقة فهاجت نفسي أن أخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكني من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي فقال لي اني كنت أدعو الله تعالى أن يأتيني بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان مني ثم جلست عنده فقال أنشدني وأنشدته لبعض الاندلسيين

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا

لهم وكان لا يظهر شرب الراح متذللا للملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب اجوبتهم كتب له أبو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب
هي خمرية المساء حديثا * وأنا في الصباح أخشى رقيبي
فاذا أمس كان عندي نهارا * لم تخفق عليه بعد الغروب
واذا الليل جن حدثت جلا * سي عما كان من حديث غريب
قيل ان الدجا لديك نهار * وكذاك الدجا نهار الاريب
فتمنيت ليـــلة ليس فيها * لك كذاك السنا من معيب
حيث أعطيك في الخلاء وتعطيـ * ـني مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو وكاني كنت في النو * م وأخفي المنام خوف رقيب

والهزيب الرقيب العتيد في كلام أهل الاندلس فسر المعتمد وابسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجيبا دعا الى مستجيب * سمعنا دعاءه من قريب
ان فات الذي دعوت اليه * كنت فيما زعمت غير رغيب

واستحضره فنادمه ليا لياو كساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شتمير فاعلمه بالامر القائد بن مرتين فكاد يتفطر حسدا وكتب الى المعتمد

أيا عمد وابنه كل بر * لم تدع من فنون برك فنا
غير دفع الحجاب في شربك الرا * ح فهذا جعلت أن تتجنى
وتمنى شراب سؤرك في الكا * س فماذا أعطيه ما تمنى

فسرته ابياته وأجابه

يا كريم المحل في كل معنى * والكريم المحل ليس يعنى
هذه الخمر تبتغيك فخذها * أوفدعها أو كيفما شئت كنا

وكان يقرأ في مجلس ملك السهلة ابي مروان بن رزين ذي الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله حرام حرام زمان المقيم اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ أين وقفت فقال في حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف معك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراي وذكره الحجاري في المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

ما ضركم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
تسري من شذاها * اليكم الاريحيه
خذوا سلامي اليكم * مع الرياح النديه
في كل سحرة يوم * تترى وكل عشيه

عنه لداره فمعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

يا ليلة جادت الليالي * بها على رغم أنف دهري
للسيل فيها على نعمى * يقصر عنها اللسان شكري
أبات في منزلي حبيبي * وقام في أهله بعذر
فبت لا حالة كحالي * ضجيع بدر صريع سكر
يا ليلة القدر في الليالي * لانت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

يا ويح من بالمغرب الاقصى ثوى * حلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لملأتها * بيني وبينك من زفير محرق
وسكت دمعي ثم قلت لسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربي ان أنا * أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

وله

لم يبق عندي للصبا لذة * الا الاحاديث على الجمر

وله

فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك في مضجعي

وله

انّ ماء كان في وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوي العناب من أعلاها * فاعادته الليالي حشفا

وأورد له أبو بحر في زاد المسافر قوله

كلمته فاحمرّ من خجل * حتى اكتسى بالعسجد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيري عاق عن أملي * ان الشقاء بريقه شرق

وقوله في السواقي

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل حرف حية بلسان

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبي فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذي قد هداني * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك فلولاك ما نجم هدى لسار
أي برق أفاد أي غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلي * لم يحلني الاعلى الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولو لم أكن عبداً لآل صمادح * وفي أرضهم أصلي وعيشي ومولدي
لما كان لي الا اليهم ترحل * وفي ظلهم أمسي وأضحي وأغتدي

نثر الورد بالخليج وقد درّج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمي مزقها الطعن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن سارة فى النارنج

كرات عقيق فى غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
تقلبها طورا وطورا تشمها * فهن خدود بيننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وماشق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال

ضربوا ببطن الواديين قبابهم * بين الصوارم والقنا المياد
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادى
يا بانة الوادى كفى حزنا بنا * أن لانطارح غير بانة وادى

وقال

نحن فى مجلس به كمل الانس ولوزر تنا الراد كمالا
طلعت فيه من كؤس الحميا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن مسعفا لهن الهلالا

وقال

وهويتها سمراء غنت وانثنت * فنظرت من ورقاء فى أملودها
تشدو ووسواس الحلى يجيبها * مهما انثنت فى وشيها وعقودها
أوليس من بدع الزمان حمامة * غنت بغنى طوقها فى جيدها

وقال

لئن بكيت دما والعزم من شيمى * على الخليط فقد يبكى الحسام دما

وقال أبو تمام غالب بن رباح الحجام فى دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شدو مالها حلق * كل فتى بالصبر حياها
وطار لوح بها فأوقفها * كلمحة العين حين أحياها

وكان المذكور بقلعة رباح غربى طليطلة ولايعلم له أب وتعلم الحجامة فاتقنها ثم تعلق بالادب حتى صار آية وهو القائل فى ثريا الجامع

تحكى الثريا الثريا فى تألقها * وقد عراها نسيم فهى تتقد
كأنها الدوى الايمان أفئدة * من التخشع جوف الليل ترتعد

وقال

زرت الحبيب ولاشئ أحاذره * فى ليلة قد لوت بالغمض أشعارا
فى ليلة خلت من حسن كواكبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال فى الثريا أيضا

نملت على الاعداء الا انها * حقت على السباب والابهام
أحدت من الليل البهيم سواده * وبدت تمحق أوجه الايام

وقال

نظر الحسود فازدرى لى هيئة * والفضل منى لا يزال مبينا
قبحت صفاتى من تعبيرودّه * صدأ المرآة يقبح التحسينا

وقال

تصيروان أيدى العدو ومدمة * فهما يرى ترجع اليه سهامه
كما يفعل الصل الملم بلسعه * يريد به ضراً وفيه حمامه

وقال

وبارد الشعر لم يؤلم به واقد * أضجر منه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لا تؤذيه ريقته * حتى اذا مجها فى غيره قتلا

وقال ابن الزقاق

دعا لخليل والاصيل كانه * عليل يقضى مدة الرمق الباقى
الى شط منساب كانك ماؤه * صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفى الخوافى والقوادم خفاق
على حين راح البرق فى الجو معمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقد لاح منى للرياض التفاتة * حبست بها كاسى قليلا عن الساقى
على سطح خضرى ذكرتك فانثنى * يميل بأعناق ويرنو بأحداق
فصل زهرات منه هدا كأنها * وقد خضلت قطراً محاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسى أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله

حنانيك مدعوا ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت على أرجائه بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت مناسيوف ادى العلا * ومن سيمك المنصور يبغى التقاضيا
وغيرك بادينا رمانا فلم يجب * وعزمك لم يجنح علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن فى جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا فى جملة الحساب لا تدنسوه بهذه النسبة ولستنا ممن يتعاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بصعقة يحرث له بها يعنى بذلك انه من درية ملوك لان جده كان ملك وادى الحجارة * وقال أبو بكر محمد بن أزرق

هل علم الطائر فى ايكه * بأن قلبى للحمى طائر
ذكرنى عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهود الهم بالجنى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن أزرق

أرالك ملكت الخافقين مهابة * مهاماثلج الشهب بالخفقان

علي بن شعيب

ازرى الوشى فهو يستر حسنا * لم تعزه برقوق الثياب

ودعوني عسى أقبل ثغرا * لذفيه اللمى وطاب الرضاب

وعجيب أنثم تجبريني ظلما * وشميمي الى صبابة الشباب

وقال أخوه أبو حامد الحسين حين كبا به فرسه فحصل في أسر العدو

وكنت أعدّ طرفي للرزايا * يخلصني اذا جعلت تحوم

فاصبح للعدا عونا لاني * أطلت عناءه فانا الظلوم

وكم دامت مسرّاتي عليه * وهل شيء على الدنيا يدوم

وقال أبو الحسن على بن رجاء صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

يا سائلي عن حالتي انني * لا أشتكي حالي لمن يضعفه

مع انني أحذر من نقده * لاسيما ان كان لا ينصفه

وأنشده الحميدي في الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والاكرام

لم يردني شيأسوى حسنات * لا ولا نفسه سوى آثام

كان ذا منعة فثقل ميزا * ني بهذا فصار من خدامي

وقال أبو محمد القاسم بن الفتح

أيام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب

ثم الشهيد عليك منك فأين أين المهرب

وقال أبو مروان عامر بن غصن

فديتك لا تخف مني سلوّا * اذا ما غير الشعر الصغارا

أهيم بدرّ خرضار خلا * وأهوى لحية كانت عذارا

وقال

قد ألف الصيم بانسكابه * والصف الجو في سحابه

وقام داعي السرور يدعو * حيّ على الدن وانتهابه

وقام فيه النسديم عنا * يزدحم الناس عند بابه

وكان أحد الاعلام في الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذي النون بسبب صحبته لرئيس بلده أبي عبيدة وبلغه انه يقع فيه فنكبه أشرّ نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لي منك رحمى لعلني * أفارق قسرا في الحياة قانتمر

وليس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر

ومن عجب قول العداة مثقل * ومثلي في الحاجة الدهر يعذر

وألف للمأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة أخرى سماها بالعشر كلمات وقال

قوله عامر في نسخة عبد الملك ا

فما له غير دمع * كأنه ذوب تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلي صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
وللهلال اعتراض في مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستخفت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبي * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام في سمط الجمان

رعى المرلة الخصيب وظله * وسقى الثرى النجدي مع ربابه
وأما على ساداته لأذى * كلما بز بنسه ولا بربابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعيني * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخي هاتها بحب سناها * عن مشيبها جمونا وسخفا
هذه الشمس ان بدت لضعيف الشعين زادت في ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان * خشيت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه الملحق الربيع من أخلاقك الغر وسرق زهره من شيمك الزهر حسن في كل عين منظره وطاب في كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذي بسط على الارض حللا لا ترى في أثنائها خللا سلوك نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تنسمتها فأرجه أو توسمتها فبهجه

فالارض في بزة من يانع الزهر * ترى اذا قستها بالوشي والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمي من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فأوجد لي سبيلا الى اعمال بصري فيها لأجلو بصيرتي بمحاسن نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه ويتصرم وقته وزمانه فلا تخلني من بعض التشفي منه لأصدر نفسي متبرطة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى في جلائها فهو الرشيد السديد

ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * في وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم اذ تأخر واغتدى * في الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لأن حياك آخر لاحق

وله

أرى الباقلاء النافل اللون لابسا * بجرود بها من صائنها غذى
ترى نوره يلتاح في ورقاته * كبلق جياد في جلال زمرذ

وقال

إذا ما أدرت كؤوس الهوى ● ففي سكرها الصب مالم أزل

مدام تغشى للناظرين ● ولكن تعشق بالأرجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو حفص بن الأبار هو الذي صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به إلى فنون الآداب طرقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع في فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحظ من الأدب وفور وتوفي وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزر داهية السنة ورشح الخطة فاستأصله عباد جد المعتمد ولم يزل يسمو إلى معاليه ويرتقي مساميه وهو ما ساوى العشرين اذ ذاك وأذكر قطعة من نظمه في الأزاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى ● وقال الوزير الكاتب أبو الحسن علي بن حصن وزير المعتضد بن عباد

علي أن أذلل ● له وأن يتذلل

خد كأن الثريا ● عليه قرط مسلسل

وقال

طل على خده العذار ● فاجتمع الآس والبهار

وابيض ذا واسود هذا ● فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف في المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد الأعاظم ● فالدهر من بعدكم ظالم

من الذي يرتجى لنيل العلا ● ومن له بعد المعدم

ما أنكر الدهر سوى أنه ● عودكم في فعله يرغم

وله

من حلت خده نارُه ● فلتسكب الماء على نفسه

وقد أخرج ثاني هذا الكتاب ذكر جملة من أشعار المعتمد بن عباد ونظمه في أماكن متعددة فليراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتنا ● خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلي وما ● تحوي معاطفها من عنبر عبق

هب الجبين بفضل الكم تستره ● والحلي تنزعه ما حيلة العرق

وقال

يوم يقول الرسول قد أذنت ● فأت على غير رقبة ونخ

أقبلت أهوي إلى رحالهم ● أهدى إليها بريحها الأرج

قال وقد دل على الملوكية بالطبع في المواطن التي يكثر الناس فيها عن غيرهم كالحمام ومنازل الحرب ومواسم الحج (وحج) إلى ما كان فيه وقال أبو العباس أحمد الطرريي القرطبي

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب منه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية يخاطب رئيساً قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هوّن عليك كلامه * واسمع له بجبين سمح
ماذا يسوءك إن هجا * ماذا يسرك إن مدح
أو ما علمت بلى جهلـت بأنه غسل طفح
وخفيّ حقد كامن * دأبوا له حتى اتضح
هذا ابتنى الوفا * ركيف لو دار القدح
فاشكر عوارف ذي الجلا * ل عما وقى وعما منح

وقال أبو علي عمر بن أبي خالد يخاطب أبا الحسن علي بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره
أتذكر أنسنا والليل داج * بجمر في زجاجتها منيره
إذا الملاح ضل ربا إليها * فأبصر في مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة للشرب عند الوزير أبي العلاء بن جامع وقد نظر إلى فاختة وأعجبه حسنها ولحنها

ألا خذها إليك أبا العلاء * على الأمداح ترفل في الثناء
وهبها قينة تجلى عروساً * خضيب الكف قانية الرداء
لا تجعلها محل جليس أنسي * وأغنى بالهديل عن الغناء

وحكى أنه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدى إليّ بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد
فصمتّ حيناً ثم قلت كجلجل * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب أبو بكر بن البناء يرثي أحد بني عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولي إشبيلية فمات بها

كأنك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعاً حالها وتواريا
تجليت عن شرق تروق تلألؤاً * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كما في المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أوّل من تثنى عليه الخناصر وتحسده البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الأندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد فما بلغ أشده حتى سدّ سده ومال إلى التفنن في أنواع التعاليم من الطب وغيره ورحل إلى المشرق لأداء الفرض وملأ البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلاً لم يكن في الحساب وشرع نبلاً قصرت عنه نتائج أولي الألباب ونشأ بشرق الأندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق

قد مهد الجذع له نفسه • وسدد الرمح اليه الشبا

والذى بعنده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعالمه • وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعلمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

رمت كبدى أخت السماء فاقصدت • الا بابى رام يصيب ولا يخطى

قريبة ما بين الخلاخيل ان مشت • بعيدة ما بين القلادة والقرط

نعمت بها حتى أتيحت لما السوى • كذا شيم الايام تأخذ ما تعطى

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك يا واقفا • ولاحظ مكانا رفعنا اليه

تراب الضريح على صفحتى • كأنى لم أمش يوما عليه

أداوى الانام حذار المنون • فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفى هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع • وقال أبو الوليد بن حزم

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر • وورد خديك لا ورد ولا زهر

فى ذمة الله قلب أنت ساكنه • ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال

لله أيام على وادى القصرى • سلفت لنا والدهر ذو ألوان

اذ نجتنى فى ظله ثمر المنى • والطير ساجعة على الاغصان

والشمس تنظر من محاجر أرمد • والطل يركض فى النسيم الوانى

فلثمت فاه والتزمت عناقه • ويد الوصال على قفا الهجران

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة • فما أناملها للناس أرزاق

وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا • فما المقدك فى الاحشاء اقلاق

وقال فى المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع • عقائل لم تخلق لهن يدان

لتقبيل أفواه واعطاء نائل • وتقليب هندى وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندى الاصل

صارمته اذ رأت عارضه • عاد من بعد الشباب أشيبا

قلت ما ضرك شيب فلقد • بقيت فيه فكاهات الصبا

هو كالعنبر غال نفحه • وشذاه أخضرا أو أشهبا

وقال

وورده وردت فى غير موقتها • والسحب قد هملت أجفانها هطلا

وانما الروض لما لم يصد غرا • بقربكم انعقت فى خده خجلا

وله

أودت بدات يدى قربة أرب * كفؤاد عروة فى الصبى والرقة
يحشم الفتى امن ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لوأن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لراد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند امامها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال العراقى

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أى امرئ الا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه عيرة * أى الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا ترجون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسمن حتى ما تروق المباسم

وقال فى الانتحال

وبلغت أقواما تجيش صدورهم * على وانى فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولى فأسمعت معجزا * وغاصوا على سرى فأعياهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أيمن الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فانى حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كأنما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

فاجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا سلب * مثقفة تطعن القرطاس فى ورقه
فالنعظ يشكرها والخط يعرفها * والرق يحسدها بالرق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلى * لما رآه يشل الدل فى حدقه
فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه
مادم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

سكت خدها سائك تبر * رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
سمرت عن جبينها فأرتنا * صاحب الليل طالعا بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الاديب ابن اللبان

خجم دكانى حشابجمر * فقلت مسك وجلنار
أوحد من قد هويت لما * أطل من فوقه العذار

وكان أبو المطرف الزهرى جالسا بباب داره مع زائر له خرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة حين نظرتهما على حين غفلة منها انفرت بخجلة فرأى الزائر ما أبهته فسكانه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا الختلى بل عمد التعذيب
لاتختشى فابن عبد الحق أعلمنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنا المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل الكم مرخ للردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
قلت هب لى يا حبيبى قبلة * تشف من حمك تبريح الصدى
فانثنى يستر من منكبه * قائلا لا ثم أعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو ما قال كلا ماردّدا
قال لى يلعب صد لى طائرا * فترانى الدهر أجرى بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لى يمطل ذكرنى غدا
شربت أعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
رشأ بل غادة ممكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أجلت من عضة فى نهدها * ثم عضت حر وجهى عمدا
فأنا المجروح من عضتها * لا شفانى الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ فى الشيب

بنتم ولولا أن أغير لمتى * ألقاكم يوما على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أنى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن رزين وقد عتب عليه أن اجتاز بلاده ولم يلقه

لم تنأ عنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى

في العيد عدتم وهو يوم عروبة * يا دهر حتى بشـــلائة الاعياد

قال الشريشي في شرح المقامات ولقد زرته في مرضه الذي توفي به رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألني عمهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف ناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهـــــم * ندى كـــكريم لا أرى الله بينهم

تشابه خلق منهــــــم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظره أين هم

وزينهـــم استاذهم اذ غدا لهم * معــــــلم آيات فهم دينهـــم

فان حدت من عين في الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهـــم

وقال الشريشي حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله قعدنا مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له أبو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح في مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبد ربه فتى يهواه فأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبد ربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر

مازلت أبكي حذار البين ملتهبا * حتى رثى لي فيك الريح والمطر

يا برده من حيا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر

آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبد ربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين

واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضــــين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقي

صـــير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أحبه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم السبت فلما لقيه عانقه وأنشده

تحرت اليهود السبت عيدا * وقلنا في العروبة يوم عيد

فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال أبو بكر بن بقي

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبي النفس لم أقم

فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم

عالته أيدى المنايا * وكن فى مقلتيه
وكان يسقى الندامى * بطرفه ويديه
غصن دوى وهلال * جار الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى عالمها فى المذهب المالكى وقد تحاكم اليه وسيمان أشقر وأكحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين ألمايى تحلى مقلة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كان لمتة دامس رجس حلقت * على نهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفصيل بينهما * ولم يخافا عليه شقوة الحدق
فقام يسدى هلال الدجى حجته * مبينا بلسان منه ممطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مقطوع من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * لذا الحسن أحسن مايعزى الى الحدق
وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن * فاستمع لمقالى فى تمسق
انا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى شقرة الشفق
وفضل ما عيب فى العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للمة الشقراء حيث حكت * نورا كذا حبها يقضى على رمق
فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * بسهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
وقلت عفوك اذ أصلحت بينهما * فقال دونك هذا الحبل فاختنق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها
قرعت بها سن الحلوم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد رسيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخارى وأكثر ابن حجر من النقل عنه فى فتح البارى وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوى المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسى صاحب التآليف التى بلغت نحو خمسين

ياحمص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه
مافيك موضع راحه * الا وما فيه راحه

وهو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الباجى * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسى الملقب بالقلندر

جرت منى الخمر مجرى دمى * فكل حياتى من سكرها
ومهما دجت ظلم الهموم * فتريقها بسنا بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقى قاضيا فى نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال للقاضى بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما ضات على

لعمرك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذي خال
يقول لها المار أي من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
فقالت وما عيت بوابل ردها * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
هو صاحب الازال فيها باجل * فإن الفتى يهدى وليس بفعال

وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في المغرب

سألت الحروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلمسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات أسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم أنسه * نهاية مسئول أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكى أن أبا عثمان سئل عنها فأنشد

هويت السمان فشيبنني * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له أجبنا فقال أجبتكم مرتين ويروى أنه قال سألتمونيها فأعطيتكم ثلاثة أجوبة هكذا حكاه بعض المحققين وهو أرق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه * ومنها اليوم تنساه الموت ينساه أسلمني وتاه هم يتساءلون التناهي سوق تمي وسائله أسلمني تهاون تهاوى أسلم التمس هواي ماسألت يهون مؤنس النساء لم يأتنا سهو يا أويس هل تمت نويت سؤالهم نويت مسائله سألتم هواي تأملها يونس أتاني وسهيل هوني مسألتها سألت مايهون وسليمان أتاه تسأل من يهوى استقلالي هو أسلمت وهاي هو استمالني سائل وأنتم هم يا هول استنم أتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو وسليمان أتاه لأن التقديم والتأخير يصيرهما شيئين * ومنها الوسمي هتان أوليتم سماه والبتم أنسه أمسيت وناله أتاه توسما أملتني سهوا أتوسل بها سألتموني ما سأت يومنها سألت مايوهن هوى ماسألت يهون ماسألت وقد سبق سألت مايهون وعدهما شيئين من أجل التقديم والتأخير كما تقدم نظيره الانس يومه ليتأسن ماؤه سلموني أنا أنسته اليوم سألتم هوينا آوى من تسأله وهي ماسألت وهي ماسألت مسألتي نواه * ومنها مسألتي هاون سهوان يتألم أيلتم سهوان أو يلتم ماسه مسألتي أهون أوميت تنساه سمرت اليها أمليت سهوان وسألتم هينا يهون ماتسأل ألتوى سهيا اسلم واتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأمل اسوه أيتأمل نسوه الهوى أتسم وليت ماء آسن تولى أسهما اتلوا سهمين أولساهمتني أسماؤه تميل يتأملهسوا أولم يتسناه آمن ويتساهل أمسيتي لهوا توسمه لناه هو ما تسألين لا يهما توسم أيهما توسل أتاني لسموه سميتهن أولا أولاهن سميت سائتي أهوا أسلمتني هوا أو نسيتها أيستهلونا هات المرسى

وقد ذكرناه في عبر هذا المحل قوله

ألا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتأخرت وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنترين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس * وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما يغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يمتن
فقلت اجمعا في الوصل رأيكما معا * لمثلكما كان التغزل والمجن
عسى الصب يقضي الله في حكمه * بخير وقالا لي اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن الدربات صحبي * فقضيت أوطاري بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بيني وبينه * فكانت لنا أما وكان رضيعي

وقال

أيا من حارت الافكار فيه * فلم تعلم له الاقدار كنها
بجيد النيل ما عقد أنس * أقام بغير واسطة فكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبوني

هديتك الى عن جنابك راحل * فهل لي يوما من لقائك زاد
وحسبك والايام خون غوادر * فراق كاشاء العدا وبعاد

وقال خلف بن هرون القطيني

من أنبت الورد في خديك يا قمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر
الزهر في الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس حسون وعزون ورحمون وأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوي وقال فيهم

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني * وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فان ظمئت * نفسي الى ريق حسون فحسوني

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المؤرخين انتهى والله أعلم
* وقال ابن خفاجة يداعب من يقل عذاره

أيها التائه مهلا * ساءني أن تبت جهلا
هل ترى فيما ترى الاشـ * ـبا با قد تولى
وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى
أين دمع فيك يجري * أين جنب يتقلى
أين نفس بك تهذى * وضلوع فيك تصلى
أي بال كان لولا * عارض وافى لولى
وتجلى عنك الا * أسما لا يتجلى
وانطوى الحسن فهلا * أجمل الحسن وهلا

لثم السلام في السلام تسترا * ثم انثنى حذر الرقيب لراصده
هـ ــلا تكلف وقفة لحبيبه * ولو انها قصرا كجلسة والده

وقال أبو الحسن بن الحاج

كفى حزنا أن المشارع جمة * وعندي اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القشتورى

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالي وهن منى نفسى وآمالي
أصبحت كالآل لا جدوى لديّ وما * آليت جدا ولكن جدّي الآلي

وقال أحمد بن أمية البلنسي

قال رقيبي حين فاوضته * وما درى أن مقامي عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضي * فقال سرقات جناحي كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقاه من همة * لا ترتضي الا السها منزلا
ومن خمول كل ما رمت أن * اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن حروف لبعض الرؤساء

يا من حوى كل مجد * بجده وبجده
أتاك نجل حروف * فامتن عليه بجده

وكتب أيضا لبعضهم يستدعي فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * من حدواتجلد أبى
وفضلك عالم أنى * حروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

وبعد كتبي لما ذكر خشيت أن يكون لابن حروف المشرقي لا الاندلسي والله تعالى أعلم *
وركب محبوب أبي بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالذيب فقال أبو بكر في ذلك

وبغلة ما لها مثال * يركبها الذيب والغزال
كان هذا وذا عليها * سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لابي الحسن بن حريق يوم النزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات ليلة عند أبي الحسن فقال في ذلك

يا ليلة جادت الاماني * بها على رغم أنف دهري
قسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكري
أبات في منزلي حبيبي * وقام في أهله بعذري
وبت لا حالة كحالي * صريع سكر ضجيع بدر
يا ليلة القدر في الليالي * لانت خير من ألف شهر

أو كان ملكني الرحمن من أجلي * شيأ وصلت به يا سيدي أجلك
ومن تكن في الورى آماله كثرت * فاءنما أملي في أن ترى أملك

وقال الوزير ابن أبي الخصال

وكيف أؤدي شكر من ان شكرته * على برّ يوم زادني مثله غدا
فان رمت أقضي اليوم بعض الذي مضى * رأيت له فضلا علىّ مجددا

وقال الرصافي

قلدت جيد المكرمين تلك الحلى * ماشاء من المنثور والمنظوم
وأشرت قدامي كأني لاثم * وكأن كفي ذلك الملثوم

وقال

وبالك نعمة رمنا مداها * فحاوصل اللسان ولا الضمير
جعرنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا التقموا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا
لا يسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحصون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على جدب الربا * باكفهم نبت الاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح أبا زكريا سلطان افريقية

تحلت بعلياك الليالي العواطل * ودانت لسقياك السحاب الهواطل
ومارينة الايام الا مناقب * يقرعها أصلان باس ونائل
اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل

وقال أيضا في سعيد بن حكم رئيس منرقة

سيد أيد رئيس بئيس * في أساريره صفات الصباح
قمري أفق المعالي تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح
سهل البحر في السماحة منه * لجواد سموه بحر السماح

وقال أبو العباس أحمد الاشبيلي

يا أفضل الناس اجماعا ومعرفتي * تعني وما الحسن في ريب ولا ريبه
ورثت عن سلف ماشئت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسبه

وقال ابن زهر الحفيد

يامن يذكرني بعهد أحبتي * طاب الحديث بذكرهم ويطيبه
أعد الحديث علىّ من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيبه
ملأ الضلوع وفاض عن أحنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوبه
مازال يخفق ضاربا بجناحه * ياليت شعري هل تطير قلوبه

وقال في زهر الكتان

أهلا بزهر اللازورد ومرحبا * في روضة الكتان تعطفه الصبا

شارب من زبرجد * واسى من بصيح

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نسمة * تنفس عند الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أباحسن أبلغ سلام فتى يدى * أبي حسن وارفق فكلتاهما بحر

ولا تنس عنالة التي هي والمدى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهني في مجاري صفاته * فلم أدر شعر ما به فهت أم سحر

أرى الدهر أعطاك التقدم في * وان كان قد وافى أخيرا لك الدهر

لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا * ففي أخريات الليل يطلع الفجر

ولعمرو في أبي العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدى في الندى وتعيد

وحق العلا لولا امرؤ انت العلا * لما اخضر في أفق المكارم عود

فلو حوا بني زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلا سعود

وقوله لابي الوليد ابن عمه

اني لاحسب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر

لا غرو ان بعدت دار مصاقبة * بنا وجدنا لحضرة السفر

فحمر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع في الدنيا به النظر

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مدحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حمص استحمت بقدره * على انها كانت به ليلة القدر

تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سل من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعي وأنت أسلته * ومن نار أحشائي وأنت لهيبها

وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا من عليك حبيبها

اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير

دارت دونك مهجتي فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير

فاذهب فغير جوانحي لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته في هوى * فلان وعرضت شيأ قليلا

أتحسدني قلت لا والذى * أحلك في الحب مرعى وبيلا

وكيف وقد حل ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

قوله أرى الدهر أعطاك التقدم في * وان الخ هكذا في الاصل ولا يخفى نقصانه ولعل أصله هكذا في الورى * وان الخ اه مصححه

واذالدهر باواد الدا * ر قريب واذ يقول الرقيب

ومنها

أسأل الله عفوه ومثاباً * مقالى لقد تعف القلوب
قد ينال الفتى الصغائر طرفا * لاسواها وللذنوب ذنوب
وأحو الشعر لاجناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

وقال

يامعدن الفضل وطود الحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب وقل منعما * يدخل أو يصبر أو ينصرف

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلى

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلى

ماطلبت العلوم الالانى * لم أزل من فنونها فى رياض
ماسواها له بقلبى حظ * غيرما كان للعيون المراض

وقال

أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابريز منهم * فتقوا بعد نحاسا
سامريين يقولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فامتعض له هذا الامام وصقل صدأه كما يصقل الحسام وأبرزه فى أجمل منزع حتى قيل هذا اسما أبدع واخترع وله كتاب فى النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد وبالجملة فهو فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق * وقال النحوى أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلى وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أى يوم بعده برفع الجسـ * ـر وللورق تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة أفقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولا ذاك ماابسم الزهر

وقال

بدا الهلال فلما * بدا نقصت وتما
كأن جسمى فعل * وسحر عينيه لما

وكان لايملك نفسه فى النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعندما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لايعلم مايقوله ولم يلتفت الى والده وقد افتضح فى طاعة هواه فقال له الرجل ياأبابكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد حرمه الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله

ومن طرفه أن أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطني قبلة على رمق فشكاه الى الشيخ وقال له ياسيدي قال لي هذا كذا فقال له الشيخ وأعطيته ما طلب فقال لا فقال له ما هذه النقالة ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي به أيضا وحسبك من جلالة قدره أن أهل اشبيلية رضوا به اماما في جامع العديس وله

لما تبدت وشمس الافق بادية • أبصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشي عين ناظرها • وهذه نورها يشفي من الرمد

وقال مالك بن وهيب

أراميتي بالسحر من لحظاتها • نعيذك كيف الرمي من دون أسهم
ألا فاعلمي أن قد أصيبت فواصلي • سهامك أركني فلست بمسلم
فان عين الدهر أصميت فاحذري • مطالبة بالقلب واليد والفم
أماهو في غسل غدا غابه القنا • تحف به آساد كل ملثم
ولو أنني ركنا شديدا بنجدة • أويت له من باس لحظك فارحمي

وهو اشبيلي كان من أهل القاسمة كما في المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وأنيسه وفيه يقول بعض أعدائه

دولة لابن تاشفين علي • طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها • من خبايا مالك بن وهيب

وأثر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي أنشأ دولة بني عبد المؤمن • وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض اخوانه

بعاليك وجدك • جد باقبالك اعبدك
حضر الكل ولكن • لم يطب شئ لفقدك

وقال

وراغب في العلوم مجتهد • لكنه في القبول جلمود
فهو كذي عنة به شبق • ومشتهي الاكل وهو ممعود

وقال

لئن عرضت نوى وعدت عواد • أدالت من دنوك بالبعاد
تباعدت عن اللقيا جسوم • تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان أجدى • على كبدي وأحلى في فؤادي

وله في مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى • ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها • تثير غماما في الندي من الند
ولم أر نارا كلما شب جمرها • رأيت الندامى منه في جنة الخلد

فالحظ بها عنك من حق ما * يحمى صواب الرأى أن يلغطا
فان تعللت باطماعها * فانما تخلب مستيقظا

وقال

يقولون لى صبرا وانى لصابر * على نائبات الدهر وهى فواجع
سأصبر حتى يقضى الله ما قضى * وان أنا لم أصبر فيا أنا صانع

وقال

بأبى خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما واخـتلفا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تستهدى بضوء النجم بدعه

وقال فى فرس أشهب

وأشهب كالشهاب أضحى * يلوح فى مذهب الجلال
قال حسودى وقد رآه * يجب تحتى الى القتال
من ألجم الصبح بالثريا * وأسرج البرق بالهلال

وقال

ومثنى صروف الدهر بين معاشر * أصحهم ودا عدو مقاتل
وما غربة الانسان فى غير داره * ولكنها فى قرب من لا يشاكل

وقال

أصبحت صادنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكى دما
هذا وقد سلم اذ مر بى * فكيف لو مر وما سلما

وقال

وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضر بها الجوى وهمت شؤون
يناجى بعضنا باللحظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون
فلا والله ما حفظت عهود * كما ضمنوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل * لا نصف من بنى عمرو بحون
أمر بداركم وأغض طرفى * مخافة أن تظن بى الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سبلاق الحضرمى الاشبيلى فى النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه أن يرثى صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادك يا قبر انسكاب الغمام * وعاد بالروح عليك السلام
فيك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الطلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلى

وكأنما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
أو كالقيان لبسن موشى الحلى * فلهن فى وشى اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلى

أغيد يسلك الحرير بعيه * مثل مايسلك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

لو جئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ولأبي جعفر أحمد بن الجزار

وما زلت أجني منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجني ولا زرع يحصد

ثمار أياد دانيات قطوفها * لأوراقها ظل علي ممدد

يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكري فوقهن تغرد

ولما نفي أبو جعفر بن البني من ميورقة وأقلع في البحر ثلاثة أميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر أحد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

أحبتنا الالى عتبوا علينا * وأقصونا وقد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل بالعيش بعدكم انتفاع

أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع

اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نوئها

وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور

قالوا اتصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر

تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من أجفانه الحور

يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر

وربما راق في خضراء مونقة * كما تفتح في أوراقه الزهر

* وقال الأديب الكاتب القاضي أبو المطرف بن عميرة المخزومي لما قص شعر ملك الاندلس زيان بن مردنيش حزن في يوم رفع فيه أبو المطرف شعرا خرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبي المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسى * وراحة من أذاع المدح صفرا

فأعجب منى اذ اقص شعرا * وأحمق منى ذا اذ قص شعرا

واسم أبي المطرف أحمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية * وكان الكاتب الحسيب أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود ويعاشيه في غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد

لكن لكيما يكون داع * اقربنا خبرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فلتراجع * وكان صنوبري الاندلس أبو اسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب وشهرته تغني عن الاطناب فيه مغرى بوصف الانهار والازهار وما يتعلق بهما وأهل الاندلس يسمونه الجنان ومن أكثر من شئ

تحذر أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
وأذكر منك مصلوبا فأبكي * وتضحكني أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو علي عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

ومما شجا قلبي وفيض مدمعي * هوى قد قلبي اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا ولم تكن * وكانت كميم ألحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميم زراقم فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتآليف ما يغني عن الاطناب في وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى في العربية وكان في لسانه لكنة ولما أراد المأمون بني عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم في مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاءه تلك الله وتلك يريد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد ثلم عسكره وتثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء ورأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تستجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذا الكم صوابا * عش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب الذخيرة

يا سيما على السماك يسام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحل مدحة فأنت زهير * أو تشبب فعروة بن حزام
أو تبا كرصيد المها فابن حجر * أو تبكي الديار فابن حذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فأبو الطيب البعيد المرامي

ولما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تفرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لماله من الاصالة في وادي آش فحسده أهل بلده وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة فخطبوا في بلدهم للك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجهوا اليه وأوصاهم أن يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفعوا اليه أشعارا كان يستريح بها على كأسه وينشدها بحضرة من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه انها أهل للتقديم مستحقة لطلب سلفه القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما للملك من صدر
وكيف أطلع في أفق العلا قمرا * ويستهل بكفي وابل الدرر

ياسيدى قال عمانى أم رأسك حين قلت

فى أم رأسى مايعيا الزمان به * شر حافل بعدها الايام عن شرى

فقال له ياسيدى لاتسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان امتلأت بأفكاره الاماني وغطت على عقله الآمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قد رسمة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها روجتى وكيف أطلب مادونه قطع الرؤس ونهب النفوس فضحك ابن مردنيش وجدد له الاحسان وجهره الى بلده وأمر عماله أن يشاوروه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأثل به مجده وعظم سعده ومن شعره قوله

انظر الى الروض سحرا وقد * بث به الطل علينا العيون

يرقب مما يفطنه للمسنى * فقل لها أهلا بداعى المجون

وحيها شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله

تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا

فقد نبهت هدى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا

ومهما تكن فى ضيقة فأدر لها * كؤس الطلى فالسكر يوسع ماضاقا

وقوله

عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى

تركته أعطاف الغصون مظللا * وإساعى النهج القويم مضللا

أمسى يغازل بابقة له أشهلا * والطرف أخضر مازرا أشهلا

وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ماتمام هذه المسرة الاحضور أبى جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معه ماداوم حالا يأتيان الاعيا بالتى به اجتماع النسيم والروض خلافى موضع وكتب له

ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر

أنا حضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أو ناثر

كل تخلى للذى يختاره * فى الامن من ناه له أو زاجر

مالى لهم شغل بغير واحد * بل كل مايجرى بوفق الخاطر

شدو ورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتعامس بنواظر

وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لنا شوق لبدر زاهر

سيدى لازالت متقدما لكل مكرمة هل يحمل التخلف عن ناد تمام فيه السرور على ساق وصحك فيه الانس على فيه وانسدل به ستر الصون وقام عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو وثار قتام الند وهطلت سحاب ماء الورد وجاءت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المثقلة بالعاج والابنوس وكانت قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أو بنى حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان نظمها

اذا رفع النسيم القضب عنها * خلدت يكون لها سيل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدى عكسها جرباسل
وللموز فيه دون سالك * جلاجل زخرفت نصبا لتجول
فيا روضا به صقلت جفونى * وأرهف متنه الزهر الكليل
تناثر فيك أسلاك الغوادى * وقيل صحيح جدولك القبول
ولا برحت تجمع فيك شملا * من الاكياس والكاس الشمول
بدور تستبيها نجوم * مع الاصباح ليس لها افول
يهيم بهم نسيم الروض لما * فمن وجد له جسم عليل

وروى أن الوزير أبا الاصبغ عبد العزيز بن الارقم وزير المعتصم بن صمادح رأى راية خضراء فيها صفة بيضاء في يد علج من علوج المعتصم نشرها على رأسه فقال

نشرت عليك من النعيم جناحا * خضراء صيرت الصباح وشاحا
تحكى بخفق قلب من عاديته * مهما يسافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمى رأى ظافر * فترقب الامل المشير نجاحا

وكان هذا الوزير آية الله تعالى في الوفاء وأرسله المعتصم الى المعتمد بن عباد فأعجبت المعتمد محاورته ووقع في قلبه فأراد افساده على صاحبه وأخذ معه في أن يقيم عنده فقال له ما رأيت من صاحبي ما أكره فأوثر عند غيره ما أحب ولو رأيت ما أكره لما كان من الوفاء تركى له في حين فوض الى أمره ووثق بي وحملنى أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم على فلما عاد الى صاحبه سأله عن جميع ما جرى له فقال له في أثناء ذلك وجرى لى معه ما ان أعلمتك به خفت أن تحسب فيه كالامتنان والاستظهار وتعلق أن خاطرى فسد به وان كتمتك لم أوف النصيحة حقها وخفت أن تطلع عليه من غيرى فيعطى ذلك من عندك وتحسب فيه كيدا فحمل عليه في أن يعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخيرة والمسهب وابنه الوزير أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبي عامر

فتى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامى التليل * وتحسبه غصنا مائلا

وللوزير الكاتب أبي محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو من سنة وادى آش يخاطب يحيى الميورقى

أنعم بتسريح على فعله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كاشحات الهوى * أرست معالمه وانك مذهبى
فقالى ماان ملكت وانما * عرى أبى حمل النجاد بمنكبى
وعجزت عن أن أستثير كمينها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابيات كتبها اليه وقد أسن وملّ من الجهد معه يرغب في سراحه الى الحجاز رحمه الله تعالى وتقبل نيته بمنه ويمنه * وقال حاتم بن حاتم بن سعيد العنسى وكان صاحب سيف وقلم وعلم وعلم ..

قوله ضفة في نسخة صفة وليحرر اه

يحكي فلكا تدور به نجوم * تبوّئ في سرا ثربا المسرة
يطالع النجم يشرق بعد نجم * ويغرب بعدما تجري المجرة

معجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابي محمد عبد الله بن شعبة الوادي آشي ابن شاعر فعرض عليه شعرا نظمه فأعجبه فقال

شعرك كالبستان في شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لي طائعا * ما يصنع الفارس بالسعد

ولشاعر الاندلس أبي عبد الله بن الحداد الوادي آشي وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتي وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الاميرا
وكنت سمير أشعارى سفاها * فعدت بها لفلسفتي سميرا

وله في العروض تأليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية ورد فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار وله في المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادي المقدس شاطئ * فللعنبر الهندي ما أنا واطئ
واني في رياك واجد ريحهم * فخمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولي في السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوالع
لذلك ما حنت ركابي وحمحمت * عرابي وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجها ما هاجني ولعلها * الى الوجد من نيران قلبي لواجئ
رويدا فذا وادي لبينى وانه * لورد لساناتي واني لظامئ
موارد تهيامي ومسرح ناظري * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بأنه همز في هذه القصيدة ما لا يهمز فقال

عدت الغماز بن علي بجهلهم * وان قناتي لا تلين من الغمز
تجلت لهم آيات وهمي ومنطقي * مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همزية أوحدية * وويل بها ويل لذي الهمز واللمز
رموها بنقص بيّنت فيه نقصهم * ومن لبس الافق شكا ألم الكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو مما يتغنى به بالاندلس

قد رالعقيق مجانبا العقوقه * ودع العذيب عذيب ذات اذالي
أوفي محلي بالقواضب والقنا * للاعيد المعطار لا المعطال
بجمولك الامن توهم خاطري * وحلولك الامن تصورباني
والقارطان جميل صبري والكرى * في أرحي منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

سامح أخاك اذا أتاك بزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
في كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا وأعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فأخبر فتبسم

أتراه أطربه الهديل ورادة * طربا وحققت أين حلت جنابه

وله فى غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالقار أصبح على الحيا * والليل قد لامس الهلالا

وكتب أبو محمد عبدالله فى معذرة الى بعض أصحابه من الامرفى طلطلة

لو كنت حيث تحبنى * لاداب قلبك ما أقول
يكفيك منى أننى * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما ألفى رسول
هذا وكم بتنا وفى * أيماننا كأس الشمول
والعود يخفق والدخا * ن العنبرى به يجول
حال الزمان ولم أزل * مذ كنت أعهده يحول

ولابى الحسن على بن مهلهل الجليانى فى أبى بكر بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى دولة الملثمين

لولا النهود لما عراك تنهد * وعلى الخدود القلب منك يخدد
يا ناقذا قلبى بسهم جفونه * مالى على سهم رميت به يد

وقال أبو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب أطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * فى خده حاكيا ما خط بالقلم
لام العذول عليه حين أبصره * فقلت دع عنى فزين البرد بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قدت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشعر أو من در مبتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضى وبزل المطر على أثره وكان الناس فى جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأ البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب أبو بكر محمد بن نصر الاوسى مختصا بوزير عبد المؤمن أبى جعفر بن عطية فقال فيه

أبا جعفر نلت الذى نال جعفر * ولا زلت بالعلياء تسمو وتجبر
عليك لنا فضل وبر وأنعم * ونحن علينا كل مدح يحبر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد أحس من عبد المؤمن التغير الذى أفضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه أبى جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر أمره الصلب فكان هذا عام الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

وما أنا عن ذا الذا الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم

كلفه ساقط أحمق • مشتهر بالطعن والظنن
أكذب خلق الله أرداهم • أشرفهم في الخوف والأمن
يكفر ما يسدى إليه ولا • يعذر إلا قاسي الأذن
فإن صنعت الخير أبديته • شرّا وأبدى الحقد للضغن
واتقد الناس عليك الذي • تسدى له في أي ما فن
فافعل به ما هو أهل له • واسمعه تسمع أولا أكنى
أهنه واصفعه ولا تترك الـ • جواب يكرمه لدى الأذن
واقطع به القول واحرمه من • ردّ جواب أنسه يدني
وكلما استنبط رأيا فسفهه ودعه مستحسن الجبن
فهو إذا أكرمته فاسد • وصالح بالهون واللعن
شفاعتي في مثله هذه • ولا سقاها هاطل المزن

ودفع إليه الكتاب مختوما فسرّ به وصل إلى العامل وسافر إليه أياما فلما دفعه إليه قرأه وضحك ودفعه إلى من يشاركه في ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخرجه إلى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتني لأرذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة إذن فقال له أو تريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر من يأتيه بالأبيات فقرئت عليه فانصرف في أسوإ حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فتريا هذا الرجل بزي أهل البادية وزوّر كتابا على لسان زوجة لعبد المولى في بلدة أخرى وقال في الكتاب وقد بلغني أنك تزوجت غيري وأردت أن أكتب إليك في أن تطلقني فوصلني كتابك تعرّفني فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر في طلاقها فرددني ذلك عما عزمت عليه فانظر في تعجيل ما وعدت به من طلاقها فإنك إن لم تفعل لم أبق معك أبدا فلما تردّد إلى دار عبد المولى رأى جارية زوجته فقال لها أنا رجل بدوي أتيت من عند فلانة زوجة أبي محمد عبد المولى فعندما سمعت ذلك أعلمت ستها وأخذت الكتاب فوقفت على ما فيه غيرشا كذّ في صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ما سبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت إليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح وأن عدوّا له اختلقه عليه فلم يعد ذلك عندها شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك فقال له لا جزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادي أظلم فما كان ذنبي عندك حين كتبت في حقي ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ما ذنبي أنت كلك ذنوب

ألست بألأم الثقلين طرّا • وأثقلهم وأخبثهم لسانا
فمهما تبغ برّا عند شخص • تردّه بما تبغي هوانا

فانصرف عنه عالي اللسان بلعنته وكان أحمد بن عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد بخطرة يوما ببلد غيرة واتفق أن مرّ السيد يوما بذلك الموضع فنظر إليه في تلك الحال فقال له السيد ماذا تصنع فقال الدواة جفت ولم أجد ما أسقيها به إلا ماء ظهري فضحك

ومانفص العيش الهنأ غير أن ○ عارجه تكييف ماليس بالوذ
نطمناماى الخلان عقد فرائد ○ ولما تجد الالئ واسطة العقد
فاذا تراه لاعدمناك ساعة ○ فنحن بما تبديه فى جنة الخلد
ورشدك مطلوب وأمرك غيره ○ تغاب وكل منك يهدى الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما أو الدر فى العقد ○ هو الزهر نفاح الصبا أم شذا الوذ
أتانى وفكرى فى عقال من الاسى ○ فحل بمبعث السحر ما حل من عقد
ومن قبل على أين مبعث وبه ○ على جناب الورد من امس الورد
وأيقنت أن الدهر ليس براجع ○ لتقديم عصر أو وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام اهله ○ ترادف موج البحر ردا الى رد
فكم طيها من فائت مترقم ○ يعز على قد عمرت معطف الصلد
فيامن بهم ترهى المعالى ومن لهم ○ قباد المعالى ماسرى قصدكم قصدى
فسما وطوعا للذى قد أمرتم ○ به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة ○ مقلدة الاجياد موشية البرد
بهاقسة تدعى الكمامة فاطلعوا ○ بها زهرا أزكى نسيما من الند
وعندى ما يحتاج كل مؤمل ○ من الراح والمعشوق والكتب والنرد
فكل الى ماشاء ملست نابيا ○ عن ابن المساعد ذو الود
ولست خليا من تأنس قينة ○ اذا ما شدت ضل الحلى عن الرشد
لها ولد فى حجرها لا تربه ○ أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا لتى قد مكنت منه امكانه ○ تقلبه ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد مال الى زاهد ○ اذا حل عندى أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا ○ فعندى له فى عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته ونزلهم أحسن يوم على ماشتهوا وما زالوا بالرصافى الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكندى

غلبناك عما رمته يا ابن غالب ○ براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل ○ بما صلاحتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا ما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغى أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر فرأناه ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التى تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة ○ أضوا وأقصر من ذباله
لما نصبنا للمنى ○ فيه باوتار حباله
طار النهار به كمر ○ تاع فأحفلت الغزاله

قوله الوذ فى نسخة الورد اه

قوله يحتاج فى نسخة يختار وهو أنسب بقوله فكل الى ماشاء اه مصححه

وكم مقيمامنه حيث الصبا * تثار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما يلتقى القدود ارتياح
وشق جيب الصبر قصف اذا * شقت جيوب الطل منه الرياح
لم أحص كم غاديته ناشيا * واسترقصتنى الراح عند الرواح

وقوله

ألا حبذا روض بكرنا له ضحى * وفى جنبات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون نسيمة * تمزق ثوب الطل منها وترقع
وتحنى اذا ماطلت القضب ركعا * لطل لها من هزة السكر ركع

وكان ابن الصابونى فى مجلس أحد الفضلاء باشبيلية فقدم فيما قدم حمار حمل أحد الادباء يقشرها بسكين فخاف ابن الصابونى السكين من يده وألح عليه فى استرجاعها فقال له ابن الصابونى كف عنى والاجرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبى صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابونى وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف الابعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابونى

بعثت بمرآة الى بديعة * فأطلع بسامى أفقها قمر السعد
لتسطر فيها حسن وجهك منصفا * وتعذرنى فيما أكن من الوجد
فأرسل بها الذاالمتخطك برهة * لتحى منه ماجناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر احسانا وأبقى على العهد

وقوله فى لابس أحمر

أقبل فى حلة موردة * كالبدر فى حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمى * يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولاعول عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه يعض يديه على ماجرى عليه فمات عند ايابه الى الاسكندرية كمدا ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد خير الدينار والدرهم * لما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فردفم

ومرفيها الى أن قال فى وصف الدنانير

كأنها الانجم والمعتقد * حقق عندى انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتمة الطبيب

ياعيرحمص عيرتك الحمر * با كلك البرمكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبى العباس أحمد بن الصابونى شاعر اشبيلية الشهير

يا ليتني كنت طيرا * أطير حتى أراكا
بمن تبدلت غيرا * ولم تحل عن هواكا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجارى فى المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلى فى أصمر ارتجالا

كان محياك له بهجة * حتى اذا جاء شماتى الجمال
أصبحت كالشمعة لما جنى * منها الضياء اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأ على أبى على الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العربى فى حقه وكان أظهر الاسلام ما صورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه دلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدر الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

وأمى بقلبى منه جسم موضح * تراه على خديه يندى ويبرد
يسائلى من أى دين مداعبا * وشمل اعتقادى فى هواه مبدد
فؤادى حنيفى ولكن مقلتى * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرز الرايات
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا * حر المصيف فشبه الجنات
خد يجرى ماء النعيم بجمره * فاسود مجرى الماء فى الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى فى رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بملء العيبه فيما جمع بطول الغيبه فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبه خلافا فى اسلام ابن سهل باطنا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدى أبو عبد الله بن مرزوق ما نصه صح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت فى بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل فى مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو فى الظاهر والباطن أم لا فاجابهم بقوله للناس ما ظهر ولله ما استتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذاك وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق فى النظم والتوشيح وما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقى وموسى يشبها * تجد خير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلى * فاسقيتنى بالبعد فاتحة الرعد
فبالله ردّ ما بقلبى من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

قوله بوجهه جيش الفتور هكذا فى الاصل ولعله بجفنه جيش الفتور أو بوجهه جيش الفتون تامل اه مصححه

كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل في حسنه * طال على النابغة الجعدى

وحدث أبو حيان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر الفتح بن على الانصارى الاشبيلى بغرناطة أن ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلى كان يهوديا ثم أسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال أبو حيان ووقفت عليها وهى من أبدع ما نظم فى معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى * أدارى بها همى اذا الليل عسعسا
أتانى حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذى جاء زائرا * أصبت الامانى خذ قلوبا وأنفسا
كأنى موسى من سقام جفونه * رداء وسقانى من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوان * والنوم عن عينى برى

وقد عارضه غير واحد فما شقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودى فكان قد تمكن عند الادفونش ملك طليطلة النصرانى وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدنى لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويتقرب من الملوك ولم يرده على ما كان يعامله به من الادلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمرين شتى بين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوى فى الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت فى حال الفراغ تعوّد
وقد حال ما بينى وبينك شاغل * فلا تطلبنى بالذى كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلغى وتطرد
الا فأت فى أبوابه كل مسلك * ولا تلك فى لا حيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدنى لنفسه

ولما جال مسك العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر
وأصبح عذالى يقولون صاحب * فأخلو به جهرا ولا أتستر

وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى

حضرة الادفونش لا برحت * غادة أيامها عرس

فقام كالمختبل وضمها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر مني ونظرت في المرآة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جان يمد لها يدا
فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا * ويبقى الذي مان اسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها وقالت في ظبية عندها

ياظبيـــة ترعى بروض دائما * انى حكيتك في التوحش والحرد
أمسي كلانا مفردا عن صاحب * فلنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق القلعي ثم الغرناطي بعض أصحابه الى أنس بقوله

سيدي عندي اترج وناريج وراح
وجنى آس وزهر * وحما يا لا يباح
ليس الا مطرب يسـ * ـلي الندامى والملاح
ومكان لا تسهاله * قد نأى عنه الفلاح
لا ترى يطلع فيه * دون أكواس صباح
فيه قينات لهن في * لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا
لا كقوم أوجعتهم * لهم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لا يجيبه
فقلت ليس عجيبا * أن لا يجيب حبيبه
هون عليك فاني * من حبه لا أتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مسجون بدار الاشراف باشبيلية وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه فلما جئني أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الطريفة فقلت له يا والد أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار وما أحسنك الا ردت على هذا العدد لما أراه فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أتراني اذا ركبت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذي أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدني

ليس عندي من الهموم حديث * كلما ساءني الزمان سررت
أتراني أكون للدهر عونا * فاذا مسني يضر ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكأني * عند اقلاعها بما ضررت

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعي

بدا ألف التعريف في طرس خده * فيا هل ترا بعد ذا الشكر
وقد كان كافورا فهل أنا نازل * له عند ما حاء مسك وعنبر
وما غير روض لا يرق نباته * وهل أتقن الأثواب الا المشهر

قوله والعشر كلمات في نسخة اسقاط لفظ كلمات اه

قوله فلنصطبر في نسخة بدله فعانيا اه

هـذا شعر لك أيام سلطانك فهل قلت أيام أمرك فقال نعم لما قتل أهـل المرية ابن مخلوف عامل عبد المؤمن وأكرهوني أن أتولى أمرهم قلت

أرى فتنا تكشف عن لظاها * رماد بالنفاق له انصداع

وآل بها الطغام الى انتشار * وسادتها الاسافل والرعاع

سأحمل كل ما جشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

وأصل بني الرميمي من بني أمية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمة قرية من أعمال قرطبة وقال أبو بكر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت أقطار الغير أحبة * ومدحت أقواما بغير صلات

أموال أشعاري نمت فتكاثرت * فجعلت مدحي للبخيل زكاتي

وهذا من غريب المعاني وفي بني عبد الصمد يقول بعض أهل عصرهم لما رأى من كثرة عددهم والتثامهم بالسلطان

ملأت قلبي هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد

كان الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد

كلهم ذئب اذا اقنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلبي ملك المرية بذ الناس في وقته بأربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال ابو حيان وكان قبل محنته صير ديدنه أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عني نيام * وهضمي على الدهر شيء حرام

وذاع هذا البيت في الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سيوقظها قدر لا ينام وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوي المعرفة مشاركا في الفقه حاضر الجواب جماعا للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك وكان مقتله بيد باديس بن حبوس ملك غرناطة ومن أدل الدلائل على إعجابه قوله

قوله حبوس في نسخة حيون اه

لي نفس لا ترتضي الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا

لو ترقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغي هناك الصعودا

أيها الطالبون شأو مجدي * في مكاني ما بين قومي وليدا

وكان يتهم بداء أبي جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فما ذا الذي * تصنع فيه يا خفيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ما أشتهي * وحاسدي خارجه في هوان

وكان الاعمى التطيلي شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كلابا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل لما أبا بكر لم تقع في الناس فقال أنا أعمى وهم

عرّج على ذاك الجناب العالى * واحكم على الاموال بالآمال
فيه ابن حمدين الذى لنواله * من كل أرض شدّ كل رحال

فقال له القاضى ما هذا الوثوب على المدح من أول وهلة ألا تدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول أيضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى عالك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كلما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الا أن أتركه عند أول بيت فاستحسن ذلك منه وأحسن اليه ومن هذه القصيدة

فانت موال برّه ونواله * فللجميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا أنشده منه

وكانت عينى ترعى النجم فى الظلم * وعرقى قد غدت عز وحة بدم

فقال له الغلام أنت لا تبرح بكوكب من عينك ليلا ولا نهارا وعاشقا وغير عاشق فجعل هلال وكان على عينه نقطة * وحكى ابن حيان أن الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض أسفاره وتطأطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

ومالا ترى مما يقى الله أكثر

وطلب صدر البيت فعزب عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فأنشد الامير

ترى الشمس مما يتقى فهابه

فأعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم المرادق وأعقب ابناء بيتى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس يريد المرى بالليل من خيل بربرا فهم الزجالى انه عرض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مدحا لما أراده ومعرّضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرّض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أول أمره ومعرفة الغناء فقال الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ما جرى من الاول الى الآخر وأنشد

وما الحرّ الامن يدين عثل ما * بدا ومن يخفى القبيح وينصف
هم شرعوا التعريض قذفا وعندما * تبعناهم لاموا عليه وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فأنشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين
أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعت ما أتى به امامنا من تبديل الحدود وتضاحكا * وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور صاحب بلنسية ويعرف بالمنصور الصغير قطعة أولها

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

ماتعيت عسى الاعذر * ودليلى فى ذا الشرصى علبكا
هبك ان الفرار من غيرذنب * أتراه يكون الا اليكا

وقال فى المطمح فى حق أبى الفرج من ثنية رياسه وعترة نفاسه مامنهم الا من تحلى بالاماره وتردى بالوزاره وأصاء فى آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو أحد أمجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما تهالة وبلا الاانه تهق ودهوا ولقى من الايام مارهبوا وعاين تنكرها وشرب عكرها وجال فى الآفاق واستدرّ أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فأخمل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندرست آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ماقاله وحاله قدأدبرت والخطوب اليه قد ابتدرت أخبرنى الوزير الحكيم أبو محمد المصرى وهو الذى آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه فى أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لايحجب عنه وتكون منه من أعظم نعمائه فأجابه بالاسعاف واستماع منه ما كان يعاف لعلمه بقلته واقراط حلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أنا قد أتيت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر منى السابق
فالشمس أنت وقد أطلّ طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى ففازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
وانا بوجهك حجة مبرورة * فى كل يوم تنقضى وتعاد

وقال الفتح فى حقه ماصورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للعلماء فانجبهم الادباء وابتهم العظماء واتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بجمعهم الظلماء وأبو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذى لايبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستفتى المدام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف وأرى قينات السرور ومجالوه وآيات المحسن متلوه وله كتاب سماه حديقة الارتياح فى وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه وصرعه فى مداه فقد كان فى المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه بالاقوام فى ذلك والالواح فاطمأن اليه أبو عامر واغتر وأنس الى مابسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته فى اغتياله فرصه لم يعلق بها حصه ولم يضق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط فى البحيرة وارتكبا ولم يعلم به الا بعد ماطفا فأخرج وقد قضى وأدرج منه فى الكفن حسام المجد منتضى فمن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما أبدع فيه وأحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجلّ فى أعين النظار منظره
كأنه أكؤس البلور قد صنعت * مسدسات تعالى الله مطهره

قوله فى ذا الشرصى فى نسخة بدله الى حريص وقوله من غير ذنب فى نسخة من عظم ذنب اه

قوله فقد كان الخ هكذا فى الاصل ولعل المناسب لما كان الخ تأمل اه مصححه

قوله جيد في نسخة خد اه

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللماى

أ لما فديتكما نستلم * منازل سلمى على ذى سلم

منازل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم

أ ما تجدان الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال فى المطمح فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها بمطبوعها اذا كتب نثر الدر فى المهارق وبعث فيه أنفاسه كالمسك فى المفارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تطل لدوحته فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال فى قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب على بن حمود العلوى وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروى فيأتى على البديه بما يعجز المروى والبديع فمن ذلك ما كتب به متغننا من ضمن رسالة روض القلم فى فنائك مونق وغصن الادب بماثك مورق وقد قذف بحر الهند درره وبعث روض نجد زهره فأهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده على مبانى قصده * وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا

وسربلت الارض أمواهها * وجللت السندس الاخضرا

وهز الرياح صنابيرها * فضوعت المسك والعنبرا

تهادى به الناس الطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال فى حقه فى المطمح من بيت جلالة وعترة أصالة كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل وسعوا فى الخلافة حتى حصر مبايعها وكثر مشايعها وجدوا فى الهدنة وانعقادها وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها فانهزمت عراها وارتبطت أولاها وأخراها بطهرت البيعة وانتضحت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحل مطلعها وفلكها مع اشتهار فى اللغة والآداب وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور وبين يديه كتاب ابن السرى وهو به كلف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل جرد له من ذهنه أى سيف صقيل وأتى به منتسخا مصورا فى ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفرى فسر به المنصور وأعجب ولا غاب عن بصره ساعة ولا حجب وكان له بعد هذه المدة حين أدجت الفتنة ليلها وأزحت اليها خيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القواضب والمواضى كالحية النضناض ثم اشتهر بعد واقترب له السعد وفى تلك المدة يقول يتشوق الى أهله

سقى بلدا أهلى به وأقاربى * غوادٍ بأثقال الحيا وروائح

وهبت عليهم بالعشى وبالضحى * نواسم بردِ الظلال فوائح

تذكرتهم والنأى قد حال دونهم * ولم أنس لكن أوقد القلب لافح

تحبيره وانشاءه وقد أثبت له بدعا يثنى اليها الاحسان جيدا واخدعا من ذلك قوله في منزل حله متنزها

يا منزل الحسن أهواه وآلفه * حقا لقد جمعت في صحنك البدع
لله ما اصطنعت نعماك عندى في * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير أبي مروان بن الدب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معترس سنته فأقام بها أياما متأنسا وبجذوة السرور مقتبسا وأولاه من التحف وأهدى اليه من الطرف ما عمر كنزه وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير وأين الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به * يبدى وصوب الحيا يهمى وينهمل
وحال طرفى في أرجائه مرحا * وقت اجتيازى يستعلى ويستفل
يرنو بمقلته حيث ارتمى زهر * عليه من صفتى أردانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان ووافانا به الامل

وحل بعد ذلك متنزها بها على عادته فاحتفل في موالاة ذلك البر واعادته فلما رحل كتب اليه

يا دار أمنت الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالذى * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الدنا * روادعت لك قاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو أبي العلاء المعرى في الصاهل والساجح وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما استدعاها منه تصرفها اليه وكتب معها بكرزمتها أعزك الله تعالى غزلك وحررت بعقد مهاسناك وسرورك فلم أمطها عن شبح ولاجهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها ويستمع ولكن لما أنست من أنسك باتجاعها وحرصك على ارتجاعها دفعت في صدر الولوع وتركت بينها وبين مجاثها الك الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فاسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افانين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج أفكارك وانها الشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة حزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قد هابه وفراها وقدح زند المعالى حتى أوراها مع صون يرتديه ولايكاد يبديه وشيمة ألحقته بالكهول فاقفرت منه ربعها المأهول وشرف ارتداه وسلف اقتدى أثره الكريم واقتداه وله شعر بديع السرد مفوف البرد وقد أثبت له منه ما ألفيت وبالدلالة عليه اكتفيت فمن ذلك قوله

قوله ولاخوانه هكذا في الاصل ولعلها محرفة والاصل ولامثاله او نحوه ومع ذلك فالاولى اسقاطها تأمل اه مصححه

حسب الحمام لو أبقاهم وأمهلهم * أن لايدل على معلومه حسنا

وقال فى المطمح الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبى زمنين فقيه متبتل وزاهد لامنحرف الى الدنيا ولا منفتل هجرها هجر المنحرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه وابداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه وبينه ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا فى شعاب تلك المسالك ايغال وله تآليف فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار وأشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال منها قوله الموت فى كل حين ينشر الكفنا عد كر الابيات انتهى * وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها

وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأهوى لها

وقال فى المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ماتكلم تقليدا ولا عدا اختراعا وتوليدا ماعنت به الاندلس أن تكون كالعراق ولا حنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه ومابرح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عيشة الغمرات ولكنه أربى على من من ذلك غذى وأزرى على من هنالك نعل وحذى تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أى اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ومابد الدنيا وقد تصدت له بأفتن محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها وألبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وبدأ فى اقتناء عجبه وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام وكتاب القصد فى الاهواء والملل والنحل وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك مما لم يطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون يخوض الى المجد والمكرمات ولابن حزم فى الادب سبق لاينكر وبديهة لايعلم انه روى فيها ولا فكر وقد أثبت من شعره مايعلم انه أوحد وماماثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها فى غير هذا الموضع * وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبى بكر اللؤلؤى يستدعيه فى يوم طين ومطر اقتضاه أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكنى

لنا بحكم فيه أشهى فن * فأنت فى ذا اليوم أمنى منى

وقال فى المطمح ان ابن مسرة كان على طريقة من الزهد والعبادة سبق فيها وانتسق فى سلك مقتفيها وكانت له اشارات غامضه وعبارة عن منازل الملحدين غير داحضة ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسبتهم اليه رهق وظهر له فيها خرق حل عن الرشد ومزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع فى استباحتها الخرق وغدت مهجوره على التالين محجوره وكان له تعمق فى البلاغة وتدقيق لمعانيها وتزويق لاغراضها

قوله ولم يقف فى نسخة ولم يثقف اهـ

وسدد لسانها انتهى وهو نمط الصوفية الذين نكاتمهم والتسليم أسلم والله
تعالى بأمرهم أعلم *(ومن حكايات أهل الاندلس) في الاغضاء عن السلطان والفرار
من المناصب مع القدرة عليها ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الحسين اذ
قال كان فصيح اللسان جزل البيان وكان أبوه مستصفى السلطان لم يستبد بما
ولم يشكك له عزم عليها دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر بها التحصن
وقال أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت السموات والارض عن حمل الامانة
أبانة اشفاق لا اباية عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باحضار أو جعل السيف
ان تمادى على اباية واصرار فلما بلغه عزمه هذا أعفاه قال وكان الغالب عليه علم
النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقة وكانت الفتوى على سنه
سننه وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الآفاق وعندما اطمأنت به الدار
ولم أغص بها مدار قال كان لم يكن بين ولم يلد ترجمته الابيات انتهى وقد
الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى فانه يرى كلام الفتح
قد اضطرب في نسبها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهي قطعة فيها ذا الـ
*(ومن دعابات أهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن أبي الحلي وهو علي أبو الحلي الكاتب
أبو الحسن قال لسان الدين كان شيخا مليح الحديث حافظا للمسائل الفقهية فقيها على
الدولة مطلعا على كلامها كثير الحكايات يحكى انه شاهد غرائب وطرائف فيها على
بعض الطلبة ويعدون ذلك الى الايهام والداعبة حتى صار في ذلك شرا أشهر
السالك والحلي في أخبار ابن أبي الحلي من ذلك انه كانت له هر فدخل البيت يوما
فوجدها قد بلت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها وقبضت بها فأرا كو فارد ودعت
اليد الاخرى لتصيد فاذا هي اقتنصت بها فأرا ووضعت أصبعها على فمها على هيئة المشير
بالصمت وأشباه ذلك وتوفي المذكور سنة ٦ ٤ قاله في الاحاطة *(ومن أخبار
ملوك الاندلس) أن نزارا العبيدي صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس
كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المرواني أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك
لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب * ويحكى انه كتب
الى العبيدي ملك مصر معرضا

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

*(ومن غريب ما يحكى من قوة أهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة
بن ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته أذفونش
ملك ملوك الروم وقد أهمه خراب ضياعها وقطع الثمر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق
الغدر الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد فسدت ملكك ولو كان الملك في غيره
لما عدى لم يزل لي ساحته ولا يمكن نهارا به فلما وصلته الرسالة عف وأمر
بالكف ونصب الاسرعة في الاجتماع به فأسرع حريز في سبعة من ملوك الروم فانتهى

الى

الى مادرتين ولما صاروا الى المدينة البيضاء وهي قلعة رباح عربي طليطلة خرج حرير لابسا لامة حربه برمق الروم منه شخصا أوتي بسطة في الجسم والبسالة يتحدثون بأفلات حربه ويتعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل وسط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فابصر الملك منه هيئة تشهد له عاعه حذق وهيبة تجرع للقائها الشجاع ويكترث فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك يا حرير أريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حرير المبارز لا يبارز الا كفاءه وان لي بينة على صدق قولي انى ليس لي فيهم كفؤ هذا ارمحى قد ركزته فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة فركب عظيمهم فلم يزل الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرني يا حرير كيف تقلعه فركب وأشار بيده واقتلعه فعجب القوم ووصله الملك وأكرمه انتهى وكان حرير هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذي النون الوزير أبو المطرف بن المثنى كتب اليه

يا فريدا دون ثاني * وهلالا في العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلسان

فجاوبه حرير وهو يومئذ أمير قلعته

يا فريدا لا يجارى * بين أبناء الزمان
جاءمن شعرك روض * جاده صوب البيان
فبعثناها سلافا * كسجايالك الحسان

وكان لحرير كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تعقل شديد فأمره أن يكتب الى المأمون بن ذي النون في شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغنى أن الحصن الفلاني دخله النصارى ان شاء الله تعالى وهذه الواقعة التي ذكرها الله تعالى في القرآن بل هي الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فبالله على هذه المصيبة التي هدت قواعد المسلمين وأبقت في قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدنا المستقبلا الامور نقاد الصعيرك وكبيرك فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الابله الجلف وأسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت أن عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدرى من أي شيء يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضي أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه أم من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله لما طرأ على من يخاطبه أم من علمه بشأن هذا الحصن الذي لو أنه القسطنطينية العظمى ماراد على عظمه وهوله شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى لخفي عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لاماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعمره الا لص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا في بعض السنين باعه أحدهم بعشرين دينارا ولعمري انه لم يغبن في بيعه ولا رع أربابا بتباعه وأراح من الشين بنسبته والنظر في خداعه فليت

والانس ان يسرته متيسر * ومتى تصعبه فيا ما أصعبه

فأجابه

يامالك الكتاب الملوك بعلمه * وخلاله وعلوه فى المرتبه

وابى الذى الحرت عند جوابه * اذ ماتسمى ربه مستغربه

انا اداخلو ونقول حاسد * وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه

هبنى الى يوم تطيش به النهى * والبيض تنضى والقنا متشاجبه

وهناك فانظرنى بعين بصيرة * فالشبل يعرف أصله من جربه

ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى أن قتل فى جيش كان تقدمه عليه فقال فيه من قصيدة

يا صارما أغمدته * عن ناظرى الصوارم

وزهرة غيبتها * عن الطيور كائم

يا كوكبا حرمنى انجمى وأننى راغم

بكت على وشقت * جيوب حتى الغمائم

قل للحمائم انى * أصبحت أحكى الحمائم

وأنثر الدمع مهما * رأيت للزهر باسم

تالله لا لذ عيش * لمسترق لك عادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على المورقى صاحب فتنة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه

أيحيا ورحمى ناصرى وحسامى * وعزاوعزى قائدى وامامى

ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله ويحامى

ألا اغنيانى بالصهيل فانه * سماعى ورقراق الدماء مدامى

وحطاعلى الرمضاء رحلى فانها * مهادى وخفاق البنود خيامى

وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من أبطال عصره وكان يدفع فى المواكب ويشقها يمينا وشمالا منشدا

أكر على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو رآك السلطان لزاد فيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض بهلاك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى

*(ومن حكاياتهم فى الطرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح

وإذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمه الأرواح

وإذا الحنادس ألبست ظلماءها * فسنا وجهك في الدجى مصباح

فكتبها الناس طرا على ظهر يد . قال الراوي فلقد رأيته يكر على الحمار والأبيات على ظهر يده *(ومن حكاياتهم في البلاغة) ما ذكر في المطمح أن الوليد بن هشام لما انصرف من الحج اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه طويلا ثم قال له أنشدني لمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه فأنشده

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه * أبصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما أكمل إنشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الأدب مما يجب حفظه من مخترعات الأندلسيين قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا

ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى لبست من العذار حمائلا انتهى

وحكي أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته وبعد الفراغ من دفنها وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليشكرهم فقيل إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد قال الصفدي وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام وهو أمر صعب إلى الغاية وأرى أنه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء أنه ما سمعت منه كلمة فيها راء لأنه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب في تمرن هذا الأمر وعدم هوله أن واصل ابن عطاء كان يعدل إلى ما رادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير في كلام العرب فإذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو سابح أو صافن أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزني أو غير ذلك أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك وأما ابن زيدون فالقول في جمعه أقل ما كان في تلك الجنازة وهو وزير ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يشكره ويضطر إلى ذلك فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارة تتعلق بالشكر وهذا كثير إلى الغاية لا سيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول إذا انجلت * سحائب منه أعقبت بسحائب

وقد استعمل الحريري هذا في مقاماته عندما ذكر طلوع الفجر وهو من المقدرة على الكلام وأورد الخطبة بأسرها بما لا يلحق في هذا الباب فإنه أملى خطبة من أولها إلى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروا فإنكم إليه راجعون وهذا أمر بارع يحير والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدي ملخصا وقال في الوافي بعد ذكر جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه وقال له من الأدباء من لبس الناس وعجم بالعمى ورأى أبي عمرو وثقته للساقي وروى شعر ابن زيدون فقد

استكمل الظرف وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى (رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث أبو الربيع سليمان ابن علي الشلبي الشهير بكثير يروى من يتجنى عليه ويقول انه أبرد من الثلج فخاطبه كثير بقوله

ياحبيبا له كلام خلوب * قلبت في لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا * ومن الحب في حشاه لهيب
أنت شمس وقلت اني ثلج * فلهذا اذا طلعت أذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على أربعة أمثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد أحكم والتوسط أجمل

وقال ابن السيد البطليوسي متغزلا

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أضناني
في فيه سمطا جوهر يروى الظما * لوعلني ببروده أحياني

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مصمما

الى كم ينفد الدينار مني * ويطلب كف من عنه بعيد
ألم أنشده في وادي هيامي * به لو كان يعطفه النشيد
حبيبي أنت تعلم ما أريد * ولكن لاترق ولاتجود
وكم غنيت حين تنكبتني * مني شرطانها أبدا مريد
يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا مايريد

وقال ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم ترد بر * يامشبه البدر المنير
لاسرحن نواظري * في ذلك الورد النضير
ولا كلسك بالمنى * ولا شربنك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتي ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة أهل الاندلس في الجد والهزل مافيه مقنع ان اقتصر عليه *(ومن حكاياتهم في عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) أنه لما ثار أيوب بن مطروح في المائة الخامسة في الدشة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فبين رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الحبائل وكانت له همة وأنفة عظيمة وخلع عن امارته وجعل في حبالته أدخل رأسه قصبة فانتظر من حضر معه أن يتكلم أو يخرج رأسه فلم يكن الا قليل حتى وقع

سامحه الله تعالى * ولما نازل الميورقي مايرقه على بني عبد المؤمن الموثور المشهور وجد فيه جملة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسي كتب عنه من رسالة وبعد فأنا لا نحتاج لك الى برهان على أمر لسانه الحسام ويده التأييد الرباني الذي لا يرام فقد نصب خيامه بالراح ولم تتحصن بالسور واعتمر سمر الصفاح وحض الصفاح لهون المرم رد ومن الحزم كف اذا صدق الحسام وصممه * فكل فرار حصن حصين وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون عن ربعه ولا يركنون الى عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك في شك فاقدم علينا حتى تصح لك اخبار الذهب بالسبك وانت بالخيار في الظعن والاقامة فان حللت فخير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت في كنف السلامة اذ نحن نبا نبا الاصدقاء لا الاخوان وأن يدع لاخبار كل انسان *(ومن حكايات أهل الاندلس في الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد بن عباد اذ أدخلت عليه جملة من دنانير السكة فأمر له بخريطة منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب ما يحمل هذه الدنانير الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتني جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك في أعطان مكرمة * لا قدست من منح فيها ولا عقلا
فاعجب لشأني فشأني كله عجب * رفهت حمل جمل جاءني الجملا

ومن نظم أبي العرب المذكور

الام اتباعي للاماني الكواذب * وهذا طريقي في الحوادث ذاهب
أهم ولي عزمان عزم مشرق * وآخر يغري همتي بالمغارب
ولا بد لي أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وذكر الحافظ الحجاري في المسهب انه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقي من أجواد تلك الجزيرة فقال يا ابن أخي لم أدرك الا بقايا الاصطناع في زمان أمرهم وعفو أن رعيتهم في المكارم ولكن اعجب بهم وأمرهم قد هرم وساء بهم الحال طوّلتهم ومللوا الشكر وحصروا بالمروءة وسقلتهم المحن والفتن فلم تبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرّهم وأتيناه على الهرم

فان تكن أتيناه على الهرم فانا أتيناه وهو في سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحتمل نفسه ما لا يحتمله الزمان ويبسم في موضع القطوب ويظهر الرضا في حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول قال له ذات المعتمد بن عباد كيف رأيته فقال تصدقه وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في غزوته للنصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روّع الله سربا في رحابهم * وان زهر في ربيع وأعياد

ولا

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد
ذى المكرمات التى مازلت تسمعها * أنس المقيم وفى الاسفار كالزاد
ياليت شعرى ماذا ارتضيه لمن * ناداه يا مونلى فى جحفل النادى

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتمى لك الزمان وأمر شاد ماله فأعطانى ما أعيش فى فائدته الى الآن فانى انصرفت به الى المرية وكان يجتنى سكاها والتجارة بها لكونها مينا المراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها وكان ابقاء ماء وجهى على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل الفكر والفكر فى القصيدة وأنا مترقب لمقدمه لكونه فى هذا الشان من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يتحامونه لذلك الامر عرف من سمه التبريز ووثق بها الى أن انتهى الى قولى

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد

فقال لاى شئ جعلت عليهم أن يسقوا بكمه فقلت اذ كان يلحقنى من المقدما لحق ذا الرمة فى قوله ولا زال منهلا بجرعائك القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فتألقت غرته وبدت مسرته وقال انا الله على أن لم يعما الزمان على مكافأة مثلك

قال وكنت من زاره بسجنه باغمات وحالتنى شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام فى الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدرى من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محى وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجانى على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه أمر لى باحسان على قدر ما استطاع فارتجلت

آليت لا أقبل احسانكم * والدهر فيما قد عراكم معى
فنى الذى أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قد نسى

قال وفيه أقول من قصيدة

ياطالب الانصاف من دهره * طلبت أمرا غير معتاد
فلو يكون العدل فى طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللحجارى المذكور كتاب فى البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * امنى من سطوة الدهر
ينام للشرب على جنبه * ويصرف الذنب الى الخمر

وله فى فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * ويسلم فى الكفاح من الجماح
كأن أديمه ليل بهيم * تحجل بالبسير من الصباح

ابن أبي عبدة أولا يحضر بعد ذلك معه وجالا في مضمار الادب فرأى ابن أبي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ما هذا أين هذا مما كان فقال ان كلمتك عملت في فكرى ما أوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف جزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سران لى عليك قاد بهمتك على التأدب والتمييز فاذا حضرنا في جماعة فلا تتطاول على تقصيرى وحافظ على أن لا أسقط من العيون بارباء غيرى على فقال لك ذلك وزيادة * وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيئ الخلق في أول أمره كثير الاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق عما يقال في جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثر التشكى من لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لوكيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبنى فيه الآن بناء أسكن فيه ابني المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى الثقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي وحده وفقد خوله ومن كان يستريح معه ونظر الى ما سلمه من الملك ضجر فقال للثقة عسى أن يصلني غلماني وأصحابي أتأنس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصلك احد وأن تبقى وحدك لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية فعلم أن الامير قصد محنته بذلك وتأديبه فاستدعى دواة وكتب الى أبيه انى قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك عقابا لذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاى ولم أعلمه فانى صابر على تأديبه ضارع اليه في عفوه وصفحه

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم أن الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان وما فعلت ذلك عقابا لك وانما رأينا لك تكثر الضجر والتشكى من القال والقيل فأردنا راحتك بأن نحجب عنك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه أخف على من التوحد والتوحش والتخلى عما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهى فقال له فاذ قد عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعول على أن تسمع كأنك لم تسمع وترى كأنك لم تر وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم انك أقرب الناس الى وأحبهم فى وبعد هذا انما يخلو صدرك فى وقت من الاوقات عن انكار على وسخط لما أفعله في جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعنى الله تعالى عليه لساءني لكن الحمد لله الذى حفظ ما بين القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها وان لك لذوهمة ومطامع ومن يكن كذا يصبر ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من الشخص على ما يسوءه فقد يرى منه بعد ذلك ما يسر ولقد يحف على اليوم من قاسيت من فعله

أفنيت عمري في الشر * ب والوجوه الملاح
ولم أصبح أصيلا * ولا اطلاع صباح
أحيي الليالي سهدا * في نشوة ومراح
ولست أسمع مادا * يقول داعي الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكي الكفر ليس بكافر وعتبه أحد اخوانه على هذا القول فقال انى قلته وأنا لا أعقل ولم أعلم انه يحفظ عني وأنا أستغفر الله تعالى منه والذى يغفر الفعل أكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

يا أخي فرقت صروف الليالي * بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب * نتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن في من اسمه ريحان

أحبك يا ريحان ما عشت دائما * ولولا مني في حبك الانس والجان
ولولاك لم أهو الظلام وسهده * ولا حببت لي في ذرى الدار غربان
وما أعشق الريحان الا لانه * شريكك في اسم فيه قلبي هيمان
على انه لم يكمل الطرف مجلس * اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم في ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبد الرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومي * لهم في الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالي * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاء بمدح آخر فقال أحد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يتقضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله تعالى خلقك مجبولا على كره رب الصنائع فاجر على ما جبلت عليه في نفسك ولا تمكن كالاجرب يعدى غيره وان هذا رجل قصد نا قبل فكان منا ما أشربه وحمله على العودة وقد طن بنا خيرا فلا نخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر ترداده ويديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه ويحفظ علينا مروآتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يبلينا بجليس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادي وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان ما دام العمر وقال أخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن لاخيهم السادس أبان وقد خلا معه على راحة هل لك أمل تبلغك اياه فقال لم يبق لي أمل الا أن يديم الله تعالى عمرك ويخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال ما مات الملك من باطل وكان كل واحد منهما يتهم بالآخر وفي ذلك يقول أبان

يا من يلوم ولا يدرى بجن أنا مفتتون لو ابصرته ما كنت تلحاني

ماسمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك أن رجلا أهدى له في قادوس وردا أحمر وأبيض فأمر أن يملأ له دراهم فقالت له جارية من جواريه ان رأى الامير أن يلون ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم * وكان المرواني المذكور يساير أحد الفقهاء الظرفاء فرأى جميلا فمال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهمهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكنا لا نتعلق في نظرها ولا نتعدى العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وقد كان بالحور العين التي وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لروحك بما شئت فقال أو ما هي حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأرى الشر بكالى فقال ولولا ذلك للمتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أعدى الذى من بي شاله * لحظي ولكن شيته غضبا

ماذاك الا انحاف مستقد * فالله يعمرو يعمر الدنيا

فقال له الفقيه ان كنت ثبت لحظك خوف انتقادى فاني أدعو الله حتى يملأ منه ولا تنسب الى ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك في الفقهاء معدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكني لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل المرء أن لا يفني عمره فيما لا ينفقه عصره وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولي العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وذبح بين يديه رحمه الله تعالى * وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هاك يا مولاى خطا * خطه في اللوح خطا

ابن سبع في سنيه * لم يطق للوح ضبطا

دمت يا مولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله

زارني من همت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر

أقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضا والفجر لم ينفجر

واستعار الروض منه نفحة * بشها بين الصبا والزهر

أيها الطالع بدرا نيرا * لا سلتك الدهر الابصرى

وكان مغرى مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذى أعاننا على معاتبته ودله على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أنا في صحة وجاه ونعمى * هي تدعو لهذه الالحان

وكذا الطير في الحدائق تشدو * للذى سر نفسه بالقيان

وقال أخو محمد بن الناصر المتقدم أخوهما المشتهر من عرق

يدعى بعبد الله أحمد معدم ● وصدّقا اخّي للدين والعلم

لقد سرت فيها السواد كتب أهله ● كأنما رسم الله فضل التقدم

وأما أخوه أبو محمد بن عبد الملك بن الناصر فإن الحجاري قال إنه لم يكن في ولد الناصر

من له في الأدب شعر وحسن أبيات وكتب إلى أبيه وزير صاحب مصر

ألستم بني مروان كيف تبدلت ● بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود منا تهللت ● له الأرض واهتزت إليه المنابر

وكان جواب العزيز له أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك وله في الصبوح

إن الصبوح حصن ● لذة تنجي من الناس

نحن من أجل ذا نراها ● بين عُدا وراس

كذا عامها قد ● لما حوا الراس

وبعض شرفاء الأندلس مخمور صدر الراس على مرور شرب الخمر والآس لله باله

وجد محمور وقال

أتاني وقد خط العذار بخده ● كما خط في ظهر الصحيفة عنوان

رأيت الأحاظ في وجناته ● فصف عليه للسعادة أردان

وردت عن أماني لاح كأنما ● يعج من الورد والآس بستان

وقال

لئن كف حلاع العذار تسادني ● وكأس مالي عن غرر المراتب

وإني لطعان إذا اشتجر القنا ● ومقتحم طرفي صدور الكتائب

وإني إذا لم يرض نفسي بمنزل ● وجاش بصدري الفكر جم المذاهب

حلفت بود الفجر لو أن صبري ● كصبري على ما نابني للنوائب

وأسرى إلى أن يحسب الليل أنني ● لطول مسيري فيه بعض الكواكب

وأما ابن أخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر فكان في بني أمية عبد

الله بن المعتز في آل العباس ملاحة شعر وحسن تشبيه ومن شعر القصيد المشهورة

غصن يهتز في غصن نقا ● يجتني منه فؤادي حرقا

سال لام الصدغ في صفحته ● سيلان التبر وافى الورقا

فتناهى الحسن فيه إنما ● يحسن الغصن إذا ما أورقا

ومنها

أصبحت شمساً وفوه مغربا ● ويد الساقي المحيي مشرقا

فإذا ما غربت في فمه ● تركت في الخدّ منه شفقا

ومنها

وكأن الورد يعلوه الندى ● وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا التشبيه قد فاق به أهل عصره وظن أنه لا يوجد لأحد منهم أحلى وأكثر أحدا

قوله وكان جواب العزيز له الخ يقال الناس قديما بأن هذا جواب منه للعزيز لأن العزيز له فعل ما هاهنا عرف والأصل وكتب في جواب العزيز أما الخ وقوله لهجوتنا الذي يقدم لا يحسن والمراد بالعزيز نزار العبيدي فتنبه اه مصححه

قوله على ما نابني الخ في نسخه على ما نالني من مصائب اه

عجائب القلوب من قوله

ودعت من أهوى أصيلا ليتنى * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذى ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذا يروق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذا ذكراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا * والورد أخجله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرنى عن أهواه

ولله قوله

وعشى كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشحوب
هبت فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
طلت فيه ما بين شمسين هذى * فى طلوع وهذه فى غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب
رب هذا خلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت فى قضيب
أى وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق * ليس فيه أمارة للقطوب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحمد رؤساء بنى مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لاعدمت الطرب * شرب كريم فى العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
فى قدح لم يك يسقى به * غير أولى المجد وأهل الحسب
ملياراذ أسقاك من كفه * فى جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على رأسه برا به * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبى عامر مدة الى أن رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه من أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر فى ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلق * كالمسك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم * وقام فى العلم عودى
فتواه جدد دينى * جدواه أورق عودى

قوله فكأنها فى نسخة فكأنما اه

لله أيام طمست بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله

لى فى كفالات الرماح لواتها * وقت ضمان بالغ الآمالا
وكأن دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضامنه أن لا يحول فقالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المصحك المشهور بالزرافة ويحضر معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المصحك يا مولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطل عذاره فقال له ما تطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب أمسك الله ومر سليمان به يوما وهو سكران وقد أوقف ذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان ومن لقيت هذا الثائر فقال يا مولاى بصفته القائم فقال ويحتاج الى خاتم فقال نعم ويكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة * وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة لكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * ترحنى بالله من هجركا
وكيف بالهجر وأنى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جو السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كأنما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المروانى يستعطف المنصور بن أبى عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * فى عبدك المتوسل المتحرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها * فى كل مجمع كوكب أو موسم
لا تستمع فى من سعى أرعى له * يا من يرى فى الله أحمى محتمى

وقال الاصم المروانى يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح معارضا بائية أبى تمام (السيف أصدق انباء من الكتب) بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله فى الطلب
وأين يذهب من فى رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها

وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط الدور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأسا حل ذروته * لصار كالعهن من خوف ومن رهب

وان كنت من أخلاقه في جهنم * فأرله من مثواك في جنة الخلد
الى أن يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر في البعد

ولكن هذا آخر ما نورده من كلام بني مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى أهل الاندلس جملة فنقول أمر أبو الحجاج المنصفي أن يكتب على قبره

قالت لي النفس أتاك الردى * وأنت في بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصري * لا يحمل الزاد لدار الكريم

وقد ذكرناهذين البيتين في غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا في حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب صبيق في رواح
هل شكرتم من سقام * أو جلستا للصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أتيتم فرادى * ذاك حكم المستراح

ودخل محمد بن غام بن وليد مجلس باديس بن حبوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبي جعفر اللماي بعض أصحابه عائدا في علته التي مات بها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحني عائدي فقلت له * لا لا تزدني على الذي أجد
أما ترى النار وهي خامدة * عند هبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقدرين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن ينق الشاطبي

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجع تاما بعد نقصان
اذ لا سبيل الى تخليد مأثرة * اذ لا سبيل الى تخليد جثمان

وقال أبو الحسن اللورقي

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ماليه
ولباسط آماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندي ويحمدني عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قواد المأمون بن ذي النون

نفضت كفي من الدنيا وقلت لها * اليك عني فما في الحق أغتبن

قوله محمد بن غام الخ في نسخة أبو محمد غام بن الوليد اه

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها الا تضييق الاعار بعض عمه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالالم في التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لي من التشبيهات في بيت قول ابن برون الاكشوني الاندلسي يصف فرسا وردا أغر محجلا

فكأن غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام أبي عامر هذا لا يحلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزخر

كشهد من مجر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلي

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز

تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم ورد نافسه كل مغ * وقل في مثل ذا اليوم أن يردا

في روضتين بشطي سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب معتقدا

يسد ذا القطر في أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر في رداء عروس * صبغته بزعفران العشي

ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه في دلاص الكمي

ولبعضهم في شكل يرمى الماء محوقا مثل الحباب وتفرقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الا نتائج فكر طب حاذق

لعبت به أيدي الصبا فكأنها * أيدي الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة في ماء

ولم أر فيها تشتهي العين منظرا * كتفاحة في بركة بقرار

يفيض عليها ماؤها فكأنها * بقية خد في احمرار عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح في دولاب

وباكية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم

يروقك منها ان تأملت نحوها * زئير اسود والتفاف أراقم

هامت بنا، تبغى أن تقبلها • وانتشرت تجتلى مرآة مطلعه
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا • على البدار فوافت وهى تجمعه
ورفع هذه الابيات الى الامير ابي يحيى زكريا • وقال حازم
لا نور يعدل نور اللوز فى أنق • وبهجة عند ذى عدل وانصاف
تمام زهر يظل الدر منتثرا • عليه من كل هامى القطر وكاف
يناثرى وهى أصداف الدر حبا • بيض غدت دررا فى خضر أصداف
وقال ابن سعد الخير فى رمانة
وساكنة فى ظلال الغصون • بروض يروقك أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ • غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد • تضرج بالدم أسنانه
وقال ابن نزار الوادى آشى
ورمانة قد فض عنها ختامها • حبيب أعار الدر بعض صفاته
فكم منهما نهد عذراء كاعب • وما ولدى منها شبيه لداته
وقال بعضهم فى القراسيا ويقال له بالمغرب حب الملوك
ودوح تهدل أشطانه • رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق • وما اسود منه عيون المها
وقال بعضهم
وأين معاهد للحسن فيها • وللانس التقاء اليمنين
وللاوتار والاطيار فيها • لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها • ومن بطحائها فى مطلعين
وأغيد يرتقى من تلعتيها • ومن غر القلوب عرتعين
اذا أهوى لموسنة عينا • عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم نوشح من سناه • ومن زهراتها فى حلتين
وراح أصيله ما بين نهر • ودولاب يدور بمسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه • سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت • عليه كل غصن كالردينى
ملاعب فى عراى عند ذكرى • صباه وغضه المتلاعبين
وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ
يا سرقة البين كويت الحشا • حتى أذبت القلب فى أضلعه
اذ كيت فيه النار حتى غدا • ينساب ذاك الذوب من مدمعه
يا سؤل هذا القلب حتى متى • تزوى رشف الريق من منبعه
فان فى الشهد شفاء الورى • لا سيما ان مص من مكرعه
والله يدنى منكم عاجلا • ويبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للأندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو علي بن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الأنصاري الجياني نزيل فاس وولي خطابتها ولد بجيان أحد حذاق الكيميا فيل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه إن لم يعلم صناعة الذهب علم الأدب وفي غيار بعضهم إن فاته ذهبه لم يفته أدبه وقيل فيه إنه شاعر الحكما وحكيم الشعرا وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ٭ ولنذكر جملة من نثر بديهة أهل الأندلس وإن رسمت ذلك على شرط أبي الصلت ريان في الحسن فنقول قال في بدائع البداية ما صورته روى عبد الجبار ابن حمديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لمنازهه بوادي إشبيلية فأقمنا به يوما فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الما فقلت للجماعة أجيزوا حاك الريح من الما زرد فما منهم إلا من أجبل فقال لي أبو تمام غالب بن رباح الحجام كيف قلت يا أبا محمد فأعدت القسيم له فقال أي درع لقتال لو جمد انتهى وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما خالف هذا فليراجع في محله ثم قال صاحب بدائع البداية بعد ما سبق ما صورته وقد نقله ابن حمديس إلى غير هذا الوصف فقال

برد الماء على الترب يرد ٭ أي درع للحروب لو جمد

فناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جمد إذ ليس البرد إلا ما جمد فالبرد اللهم إلا أن يريد لو جمد دام جمود فيصح وبه يعتصم ٭ ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف نوارة

ولربما سلبت لنا من مائها ٭ سيفا وكان عن النواظر مغمدا

طبعته لجينا فرات مصممه ٭ ولو جمدت لكان فيئاً مفندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف نورا

فلو دام ذاك الصب كان زبرجدا ٭ ولو جمدت أمواجه كن لؤلؤا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الإيادي من قصيدته الطائية المشهورة

ألو لو قطرة هذا اللؤلؤ سقط ٭ ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدما قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي

لو أنه يبقى على الدهور ٭ قرط آذان الحسان الحور

قال علي بن ظافر وأخبرني أبي قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر إشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيل فجرى فرسه من أمام الناس فإذا رأى شعرا من بعد أسحب وعرجت وفرت منها عقارب فوقف لها وأنتهى فشتد العصا كان في يده فأصابها وثبت على أعلاها فأطربه ما رأى من حسنها واستبشار العصا بحضرته من خلفه من أصحابه فرأى ابن جامع الصناع أول من لحق به فقال أجز كأنها فوق العصا فقال هامة زنجي عصي فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية ٭ قال علي بن ظافر وأخبرني أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا أن الوزير أبا بكر بن عمار كان كثير الوفاد على ملوك الأندلس لا يستقر ببلد ولا يستقر عن وطر وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن أرباب المهن من الأدب الحسن فقال جرى بين

قوله المعتمد على الله أبو القاسم في نسخة البدائع المعتمد على أبو القاسم اه

قوله ابن جامع في نسخة البدائع ابن جاح اه

جامع هذا فبلى اشتهاره خرّ على حانوته وهو آخذ فى صناعة صياغته والسيل قد جزع يديه ذيلا وأعادتا رهما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره وأسرح زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين زند وزند فقال مابين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستعجاله وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه * وبلغنى أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطى فمرّ عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال لحم سباط الخرفان مهزول فقال

يقول للمفلسين مه زول انتهى * ولما صنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم الشعر خطة خسف أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التى أولها الدهر يفجع بعد العين بالاثر وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجاره اياه فقال لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى طرف طرف * وذكر ابن بسام فى الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد بن ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ذكرنا مايقرب من ذلك فى هذا الكتاب * وقال ابن الغليظ المالقى قلت يوما للاديب أبى عبد الله بن السراج المالقى ونحن على جرية ماء أجز

شربنا على ماء كان خريره فقال بديها بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فانى مشغوف به وكئيب

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتى بالمرية وهو ينظر الى وسيم يسبح فى البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذى لاح لك فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء سماء له * واتخذ الفلك مكان الملك

وقال أبو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلى الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر بن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر المروانى وابن الخياط والطبى فحضروا اليه فسألهم عنى وقال وجهوا اليه فوافانى رسوله مع دابة بسرج حلى ثقيل فسرت اليه ودخلت المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولى وقاموا جميعا الى حتى طلع أبو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا سحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت أن فى أنفه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام ولا تراض الا بعد اصطلاح النظام ورأيت أصحابى يصيخون الى ترنمه فقال لى ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جالبا فى المحافل مايسوء الى ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت انى المراد فاستنشدته فأنشد

مرض الجفون ولثغة فى المنطق فقلت لمن حضر لاتجهدوا وأنعسكم فانا المراد غيرى ثم أخذت الدواة فكتبت سببان جرا عشق من لم يعشق

من لى بألثغ لا يزال حديثه * يذكى على الاحشاء جمرة محرق

ينبى فيبسم فى الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سق

قوله ومبادرة العمل الخ فى البدائع مع مضيه فى عمله الخ

قوله عبدون فى نسخة وهبون اهـ

قوله والطبى فى نسخة والطبغ اهـ

سبعمائة مثقال فأهدى العزال الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم ابن المرزبان فشكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذا سكنى أبوّته فؤادى * وذا نجلى أقلده المعالى

شغلت بذا الطلا خلدى ونفسى * ولكنى بذاك رخىّ بال

دفعت الى يديه زمام ملكى * محلى بالصوارم والعوالى

فقام يقرعينى فى مضاء * ويسلك مسلكى فى كل حال

فدمنا للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفى قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

قال بديها

بل تعاليت رتبة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه غنى يوما بين يدى العالى بالله الادريسى بمالقة بيت لعبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يحتال * أن غدت للحى أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

ايها العالى امام هدى * حليت فى عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوى الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابى العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم

يامن رمى قلبى فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع عبيد الله بن قرناس بديها

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة * وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وجارة من بنات المجوس * ترى الزق فى بيتها شائلا

وزنا لها ذهبا جامدا * فكالت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها يجيزه

وقلت خذي سوهرا بابا • فقالت خذ واعرضا رالا

وركب المعتمد في بعض الأيام قاصداً الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا بأذانه • فقال ابن عمار يرجو بذا العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة • فقال ابن عمار إن كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي أتيت باشبيلية أنا قادماً على المعتمد بن عباد لا يلتفت إلي ولا يعبأ بي حتى قنطت لعدم رفده وهممت بالنكوص على عقبي فإني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي إذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي أجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني على مرتبة فنك وقال لي افتح الطاق التي تليك ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقد يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لي أجز

انظرهما في الظلام قد نجما • فقلت كما رنا في الدجنة الأسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها • فقلت فعل امرئ في جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نور واحدة • فقلت وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنية وألزمني خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية في هذا الكتاب ولكن ما هنا أتم سياقاً فلذلك نبهت عليه • وذكر صاحب فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس أن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس في جماعة من خواصه وفيهم أبو القاسم لب وكان يستدنيه للمجون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور نفى أحد وزرائه فقال أخافه فقال لعبد الملك اهجه أنت فقال إني أخاف على عرضي منه فقال أهجوه آمناً ثم صنع لب

أبو القاسم ذو لحية • كبير في طولها أصل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان إن كسرت • والعقل مأفون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال أمين الله في عصرنا • لي هجه أزرى به القائل

وابن جهور قال قولاً الذي • ما كله الفضل والقول

لولا حيائي من إمام الهدى • عضضت بالنحس سو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قوله تغني تمام البيت كله فقالها الناصر سراً لا نعرف حفظ من زياد الواو وأبدال الهاء واوا ادعوا منها على حكم المرء مع الطبع والراحة من التكلف فقال له أنا ولا أنا أنت شعره فقطن الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والفرصل سولته وردن عرضنا كله الشعر

ووله

وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولوا اسم للاست بها فكأنه قال لولا حيائي من امام الهدى نحت بالنص الذى هو الدكراسته * وقال ابن طاهر أخبرني من أثق به قال اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاستاذ أبو العباس بن صارة في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فتراءى الى صفحتها فقال ابن صارة

هذى البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكان هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل عزة ذا وذلة هذه * تبكي الغمام وتضحك الازهار

وقال أبو بكر محمد بن الزبيدى النحوى صاحب الشرطة يخاطب الوزير أبا الحسن جعفر ابن عثمان المصحفي لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه بالصاد مبدله الظاء دون تصريح

قل للوزير السنى محتده * لى ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بسط الاولين باهظها
يقرّ لى عمرها ومعمرها * مهما ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكن صرف الزمان لافظها
وفى خطوب الزمان لى عظة * لو كان يشفى النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فمن يحافظها
لاتدعن حاجتي مطرحة * فان نفسى قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفي

خفض فواقا فأنت أوحدها * علما ونقادها وحافظها
كيف تضيع العلوم فى بلد * أبناؤها كلهم يحافظها
ألفاظهم كلها معطلة * مالم يعوّل عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * أقرّ بالعجز عنك جاحظها
علم ثنى العالمين عنك كما * ثنى عن الشمس من يلاحظها
وقد أتتنى فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها
فأوضحنها تميز بنادرة * قد بسط الاولين باهظها

فأجابه الزبيدى وضمن شعره الشاهد على ذلك

أتانى كتاب من كريم مكرم * فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسر جميع الاولياء وروده * وسيء رجال آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذى قد أضاعه * لدى سواه والكريم حفيظ

الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نزق تأبّه أمية ولم يرد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل في غير العلم *(ومن حكايات أهل الاندلس في الغفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للحلي البطليوسي ثم ان الحلي سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أباد ابن عباد البربرا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونمي ما قاله حتى حل بالمرية فأحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج فقال الحلي يا مولاي ما عندكم في المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك في قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر الحلي وجعل يعتذر فقال له خلص عليك انما يتفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمل مثلك في حق من هو في أصابه ثم أحسن اليه وخاف الحلي ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرض بعده العالم
وكانت مرية جنة * فخانت بها آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد دياره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال في بلنسية أبو عبد الله الرصافي وقد خرج منها صغيرا

بلادي التي ريشت قويدمتي بها * فريخا وآوتني قرارتها وكرا
مهادي ولين العيش في ريق الصبا * أبي الله أن أنسى اعتيادي بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشي

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه
سيفني كل ذي شبح ونفس * وتلتحق النهاية بالبدايه
وينصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالبرايه
كأن مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه
فنل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار اليابسي وهو من رجال الذخيرة

أمطيت مرملة مستن سابحة * حلت الحباب على لباتها لببا
تعدو على الموج أحيانا وتعمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجليل الصوري

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس
اذا سلمت نفسي ودينى منهم * فحسبي أن العرض مني لهم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قد نويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدي الغمام عقودها
وسقت بماء الورد وال * مسك العتيق صعيدها

فما كدارك فى الدنيا لذى أمل * ولا كدارك فى الأخرى لذى عمل

وفيهم يقول ابن بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم فيدان

هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتى مطل الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذى لاح لك   فقال ابن القابلة   فى وسط اللجة تحت الفلك

قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف ويروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبى * فحبه المشهور من مذهبى

مفضض الثغر له شامة * مسكية فى خده المذهب

أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع فى بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية الحميا * تحمل نارية الحميا

درنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب ريا

تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما

هفا نسيم الصبا عليها * فخلتها أرسلت رجوما

كأنما الافق غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تريك لون الراح

قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدى وأنا أسير بشاطبة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والطرف لابن عصفون فوجدت فيه قال الحسين بن الضحاك

ما كان أحوجنى يوما الى رجل * فى وسطه ألف دينار على فرس

فى كفه حربة يسرى الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس

فلو رجعت ولم أظفر بمهجته * وقد حصبت ذباب الصارم الشكس

فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بينى وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

قوله أبو الحسن بن زنون فى نسخة محمد بن ذنون اهـ

وكيف يفي ذو صبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعرض له بطوله وحوله واصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الابيات يعرض له فيها بجربه وكان أبو زيد أصابه جرب كثير

أجل يا ناقت السحر الحلال * أتاني منك نظم كاللآلي
بروقك أولا لفظا ومعنى * ويلدع آخرا لدع الصلال
تعرض فيه أنك ذو مطال * حليف وساوس حول طوال
كأنك لم تجرب قط خلقا * ولم تعرف بتجربة الليالي
أأنسيت التجارب اذ تجاري * بجري الجرب ريا مع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو أعطيت فيه جراب مال
وجرب جاريتك واختبره * وجرب جسله ان كان غالي
وجارتك لا تستحي منه * ومن تجار بابك لا تبالي
وأجرب الك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجري بانتقال
وجرب أهل جربة تلف قوما * أبوا لبس الجوارب والنعال
تجارا باعة تجروا بريت * تسعوا بالتجارة في رمال
اذا سعوا لقسر في جريب * جروا بطالة القسر الدوالي
اذا جربت هذا الخلق ابدى * لك التجريب أجربة حوالي
ترى بالصحو دهرا جربوسا * عليك وجاريا نوب الثقال

وخرج ثلاثة أدباء لنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام بمسجد قرية فاخطأ في قراءته وسها في صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

يا حاني الصلاة * صليتها خلف جلف

فلما خرج الثاني كتب تحته

أغض عنها حياء * من المهين طرفي

فلما خرج الثالث كتب تحته

فليس تقبل منا * لو أنها ألف ألف

وقال أبو اسحق بن حنيف في أحدب أخذ مع صبي في خلوة فضربا وطيف بهما والاحدب على عنق الصبي

رأيت اليوم محمولا * وأعجب منه من حمله
جمال الناس تحملهم * وهذا حامل جمله

وقال أبو الصلت الاندلسي

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم أنني * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابي العباس بن نصال يذكره بحاله

يا غارسا لي ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك

تقطع الثوب راحتاه * كصنع أخاطه الملاح
فقسه ما رأيت بدرا * مزقا بردة الصباح

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي

عصيت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نوئها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البقي العمري وأحد هما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة من تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين تغلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى * وقال أبو العباس القيجاطي فيما أنشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال أبو محمد بن الخاف المعافري البلنسي

أقول وقد خوفوني القران * وما هو من شره كائن
ذنوبي أخاف وأما القران * فاني من شره آمن

وأبوه أبو أحمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع * وقال أبو العباس

وبين ضلوعي للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل أبو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه أبو عبد الله الشاطبي وأبو عثمان سعيد بن قورشترة على صاحب كتاب مشاهد الافكار في ماحد المطار فقال ابن قورشترة

عابوه بالزرق الذي يجفونه * والماء أزرق والسنان كذلكا

فقال الشاطبي

والماء يهدي للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال أبو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاهد المذكور

وكذا الذي أجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني رحمهم الله تعالى وسامحهم * وكتب الشيخ الامام العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسي النحوي عند قول الحريري آمنا أن يعزرابثالث ما نصه قد جيء لهما بثالث ورابع في قافيتهما وهو قول بعض الفضلاء

ما الامة الكعاء بين الورى * كسلم حر أتى ملامه
فهذا استجديت من قول لا * فالحر لا عز لامه لامه

ثم قال وبخامس وسادس

قوله قورشترة في نسخة قورشرة اه

مشاهد

وقال في المطمح في حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف ونية كلها شرف وهو أحد المجتهدين في الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمتدينين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى * وقال القاضي الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتواحيه اذ قيل جدّ قوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قميصا في فراش فلم يجد * ولا لمسوا شيأ يدل على جسم
طواه الهوى في ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال في المطمح فيه انه قاضي الجماعة بقرطبة فاصل ورع مبرز في السالة والزهاد دائم الارق في التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحير الى فئة الورع وأهله وله تا ليف في التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين واشعار في هذا المعنى منها قوله

فررت اليك من ظلمي لنفسي * وأوحشني العباد وأنت أنسي
قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنس وحدتي في قعر رمسي
وللعظمى من الحاجات عندي * قصدت وأنت تعلم سرّ نفسي

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبي محمد والده بالكون في صحبته ومسايرته في غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لايحده فقال له الحكم ان ضمن لي أن يؤلف في أشعار خلفاء بني أمية بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني العباس أعفيته من الغزاة وحاربته أفضل الجازاه فأجابه اليه على أن يؤلمه بالقصر فزعم انه رجل مزور وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلمّ به ويزور فألمه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفي المستنصر اذ ذاك انتهى * وقال ابن سيده صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا

قال في المطمح الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن سيده امام في اللغة والعربيه وهمام في الدثة الادبيه وله في ذلك أوضاع لافهام أخلافها استدرار واسترضاع حرّرها تحريرا وأعاد طرف الذكاء بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانيه وبها أدرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرّد بتلك الاراغه ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب وأحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدوله وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب كميات مساوره ففرّ الى بعض الاعمال المجاوره وكتب اليه منها مستعطفا

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا
فتضحى همومي طلحة خطو بها * ولا عاريا يقين منه ولا متنا
غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لايقرّ ولا يهنا
فيا ملك الاملاك اني محلا * عن الورد لا عنه اذاد ولا أدنى

واستبد بالتالمغفل وله فنون هى للشريعة رتاج وفى مفرق الملة تاج أشهرت للحديث طلبا وفرعت لمعرفته ربا وهبت لتفهمه شمالا وصبا وشقت منه وصبا وكان ثقة والانفس على تفضيله متفقة وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم تجده الامانفث به أدمه وأوضى فيه عن معرفة فمن ذلك قوله وقد دخل اشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها ما نهل أسرّه فأقام بها حتى أخلق مقامه واطبقه اعتقامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعافا بعد ما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا لاءمته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمرى مخلق يورث البلى
اذا هان حر عند قوم أتاهم * ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبى الدودس

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ماغدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمح بالدجى * فلما دعاه الصبح لبى ينهض

وقال فى المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يحط لسواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التجول لا يستقر فى بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقذفته النوى وطردته عن كل ثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وتهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يعدّ به يدا أخبرنى من دخل عليه بالمرية فرآه فى غاية الاملاق وهو فى ثياب أخلاق وقد توارى فى منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عمن يجتديه عاتبه فى ذلك الاعتزال وآخذه حتى استنزله بغض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فأبى ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يد المنى البيتين انتهى * وقال الفقيه القاضى الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وتمسك من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما يتجرد من أهله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعمل له ربع ادكا * رك فى العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول أيام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين الترائب واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
صعدوه فى أكفانه * ودعوه يجنى ما جناه
وقدموا بضاعته المحزون واحتروا ما حواه

قوله ابن أبى الدودس فى نسخة اسقاط لفظ أبى اه

استقام وقال

وعشية كالسيف الاحدقد * بسط الربيع بها لعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء ويبتسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض المجود نجوما
وتساقطت فكان مسترقا دنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد درقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترى الرياح لها نثيرا راهر * فتقده فى شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعه وبرع فى صفته أعظم براعه

ومهفهف دلق صليب المكسر * سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضره ان كان كعب براعة * وبحكمه اطردت كعوب السمهرى

وله عندما شارف الكهولة واستأنف قطع صرمة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم عليه بنانى
فأطعت نصاحى ورب نصيحة * جاوزتها فلججت فى العصيان
أيام أسحب من ذيول شبيبتى * مرحا وأعثر فى فضول عنانى
وأبيل كاسى أن ترى موضوعة * نعلى يدى أو فى يدى ندمانى
أيام أحيا بالغوانى والغنا * وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهم * فما هم دتمن الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع الاعنة لم يسل * فى غيه بصارف الازمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر اليه سليم الاديم كريم القديم كانما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا ووهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال ويتحلى بشيات تقسمات الجمال * وله يصف سرجا بزنجياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب ما بين القادمة والآخر كاعا قدمن الخدود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه * وله فى وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى ثريا السماء فكانه نكال وسائره جمال * وله فى وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخ يوب كلا استنيب وبه يب * وله فى وصف قميص كافورى الاديم بابلى الرسوم تباشر منه الجسوم ما يباشر الروض من النسيم * وله فى وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعتقاله أو وكب استقل به أخواله * وله فى وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى ببعض اختصار

* وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى

نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمي وكاسي
فيقضي ما أمرت به اجتلابا * لمسروري وزاد خضوع راسي

وله في مثله

ورأيت فوق الصدر * عاقا من زعفران
فزبرته لوبا سقا * مي بالنوى والرجر شاني
يامن نأى عني كما * تنأى العيون المرقدان
فأرى بعيني المرقديـ * ن ولا أراه ولا يراني
لاقدرت لك أوبة * حتى يؤب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دا لا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس يا نصير وهات * ان هذا النهار من حسناتي
بأبي غرة ترى الشخص فيها * في صفاء أصفى من المرآت
تمزج الماس ضوءها بارد * كارد حام الحجيج في عرفات
هاتها يا نصير انما جمعنا * بقلوب في الدين مختلفات
اعاطى في مجالس اللهو * نشرب الراح ثم آت مواتي
فاذا ما انقضت ديانة ذا اللهـ * و اعتقدنا مواضع الصلوات
لو مضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه من السيئات

وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة وأهلها سدد اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونمرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فسجنه الخليفة دهرا وأسكنه من السكينة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألفى موجدته عليه وله في السجن أشعار صرح فيها ببثه وافصح فيها عن جلل الخطب لفقد صبره ونكثه من ذلك قوله لك الأمن من جور يريد تشوق ومنها

تواقفوا بنا الزهراء في حال طالع الانجم لامتياحهم في التوثق
وحولي من أهل التأدب مأتم * ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو أن في عيني الحمام كوضعها * وان كان في ألوانه غير مشفق
ونادى حمامي مهجتي لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندي بمعنق
أعيني ان كانت لدمعي فضلة * تثبت صبري ساعة فتدفق
فلو ساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفق دمعي أم من الصبر تستقي

ومنها

وقالت تلق الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لي بظن محقق
ولكنني فيما زجرت بعاقلي * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق

مأوى تلك الجسيمه فما هيك من سعد ورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وما قرع فاسترجع عنده شبابه واتسع وبله وربابه وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فأفرط في مدحه فيه في العلو وزاد وقرع عنده تلك المراد ولم يتورع ولا اتئاد دوورع وله بدائع يحير فيها ويحار ويخال لرقتها أنها أسحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع في أغراضه الفرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وما شاء منها انقاد وقد أثبت له ما تحق له الاسماع ولا تتمكن منه الاطماع فمن ذلك قوله

البلها اذ أرسلت واردا وحفا * ويتذاري الجوزاء في أذنها شنفا
وبات لها ساق يقوم على الدجا * بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده * وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا * ولم يبق اعنات التثني له عطفا
نزيف نصاه السكر الا ارتجاجة * اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة * أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحي الى كبد هوى * ومن شفة توري الى شفة رشفا

ومنها

كأن السماكين اللذين تراهما * على لبدتيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوي اليه سنانه * وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن سهيلا في مطالع أفقه * مفارق الف لم يجد بعده الفا
كأن بني نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن في مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود * فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافي له ضعفا
كأن أخاه حين حوم طائر * اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشربها صرفا
كأن عمود الصبح خاقان معشر * من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر
أبني العوالي السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع في حمير
جيش تعدله الليوث وفوقها * كالغيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها * مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار في * جمع الهرقل وعزمة الاسكندر

٢

قفاني فلا مسرى لسرناولا نسرى * والا ترى مشى القطا الوارد الكدر
قما تتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتى الريح طيبة النشر
لعل ثرى الوادى الذى كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فما وادى يسيل بعنبر * والا فما تدرى الركاب ولا ندرى
أحكل كثيب بالصريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل يحنوا الى أسائل عنهم * وهم بين أحناء الجوانح والصدر
وهل علموا انى أهيم بأرضهم * ومالى بها غير التعسف من خبر
ولى سكن تأتى الحوادث دونه * فيبعد عن عينى ويقرب من فكرى
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقى بجام من الخمر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا * دوالعصر انى بعد يحيي لفى خسر
وآليت لا أعطى الزمان مقادتى * على مثل يحيي ثم أغضى على الوتر
حنينى اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك أم سيوف أبيك * وكؤوس خمرك أم مراشف فيك
أجلاد مرهفة وفيك محاجر * لا أنت راحمة ولا أهلوك
يابنت ذى السيف الطويل نجاده * أكذا يجوز الحكم فى ناديك
عيناى أم مغناك موعدنا على * وادى الكرى ألقاك أم واديك

وله أيضا

أحبب بجانبك القباب قبابا * لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بأيدى البيض أم عنابا
والله لولا أن يعنفنى الهوى * ويقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا أن أغير لمتى * عبثا وألقاكم على غضابا
لخططت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاحثث مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غرابا

ومنها

قد طيب الافطار طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدننى أرض اليك وانما * جئت السماء ففتحت أبوابا
ورأيت حولى وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
أرض وطئت الدر من رضراضها * والمسك تربا والرياض جنابا
ورأيت أجبل أرضها منقادة * فحسبتها مدت اليك رقابا

انتقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وعلوت فى منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولابد فى الخصام من انفساح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جوابا وكان فى الدولة صدرا من أعيانها وناسق درر بيانها نفق فى سوقها وصنف وقرط محاسنها وشنف وله الكتاب الرائق المسمى بالحدائق وأدركه فى الدولة سعى وخص له فيها رعى واعتقله الخليفة وأوثقه فى مكان أخيه ولم يومض له عفو ولم يشب كدر حاله صفو حتى قضى معتقلا ونعى للنائبات نعيا مشكلا وله فى السجن أشعار كثيرة وأقوال ممدعات منيرة فى ذلك ما أنشده ابن حزم يصف خيالا طرقه بعد ما أسهره الوجد وأرقه

بأى هما أنا فى الشكر بادى * بشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى وازداد فى أملى ولكن * عففت فلم أجد منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتيادى انتهى

وقال الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن الحداد

يا غائبا خطرات القلب تحضره * الصبر بعدك شئ لست أقدره
تركت قلبى وأشواقى تفطره * ودمع عينى وأحداقى تحذره
لو كنت تبصر فى تدبير حالتنا * اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لا تحلو بلذتها * والدهر بعدك لا يصفو تكدره
أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف * عن البرية والانفاس تظهره

قال فى المطمح هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الا معن أو صمادح ولم يرم مثواهما ولم ينتجع سواهما واقتصر على المريه واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها يتردد فى ذلك المتدى ويرشف أبدا ثغور ذلك الندى مع تغيره بالعلم وتصيره الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف ومذاهبه مذاهب أهل الشرف وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهه ويقلدان كاهله ما شاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ما قذفه من درره وفاه به من محاسن غرره فى ذلك قوله

الى الموت رجعى بعد حين فان أمت * فقد خلدت خلد الزمان مناقبى
وذكراى فى الآفاق طيبا كانها * بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففى أى علم لم تبرز سوابقى * وفى أى فن لم تبرز كتائبى

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرز به من غرر الاحسان ما لم ينفصم واستغرقها يكمل بدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوله عج بالحمى حيث الظباء العين فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى * فى سلك غيرى درى المكنون
والكها تشكو استلاب مطيها * عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لايدا * فلسان من سرق القريض يمين

مجرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
أرى نكهة المسواك في خمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قلتـــه هالة * على الشمعة المبيضاء قد باتخططا

وقال في المطمح في تحلية الاسعد انه سرد البدائع أحسن السرد واقترس المعاني كالاسد الورد وأبرز درر المحاسن من صدفها وحاز من خير الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد ورف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقاص لهم من الحلاوة طل وارف وقد أثبت له ما يعترف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فمن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية أمسنا * والمزن يبكينا بعيني مذنب
والشمس قد مدت أديم شعاعها * في الارض تجنح غير أن لم تغرب

وقوله

وتلذذت في كالك خلتي * عود اقليس يطيب مالم يحرق

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون

تظنونني كالعود حقا وانما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار * وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما في المطمح من فحول الشعراء وأعلام الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة أطالت همه وأكثرت كده وغمه

يؤرقني الليــــل الذي أنا نائمه * فتجهل ما ألقى وطرفك عالمه
وفي الهودج المرقوم وجه طوى الغشا * عن الحسن فيه الحسن قد سار راقمه
اذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه * يضلهم عن منهج القصد فاحمه
أظلمار أو اتقلـــده الدر أم رروا * بتلك اللآلي انهن تمائمه

وقال الاديب أبو عبد الله ابن عائشة في فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كنت تهوى خده وهو روضة * به الورد غض والاقاح مفلج
فزد كلفا فيـه وفرط صبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحلاه في المطمح بأن قال اشتهر صونا وعفافا ولم يعقل حضره زفافا فما ثرا نقماصا وسكونا واعتقد اليهار كونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لطلوع مأموله فبدا منه في الحال ازوراء في تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجمود لا يحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبة جلبت اليه مسري الظهور ومهيبه وكان له أدب واسع المدى يانع كالزهر بلله الندى وتلم مشرق الصفحة عبق النفحة الا أنه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه مايدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله في ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ونفحت له همة وصل أبدت جواه

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة أشهر من أن يطال في أمره وليس الخبر كالعيان • وقال ابو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبي خالد اللخمي الاشبيلي الكاتب في فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم • ذخرت عطاءه لخير معظم
فيها المذخور المفتوح فانه • جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنار اذا انتحت • رفعت الى البرمرل صوت المتقى
وتوسطت في النهروان بنسبة • كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار في تحفة القادم هو صدر في نبهائها وأدبائها يعني اشبيلية ومن له قدر في نجبائها وعلمائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبي خالد وتوفي بها سنة ٦١٢ وأورد له قوله

وبالجواري المنشآت وحسنها • طوائر بين الماء والجو عوما
اذا نشرت في الجو أجنحة لها • رأيت به روضا ونورا مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا • فحدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاديف كالحيات مدت رؤسها • على وجل في الماء كي تروي الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب • بقبض وبسط يسبق العين والفما
هي الهدب في أجفان أكحل أوطف • فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد في هذا الوصف وان نظر الى قول أبي عبد الله بن الحداد يصف أسطول المعتصم بن صمادح

هام صرف الردى بهام الاعادي • ان سمت نحوهم لها أجياد
وترانت بشرعها كعيون • دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاديف حاك • هدب باكي الدموع اسعاد
حتفهم دونها من البيض نار • كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط في يدي كل درع • ألف خطها على البحر صاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيدة أنشدنيها

وكأنما سكن الاراقم جوفها • من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت • من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان علي بن محمد الايادي التونسي في قوله

شرعوا جوانبها مجاذف أتعبت • شأو الرياح لها ولما تتعب
تنساع من كثب كما نفر القطا • طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه • ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة • تختال في عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم • ثوب الجمال من الربيع المعجب

ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع

كم دعاه اديم عزة * وأباه ادعاه بأبه   انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهمة لو جرى في الخيل أكبرها * لغابت الريح في الاحجال والغرر
تجري ولا ماء ساقا غاب في درب * وللرياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

يا حسنها يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت ايكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهها * أسماؤها فتصحفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت * وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجاذف تحكي أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير متأق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فما ترى غير وجه شمس * أطل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله * وقال عبد الله بن جعفر الاشبيلي وقد
زار صاحبا له مرات ولم يره هو فكتب على بابه

يا من يزار على بعد المحل ولا * يزورنا مرة من بين مرات
زرني يزورك واحد وقول عاذلة * تقول عنك فتى يؤتى ولا يأتي

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الاماني * ولو حكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلمني على طول التجني * وأمكنني على فرط التعاطي
فأولجت المقادر جيد بكر * ولا كهران في سم الخياط
وغناني بصوت من حشاه * فأطربني وبالغ في نشاطي
فما نقر المثالث والمثاني * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشيء * على عدم احتيالي واحتياطي
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن علي بن محمد الزيال

كيف أصبحت أيها ذا الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجنى علي منك القلوب

حاشا لي أملكم أن يحسب * ويثنى نحو العدا مستريب
هـذا وكم أقرأني بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن علي بن الجعدي القرموني

اياك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن علي بن ليال في شجرة عناب محلاة بفضة

متعلق بالهلال مجمة * بالتمر مجدولة من الشفق
كأنما حبرها يتسع في * فرصتها ساذلا من الغسق
فأنت مهما تردت تشبهها * في كل حال فانظر الى الافق

وقال في شجرة أبنوس

وخديعة للعلق أحشاؤها * كالف يجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال أبو العباس أحمد بن شكيل الشريشي

تفاحة بت بها ليلتي * أبثها سري والشكوى
أضمها معتنقا لانها * اذا ذكرت خد من أهوى

وقال

تفاحة حامضة عضها * في غلل من قطب الوجه
ولم أخل من قبلها محسنا * يجري عليه العض والنجها

وقال ابو جعفر أحمد الشريشي

على حسن نور الباقلاء أدرهما * على الصب كأسي خمرة وجفون
يذكرني بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا الكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد أشهبا

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

في ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبري اذا فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عدرا الى المجد عني حين فارقني * ذاك الجلال فأعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبي وأتبعني * ما كان أودعني عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * وأطواد رواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن أبي بكر بن عبد العزيز

لم يبق للجور في أيامكم أثر * الا الذي في عيون الغيد من حور

قال وولي له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فلاق غلاما قد كدر رونق حسنه السفر وأثر في وجهه كآثار الكلف في القمر فصافحه ثم قال

بأبي الذي صافحته فتوردت * وجناته وأمال نحوي قده

قمر بدا كلف السرى في خده * لما توالى في الترحل جهده

لكن معالم حسنه تمت كما * قد تم في صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظ هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختيار

وانتظر وحك نقد الليل فيه والنهار

أنا جربت فلم أصحب صديقا باختياري

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتني موقف العشاق

يا حسنها والريح يعطف بعضها * بعضا كاعتناق الى أعناق

والورد ند والاقاحي مبسم * وغدا البهار ينوب عن أحداق

لم أنفصل عنها بكاس مدامة * حتى حلت محاسن الاخلاق

ولما كتب أبو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد أبي العباس أحمد بن بلال يستدعيه ليوم أنس بقوله

أبا العباس لو أبصرت حولي * ندامى بادروا العيش الهنيا

يبيحون المدام ولا انتقاد * وقارهم ويزدادون غيا

وهم مع ما بدا لك من عفاف * يحبون الصبية والصبيا

ويهوون المثالث والمثاني * وشرب الراح صبحا أو عشيا

على الروض الذي يهدي لطرف * وأنف منظرا بهجا وريا

فلا تلم السرى على ارتياح * حكى طربا بجانبه سريا

وبادر نحو ندماك خلامى * ندا فقد عهدتك لوذعيا

أجابه بقوله

أبيت سوى المعالي يا عليا * فما تنفك دهرك أريحيا

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسري للمكارم مشرفيا

وترتاح ارتياحا بالمثاني * وتقتص الصبية والصبيا

وتهوى الروض قلده نداه * وألبسه مع الحلل الحليا

وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليج فنيت حيا

تذكرني الشباب فلست أدري * أصبحا حين تذكر أم عشيا

فلو أدركتني والغصن غض * لادركت الذي تهوى لديا

أبكيت عيني أطلت حزني • أمت ذكري وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى • في كل حال من الثريا
أما كمال الرأي ارتكابا • وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا • وقلت للشر جئ اليا
فاليوم أبكيك مل عيني • ان كان يغني البكا شيا

فأجاب أباه بقوله

يالائم الصب في التصابي • ما عنك يغني البكا شيا
أوجدت خيل العتاب نحوي • وقبل وتبها اليا
وقلت هذا قصير عمر • فاربح من الدهر ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب مما • فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء • أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشلبي يستدعي

فديتك باكر نحو قبة روضة • تسيح بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها • ونحن لديها في انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محلة • صدودك عن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو أبو الحسن علي بن السيد

يارب ليل قد هتكت حجابه • بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنما • من خده ورضابه فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه • يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا انعمت برشف بدر طالع • فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها • حول المجرة ربرب في مسرب
والليل مقمر يطير غرابه • والصبح يطرده ببازأشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشاني الامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه وينادمه بقصيدته التي أولها

أناشاعر الدنيا وأنت أميرها • فمالي لايسري الي سرورها

اشار الامير الى مصحك له كان حاضرا أن يحقق له القول أ ناشاعر الدنيا فقال له ابن الروح على من خبقت يعني انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أناشاعر الدنيا أولقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل • وقال أبو بكر بن المنخل الشلبي

كم ليلة دارت علي كواكب • للخمر تطلع ثم تغرب في فمي
قبلتها في كف من يسعى بها • وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسي بنانه مع كاسه • غيم يشير لنا ببعض الانجم

وقال ذوالوزارتين أبو بكر بن عمار

قد كانت على دهش * اذهبت مابي من العطش
ولها في القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتني والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدا * درهم في كف مرتعش

وسأله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن عود فقال له أشعاري مشهورة وبنات صدري كريمة فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبي عمرو بن طيفور والحافظ أبي الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافي * والمعاني والعروض

وقال فيه ابن طيفور

اعا الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهم

وقال أبو عمران بن سعيد أخبرني والدي انه زار ابن حمديس بقرطبة في مدة يحيى بن غانية فوجدته في حالة من العلماء والادباء فقام وتلقاني ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأني أخشى التثقيل وأعلم أن سيدي مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوى ما طلبت لقاءنا * ليس المحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هي جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدي عندي أحب الي وان ترتبت علي فيه الملامة من منازعته منتصرا لحقي فاستحسن جوابي وقال لي كرره فانه والله ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لي وما تكتب فيهما فقلت لاجدما أخبر به والدي اذا أبت اليه فأملاهما علي فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت انهما له وقنعت بذلك * وقال الحجاري صاحب المسهب في أخبار المغرب

كم بت من أسر السهاد بليلة * ناديت فيها هل لجنحك آخر
اذ قام هذا الصبح يطهر ملة * حكمت بأن ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد في خاطري الى أن وقفت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك ابقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو

وأسهب ذالمسهاب مزل * ذليلا في مثنه فانخذل
وأحسن ذا الجري وصفه * على سنن الحسن المستقل
فهذا مقالي مستبصرا * ولست كمن قال حدسا فضل
تقلدت في رأيه مذهبا * يحصلك بين الظبا والاسل
سمولك في الروع مستشرفا * الى مهية المستميت البطل
كانك فيها هلال السما * يزيد بهاء اذا ما أهل
بل انت مثال كبدر السما * يضيء الظلام اذا ما أطل انتهى

قلت رأيت في بعض الحواشي الاندلسية أن ابن السكيت ذكر في بعض كتبه في بعض ما جعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائي أو الفراء والقضاة بينهم فيها وهي ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائي والفراء وعن كتابه الجاري بين الناس هل هو أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائي أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف في ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكي فيما روى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم أن الكسائي أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو اياها فأجاب سيبويه بعد أن أطرق شيأ فاذا هو اياها في بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذا هو هي فيهما من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان أجاب باذا هو هي فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه في جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا في المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا اعتبرت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أي مثلها سواء ولو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير للزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا لا وجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى في المسئلة أن الكسائي أو الفراء قال لسيبويه بعد أن أجاب برفع المضمرين على ما أوجبه القياس كيف تقول يا بصري خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائي أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب في الخبر مع النكرة والمعرفة فتأول الكسائي والفراء في اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر في النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكانه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما فيجري المعرفة في النصب مجرى النكرة وقولهما في هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول في الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق

المفاجأة تريد على معنى حضرت ثم بين حاله في المفاجأة المتعلقة به بقوله فإذا أي حضرت
فجاءة أي زيد في هذا الحال وقوله في المسئلة الثانية إنما الاسم الكلام في الاسم الأول دونها
ألا ترى أنك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو وسكت لم يتم الكلام
أولا ولا أفيد بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وأما المفاجأة للضمير الآخر
فلابد من ذكره والاعتماد عليه وهذا أوجب الرفع في الخبر لأن الظرف له لا للمخبر عنه ههنا
من واضح والحجة الأخرى في غلطهما أن إياها معرفة والحال لا تكون إلا نكرة فهذا أصح
في جوابهما أن أبا [illegible] لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون إلا بعد تمام الكلام
ومع التنكير فقد تبين خطؤهما وإصابة سيبويه في لزوم الرفع في المرتبط وأما من زعم عن
سيبويه أنه قال خرجت فإذا زيد قائم بالرفع لا غير فما عقل وكتب سيبويه [illegible] وقوله إن
الظرف إذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر وإذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر وعلى
قولك خرجت فإذا زيد تم الكلام وتعلق فإذا الهلال طالع فيقع الخبر رفعا كما قيل
في الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر إذا كان الظرف له ولم
يتعلق الاسم لم يكن إلا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لأن الظرف
لا يكون مستقرا للاسم المخبر عنه إذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة إذا كانت
للخبر لم يكن الأمر فيها معرفة كان أو نكرة فإذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على
الحال نحو قولك ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي وظننت زيدا غائبا
فإذا هو شاهد في لزوم الرفع في الخبر نحو اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما تقول
خرجت فإذا زيد قائم وقائما في جواز الرفع والنصب كما تقول في الدار زيد جالس وجالسا
فتأمل الفرق بينهما وحصل قول الفريقين المتقدمين والمتأخرين حيث أعملوا الفريقين
المقاسين وأما نصب الخبر المعرفة بعد تمام الكلام أو لم يتم فباطل لا تقوله العرب ولا
تعتبر إلا النكرة [illegible] وإن كان سيبويه رحمه الله تعالى أصاب وقوله فإذا هو إياها كما روى
[illegible] فظاهر جوابه مدخول لما قدمت من جوابه والمطالبة من جهة القياس كما ذكرنا
فإن كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا يخرج نفسه وإن كان قد قاله وهو يرى
أن الرفع أولى وأحسن إلا أنه أجاز النصب للإعراب حملا على المعنى الحق دون ما يوجبه
القياس واللفظ الجلي فلقوله وجه [illegible] وجهان أحدهما أن يكون الضمير
المنصوب وهو إياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور
فكأنه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور لسعته اللسعة أي فإذا
الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة
متصلة بالفعل فكأنه قال فإذا الزنبور يلسعها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل
الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم إنما أنت شرب الإبل
أي إنما أنت تشرب شرب الإبل فاختزل الفعل وبقي عمله في المصدر ولم يرفع لأنه غير الاسم
الأول فلو أظهرت تشرب الإبل لاتصل الضمير بالفعل فلو قدمته لاتصل الضمير فقلت إنما
أنت [illegible] فهذا [illegible] والوجه الآخر أن يكون قوله فإذا هو إياها محمولا على

قوله نصب الخبر الخ هكذا في الأصل ولا يخلو هذه العبارة عن تأمل لما يلزم عليه من التناقض في أولها والوجه التصاريح في الأول والآخر وليتأمل وفوق كل ذي علم عليم اهـ مصححه

المعنى

المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل فى تأليف المسئلة ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا اللسع الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أولا ودلت عليه اذا لما فيها من المفاجأة على الفعل الواقع بعدها الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها عنزلة قولنا فلما لسعنى الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول وبقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج فيكون فى حذف الخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذى هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو فى المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجىء بعده من الخبر الذى هو اياها فتفهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن فى الحذف واستعمال العرب الطائر وهى أكثر من أن تحصى منها قولهم ما أغفله عنك شيأ أى تثبت شيأ ودع الشك وقولهم لمن أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أى من أنت تذكر زيدا وربما قالوا من أنت زيد بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدأ أخرى وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا لعلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول فى المسئلة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز فى المسئلة أن تقول فاذا هى هو على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع لدلالة اللسعة عليه وتكون هى كناية عن اللسعة على تقدير فاذا اللسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هى هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا اللسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز فى المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هى هى على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفى هذا كفاية ان شاء الله تعالى * وأما نسب سيبويه فهو فارسى مولى لبنى الحرث بن كعب بن علة بن خالد بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذى شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية

٢

ماء الجمال بوجهه مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ما خده بجرحه عينى انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرىء ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال محمد بن هانئ الاندلسى من قصيدة

السافرات كأنهن كواكب * والناعمات كأنهن غصون
ماذا على حلل الشقيق لو انها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لاعطش الروض بعدهم ولا * برويه لى دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر * وأخونهم انى اذن لخؤون
لا الجو جو مشرق وان اكتسى * زهوا ولا الماء المعين معين
لا يبعدن إذ العبير له ثرى * والبان روح والشموس قطين
الظل لا متنقل والحوض لا * متكدر والأمن لا ممنون

وقال القسطلى فى أسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحرا من القنا * يروع بها أمواجه ويهول
بكل ممالات الشراع كأنها * وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت * خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وفت * أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء سمام ما لهن مفاحص * وورق حمام ما لهن هديل
سواكن فى أوطانهن كأن سما * بها الموج حيث الراسيات تزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى * غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم ما لها * بما حملت دون العداة مقيل

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطالوا وقرطسوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب * وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبى حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت وراق بتونس وهنالك فتى جميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا وقال أين الشعراء تحريكا للجراوى فقال ارتجالا

وعلوى الجمال اذا تبدى * أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا * ويحكى لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر ثم سألنى أن أقول فى هذا المعنى فقلت بديها

أومى الى خده بسوسنة * صفراء صيغت من وجنتى عسجده
لم ترعينى من قبله غصنا * سوسنة نابت ازاورده
أعملت زجرى فقلت ربما * قرب خد المشوق من خده

عابوه أسمرنا حلا لاذا زرقة * رمدا وظنوا انّ ذا لنشينه
جهلوا بأن السمهري شبيهه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو در الخشني

أنكر صحبي ادرأ وأطرفه * ذاهرة يشقى بها المعدم
لاتنكروا ماحزمن طرفه * فالسيف لاينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي خالص الردني

ياشادنا زر العذار بخده * وازداد حسنا ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جئت الهوى * كم بين مختصر وبين مطرّز

قوله مفوز في نسخة معوز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافري

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلاعقد كل عزيمة
خد وحب عيل صبري منهما * هذا بنمنمة وذا بنميمة

وقال أبو الوليد بن زيدون في أصابه جدري

قال لي اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لاهو
ماالذي قد أنكرت من بثرات * شاعت حسنه وزانت حلاه
جسمه في الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو ان حباب علاه

وقال الهيثم

قالوا به حرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار
هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا انوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبي في مخضوبة الانامل

وعلقتها قنانة اعطافها * ترري بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * في الخد أو في العين أو في الهاد
خضبت أنامها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

قوله المقري في نسخة النا
اه

وقال أبو الحسين المقري

بدا يوسفا وشدا معبدا * فللعين ماتشتهي والاذن
كأن بأعلاه قمرية * تغرد من قده في غصن

وقال ابن صارة

مقام حر بأرض هون * عجز لعمري من المقيم
سافر فان لم تجد كريما * حسن التسيم الى التسيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاي أشكو اليك داء * أصبح قلبي به قريحا
سخطك قد زادني سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافي التي يتحدى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

يامالكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل

قد أخذ سمي من مثلها ۞ نسب والقول على القائل

وان أكن قصرت في وصفها ۞ عذرتها عن وصفها شاغلي

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما أبت عيناي الكرى عن ناظري ۞ ورددته لما اعتمرت عليه

طلب النسيم فسار نحوي بها ۞ دونه سعلي واعدوت اليه

وقال في جارية له كان يحبها وبيده كاس فيه مدام فلمع البرق فارتاعت

روعها البرق وفي كفها ۞ برق من القهوة لماع

يا ليت شعري وهي شمس الضحى ۞ كيف من الانوار ترتاع

ومن نوادر الخواطر أن ابن عباد انشد هذا البيت وتوقف في الثاني وأمر أن يذيله فقال

ولن ترى أعجب من آنس ۞ من مثل ما يمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوي بلا سه بلطف ثلاثة ۞ فمتى بدا الثلاثة لم يسعر

اسرار سر وإقرار ۞ وسرور واله سرور

وكانت له جارية اسمها جوهر وكان يحبها جري بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها سرصنها فأتته رقعة لم تسم فيها باسمها فقال

لم تصف لي بعد والادلل ۞ لم أزل عنوانها جوهر

درت بأني عاشق لاسمها ۞ فلم ترد للغيظ أن يذكره

قالت اذا أبصر ناسا ۞ فسيله والله لا أبصر

وقال في هذه الجارية

سروريا بعد كم ناقص ۞ والعيش لا صاف ولا خالص

والسعد ان طالعني نجمه ۞ وعين دهر الآذل الناكص

ولنا ندر هو منقوص ۞ فقال لا بد ركه عائص

وقال فيها أيضا

جوهر عندي ۞ مثل عادي العصب

قربت بي في صعد ۞ وعنت بي في صب

يا كوكب الحسن الذي ۞ زري بزهر الشهب

مكلك الغلب فلا ۞ ترضى له بالوصب

وقال في جارية اسمها وداد

اشرب الكاس في وداد وداد ۞ وبامس بد كرها في انفرادك

عشرت عيني عن مثلك مرآة ۞ وشكا في سواد فؤادك

وقال

لك الله كم أودعت قلبي من أسي ۞ وكم لك ما بين الجوانح من كلم

حلالك طول الدهر حرب لمهجتى * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمى

وقال

قلت متى ترحمنى * قال ولا طول الابد

قلت فقد أيأستنى * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب معها

يا من تزينت الريا * سة حين ألبس ثوبها

جاءتك جامدة المدا * م فخذ عليها ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة

مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح

وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضى له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدى الرشيد بن المعتمد فى مجلس أنسه فورد الخبر بأخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا للقصر بالدوام وللملك بتراخى الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

قوله سنة ٤٩٣ فى سنة ٤٨٣ اه

يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته وأمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر على أى حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما لست أملك من احدى المصيبات

قال فتلافيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لا هد مبناه * وشمل مأثرة لا شتت الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * أن الرشيد مع المعتد ركناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل السعد مسراه

حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

بأس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض أنسه على أنى وقعت فيما وقع فيه الكل لقولى البيت كالبيت وأمر اثر ذلك أبا بكر بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فأيقنا ان هذا التطير يعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت أيامه وتدانى حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يبتدئ به فالا وكان المغنى السوسى فأول شعر قاله

نطوى المنازل علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

فبات بمدحه أياما وكان الغنا من هذا الشعر بحسبها شاء وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن

فقد الدهر ثم عاد أصيغا * كلما أعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادي كل من يهوى لعا
من إذا قيل الخنا صم وإن * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع في نائله * قد أزال اليأس ذاك الطمعا
راح لا يملك إلا دعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد بأغمات فلما قاربت الصدر وأزمعت السفر صرف حيله واستنفد ماله وبعث إلي مع شرف الدولة ولده وهو من أحسن الناس سمتا وأكثرهم صمتا تخجله اللفظة وتجرحه اللحظة حريص على طلب الأدب مسارع في اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتح فيها من خطه زهر البساتين بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين غير مخيطين وكتب معها أبياتا منها

إليك النزر من كف الأسير * وإن تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وإن عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه وأجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق ديني * لئن شقت برودي عن غدوري
ولا كنت الطليق من الرزايا * إذا أصبحت أجحف بالأسير
جذيمة أنت والزباء خانت * وما أنا من يقصر عن قصير
تصرف في الندى حيل المعالي * فتسمح من قليل بالكثير
وأعجب منك أنك في ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعني سرورا * إذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالي * غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير
تأهب أن تعود إلى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وأتبعها أبياتا منها

حاش لله أن أجيح كريما * يتشكى دهرا وقد سد دهرا
وكفاني كلامك الرطب نيلا * كيف ألقى درا وألفظ سحرا
لم تمت إنما المكارم ماتت * لا سقى الله بعدك الأرض قطرا

ورأى ابن اللبانة أحد أبناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان لقب أيام سلطانهم بالألقاب السلطانية فخر الدولة إلى ألقاب وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس في السوق يتعلم الصياغة فقال

شكاتنا فيك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت في نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

وعاد طوقك في دكان قارعة • من بعدما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصواع أنملة • لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها • فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له • حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى • هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيني اليك به • لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى
ما حطك الدهر لما حط عن شرف • ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لح في العلا كوكبا ان لم تلح قمرا • وقم بها ربوة ان لم تقم علما
واصبر فربتما أحمدت عاقبة • من يلزم الصبر يحمد غب ما لزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت • ولو وفى لك دمع العين لانسجما
ابكى حديثك حتى الدر حين غدا • يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات في حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات في نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فأنشدت في الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات • رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا • ويا سراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه • الى حياتى لجادت فيه أبياتى
اناف قبرك في هضب يميزه • فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا • فأنت سلطان أحياء وأموات
ما رى مثلك في ماض ومعتقدى • أن لا يرى الدهر في حال وفي آت

انتهى

وقد زرت أنا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو وأخبار المعتمد كثيرة

وقال وزيره أبو الوليد بن زيدون

متى أخف الغرام يصفه جسمى • بألسنة الضنى الخرس الفصاح
فلو أن الثياب نزعن عنى • خفيت خفاء خصرك في الوشاح

وقال يخاطب المعتقد

وطاعة أمرك فرض ارا • ه من كل مفترض أوكدا
هى الشرع أصبح دين الضمير • فلو قد عصاك لقد ألحدا

وقال فيه

يا مدعى عشق أبي القاسم غم • يا سنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر أشنب • لحبيب من عجاح ألعس

يا ربة القرط المعير خفوقه * قلبي أما آن لها أن تسكين
توريد خدك للصبابة مورد * وفتور طرفك للنفوس فتون
فاذا رمقت فوحي حبك منزل * واذا نطقت فانه تلقين

ومنها في وصف قصر

راس بظهر النون الا انه * سام فقبته بحيث النون
هو جنة الدنيا تبوأ ربها * ملك تملكه التقى والدين
فكأنما الرحمن عجل اهله * ابرى بما قد كان ما سيكون
وكأن بابه سمارها * يعدوه تحسين ولا تحصين
وبجزاؤه فيه نقيض جزائه * شتان ما الاحياء والتحيين

ومنها في المديح

لا تلقح الاحكام حيفا عنده * فكأنما الافعال والتنوين

ومنها

وبدا هلال الافق أحنى ناعقا * عهد الصيام كأنه العرجون
فكأن بني الصوم خطط نحوه * خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم * في صدة عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه * يا رب ما علموا امذاقة ثغره

وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الاندلسي

قالوا تدانيت من وداعهم * ولم تر الصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم اني بغد * أسمع الفاظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دها الوداع فاصبر * ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغي الوداع فدعني * عنك في حومة القتال أحامي
خد جماني عن جنة ولساني * عن سنان وخاطري عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتي الكرا * كما قد نفى عن يدي العدم
فقد قر حسنك في خاطري * كما قر في راحتيك الكرم
وفر سلوك عن فكرتي * كما فر عن عرضه كل ذم
فحسبي ومفخره باقيا * ن لا يذهبان بطول القدم
فابقى لي الحب خال وجنتة * وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

والروض لايشكر معروف المطر

عهدى به والملك فى ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدر التم من أزراره * وتكمن العفة فى ازوراره
ويحضر السؤدد أيان حضر

قل للنوى جد بنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا حدا شوقهما اشتياق * ومن دواء المدلج الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر

سار بذى برد من الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح
مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح المرح زور

يقتحم الهول بها اغترارا * فى فتية تحسبها سكارى
قد افترشن المسد المغارا * حتى اذا شارفت المنارا
هب كما يلتقى العليل المحتضر

يؤم عدل الملك الرضى * الهاشمى الطاهر النقى
والمجتبى من منتضى النبى * من ولد السفاح والمهدى
فخر معد ونزار ومضر

حيث ترى العباس يستقى به * والشرف الاعظم فى نصابه
والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تختلط الدنيا به
وسيرة الصديق فيه وعمر

وقال ابن خفاجة فى صفة قوس

عوجاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنها حية تنساب
واذا انتحت والسهم منها خارج * فهى الهلال انقض منه شهاب

وقال

وعسى الليالى أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن فى النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها فرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبى

سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة فى ذراكا

وقال

اقض على خلك أو ساعد * عشت بجد فى العلا صاعد
فقد بكى جفنى دما ساعة * حتى لقد ساعده ساعدى

وقال

ذلوا وباطـــلما أدلوا * دعهـــم يذوقوا الذى أداقوا

وقال

وليتم فما أحسنتم مذوليتم * ولاصنتم عن بصونكم عرضا
وكنتم سماء لاينال منالها * فصرتم لدى من لايسائلكم أرضا
ستسترجع الايام ماأقرضتكم * ألا انما تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطى

قـد كنت لاأدرى لاية علة * صار البياض لباس كل مصاب
حتى كسانى الدهر سحق ملاءة * بيضاء من شيبى لفقـد شـبابى
فبدا تبين لى اصابة من رأى * لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصرى

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فـذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى * لانى قد حزنت على الشـباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتى لراعك منظرى * ورأيت بى مايصـنع التفريق
ولخال من دمعى وحر تنفسى * بينى وبينك لجـــــة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت بأربع * له أربع منها الصبـــا والشمائل
من الفتح خوان العنان كانه * مع البرق سار أو مع السيل سائل

وقال ابن عبد المجيد البرجى

أريح متن المهنـد والجواد * فقـد نعبا بجـدك فى الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالى * فقض براحة حق الهوادى

وقال عبادة

انما الفتح هـلال طالع * لاح من أزراره فى فـــلك
خده شمس وليـل شعره * من رأى الشمس بدت فى حلك

وقال ابن المطرف المنجم

يرى العواقب فى أثناء فكرته * كان أفكاره بالغيب كهان
لاطرفة منه الا تحتها عمـل * كالدهر لادورة الا لها شان

وقال أبو الحسن بن اليسع

راموا ملامى وكان اغرا * وذم حبى وكان اطرا
لو عـــلم العاذلون مابى * لانقلبت فيه لامهم را

وقال

لما قدمت وعندى * شطر من الشوق وافى
قـدمت قلبى قبلى * فصنه حتى أوافى

اذا شئت ابقاء أحوالكا * فلا تجر يوما على بالكا

وكن كالطريق لمجتازها * يمر وأنت على حالكا

وقال

هب اذا مانلت حظا * فأخو العقل يهون

فتى حظك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مفضل لنفسه

مضت لي ست بعد سبعين حجة * ولي حركات بعدها وسكون

فياليت شعري أين أو كيف أو متى * يكون الذي لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا

عمي القلوب عروا عن كل فائدة * لانهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا بجهل عظموها * فعزت عندهم وهي الحقيره

يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك في الحياة ولا تكن * تبقي عليه حذار فقر حادث

فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لي السيد الهمام * قاضي قضاة الورى الامام

فقلت قم بي ولا تقم لي * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لا تلمني لان سبقت لحظ * فات ادراكه ذوي الالباب

يسبق الكلب وثبة الليث في العد * وو يعلو النجال فوق اللباب

وقال أبو عبد الله الجلي الطبيب القرطبي

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية

عاشر الناس بالجميـ ـل وسدد وقارب

واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب

لا يسود الجميع من * لم يقم بالنوائب

ويحوط الاذى وير * عى ذمام الاقارب

لا تواصل الا الشريف الكريم المناصب

قوله محمد الخ في نسخة أبي محمد عبد الله اه

اذا شئت ابقاء أخوالكا * فلا تجرياها على بالكا
وكن كالطريق لمجتازها * يمر وأنت على حالكا

وقال

من اذا مانلت حظا * فاخو العقل يهون
فتى حظك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مخلل لنفسه

مضت لى ست بعد سبعين حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فياليت شعرى أين أو كيف أو متى * يكون الذى لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لايحد عنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا فى التماس الحق تأييدا
عمى القلوب عروا عن كل فائدة * لانهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا بجهل عظموها * فعزت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد بمالك فى الحياة ولا تكن * تبقى عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطائى القرطبى على القاضى أبى الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لاتلمنى لان سبقت بحظ * فات ادراكه ذوى الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث فى العد * و ويعلوا الجبال فوق العباب

وقال أبو عبد الله الجلى الطبيب القرطبى

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمى مولى بنى أمية

عاشر الناس بالجميل وسدد وقارب
واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب
لا يسود الجميع من * لم يقم بالنوائب
ويحوط الاذى ويرعى ذمام الاقارب
لا تواصل الا الشريف الكريم المناصب

قوله محمد الخ فى نسخة أبو محمد عبد الله اه

ان رأى سيدى الذى حاز فى العلم مع الحلم والعلا كل غايه
وحوى المجد من جدود كرام * كلهم فى السماح والفضل آيه
أن أروى عنه بالاجازة أروى * كل ما فيه لى تصح الروايه
من حديث وكل نظم ونثر * وفنون له بهن درايه
فله فى ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام فى رفعة وعز وسعد * وأمان ومكنة وحمايه
ما تولى جيش الظلام هزيما * وعلت للصباح فى الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرها فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه * وأما التجانى أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حمد عه فى كتابه الحلى التجانيه قال ابن رشيد وجمعه باسمها حفظه الله تعالى وشكره وقال فى موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى * وقال ابن منظور أبو الحسين

اذا عرتك علة * يعجز عنها ما تجد
فلتقتصد فانه * ما عال قط مقتصد

وقال

حاز دنياه كلها * محرزا أكرم المنن
من سوى قوت يومه * آمنا سالم البدن

وقال

أعن أخاك فى الذى * يأمله ويرتجيه
فالله فى عون الفتى * ما كان فى عون أخيه

وقال

أنفس ما أودعته * قلبك ذكرى موقظه
وخير ما أتلمته * مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القمى أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس فى ابداعها * ألسكرها أم شكرها تتأود
فيقول ارباب الطالة تنثنى * ويقول ارباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القمى قلت لابن مكنون ما الذى يدل على انهما فى وصف الثمار وقال ومن أين لهما فقلت

يامن أتى متنزها فى روضة * أزهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار فى دوحاتها * والريح تعصف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أثمارها * وترى الطيور على الغصون تغرد

قال ابن رشيد غلط المذكور فى نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابى زيد الفازازى

من ملك معتمد ماجد * بلاده أوطان زوارها

وقال أبو الاصبع بن رشيد الاشبيلي لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم البيت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث يا غافلا * كلون العقيق أو العندم
أطن الغمائم في جوها * بكت رحمة للورى بالدم

وفيها أيضا

لاتكن دائم الكآبة مما * قد غدا في الثرى غبيرا نجيعا
لطم البرق صفحة المزن حتى * سال منه على الرياض نجيعا

قوله غبيرا نجيعا هكذا في الاصل ولعله محرف عن نجوع بالواو لانه بمعنى الغير وأما نجيع بالياء فهو الدم الضارب الى السواد أو دم الجوف وخلط يضرب بالدقيق وبالماء كما في القاموس اهـ مصححه

وله في دولاب

ومحزون اذا دارت سمعت لها * صوتا أحن وطل الماء ينهمل
كأن أقداسها ركب اذا سمعوا * مهما حداه بكوا للبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالي الجفون شقيق بدر * تبسم عن شقيق فوق در
له نغمات مسك أي مسك * له نفثات سحر أي سحر
شكوت له الهوى والهجر منه * فقال عليك باسمي سوف تدري
تعلمت القساوة من سمي * وأحرقت القلوب بنار هجري

وقال أبو بكر بن نجاح الغافقي في موسى وسيم اشبيلية الذي كان شعراؤها يتغزلون فيه

من ملح موسى المليح رسالة * بعثت له من كاذبي عشاقه
ما كان خلق راغبا عن دينه * لولم تكن توراته من ساقه

وقال

ان الزويلي دني شاعر * قد أعجب العالم من نظمه
وأنت يا موسى قد اخترته * واختار موسى قبل من قومه

وقال

علي معاذ قرون لو يعاينها * فرعون ما قال اوقد لي على الطين
قالت له عرسه اذ جاء ينكحها * ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بهرون فقال لها * اني استعنت على موسى بهرون

وقال أبو وهب عبد الرؤف المصري وكان له حظ في قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية * بأس اذا حصلته لبسا
وصاحب اللحية مستقبح * يشبه في طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاعبت به * ومالت الريح به ميسا

وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى القلماط

يا غزالا عن لي فابتز قلبي ثم ولى

خلال ما اخرجها بعمود البدوى الى جبل ودلى نفسه فى البئر بعد ما اتفق معه على أن يأخذ النصف مما يحصل فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقى حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك فى شدة حر وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غشى عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته وبناته بثيابى وأسبابى ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازى الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الهلكة فقال له ياسيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة لخليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان صرفتك وأجريت عليك رزقا يكفيك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يامولاى كيف لا أقبل التوبة وهى التى تخلصنى من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصار من جملة حراس أحواز المدينة * ويحكى أن منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر أحضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ معظم صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر أن ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال ياسيدى البنيان انما هو مثل ذكر ابليس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يتفقع من الضحك وصرف وجهه عنه وبقيت حكايته يضحك عليها زمانا * وكان أحمد المقرى المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال فى موسى الذى تغزل فيه ابن سهل

ما لموسى قد خر لله لما * فاض نور أغشاه ضوء سناه

وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال فى رثائه

قد زال الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض

وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى على بعض

وقال فيه

هتف الناعى بشجو الابد * أدنفنى موسى بن عبد الصمد

ما عليهم وحدهم لو دفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولابن سهل الاسرائيلى فى موسى هذا ما هو مثبت فى ديوانه * وكان محمد بن أحمد بن أبى بكر القرموطى المرسى من أعرف أهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله فى المعرفة بالاندلس يقرئ الامم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه وبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد أدنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا وكنت كذا فاجابه بما أقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه أنا عمرى كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك منى انتهى * وقال أبو عبد الله محمد بن سالم القيسى الغرناطى يخاطب السلطان على ألسنة أصحابه الاطباء الذين ببابه موريا بأسمائهم

قوله ما لموسى الخ هما وما بعدهما قد سبق ذكرها ولعل ذلك لمناسبة فى الموضعين وكذا يقال فى كل ما كرر فى هذا الكتاب فتدبر اه مصححه

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ووددت الراحة منهم فقال له يصبر مولاى ولا يدم الساٮمة فهى على حالتين اما ان يكون أمرك اليه أو يكون أمره اليك والحمد لله الذى رفعه عن الحالة الاولى * وقال بعض الحجازيين فى رندة

قصبا لرندة منزلا ما * قبحت مطالعة الذنوب
بلد عليه وحشة * مال بمارقة القطوب
ما اهلها أحد فينثوى بين أن يؤب
لم آتها عند الضحى * الاوخيل لى الغروب
أفق أغم وساحة * تملا القلوب من الكروب

وقال حيلاص الشاعر الرندى

لاتفرحن بولاية سوغتها * فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

وله فى بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولولم تكن كالبدر نورا ورفعة * لما كنت غرا بالسحاب ملثما
ومادل الا للنوال علامة * كذا القطر يهمى ما لثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبى الحسن على بن سعيد وأطنب فى الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لاتذكرن ماغاب عنى من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فتى حضرت بمجلس وجرى به * خبرى فان الذكر فيه يجمل

ولما نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر فى حال سكره ولم يكن فيهم من ينظم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحمد من طلعت عليه الشمس مال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نسبا بتركى دياركم * فنفسى عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لى جانب فى دياركم * فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أننى عنه أرغب
وحسبى اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأنى الى سيفى ورمحى أنسب
وان مدت الايام عمرى للعلا * يشرق ذكرى فى الورى ويغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الاندلس عين زمانه وقد وقعت نقطة على الميم فوهمها وظن أنه أبهمها واعتقدها وعددها وانتقدها فقال

لاتلزمنى ماجنته يراعة * طمست برقتها عيون ثناء
عقدت على الراء منها نقطة * أدمى عيون سامها بصفاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر يراعة واناء

وشرب المأمون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن ارفع رأسه الطليطلى وحفل من رؤساء

وله

لك يومان لم تطلع بأفق • ولك الفضل في زيارة شهر
ولك الفضل في زيارة عام • ولك الفضل في زيارة دهر
ولك الفضل أن تغيب عني • ذلك الوجه ما تطاول عمري

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذي يرمي بالماء فنفخ فيه رجل أبخر بخري

ليث بديع الشكل لا مثل له • صيغ من الماء له سلسله
يقذف بالماء على حينه • كأنه عاف الذي قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشي

برح بي أن علوم الورى • اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها • وباطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفارس يركبه فارس • مرّ بنا في يده صعده
سنانها مشتعل لحاظه • وقدّها مختصل قده
يرحف للسائل بجفل • من حسنه وهو برى وحده
قلت لنفسي حين مدّت لها الآمال والآمال محتسده
لا تطمعي فيه كالشمس لا • يطمع في تدنيسه حتّه

وقال

عجبا للمدام ماذا استعارت • من سجايا معذبي وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثنايا • هو وسكر العقول من لحظاته
وسنا وجهه ونور بدخديه ولطف الدياج من بشراته
والتداوي منها بها التداوي • برضاب هويت من سطواته
وهي من بعد ذا على حرام • مثل تحريمه جنى رشفاته

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد وقد مرّ ذكر هذا الرجل الفرد لي هذا وحضر يوما مجلس ابن ذي النون فقدم نوع من الحلاوي يعرف بآذان القاضي فمدت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضي أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب • وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي آية الله في الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه في علم الموسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكأس للخليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافي

ومطارح مما تجس بنانه • لحنا أفاض عليه ماء وقاره

قوله أبو الحسين في نسخة أبو الحسن اه

فما كدارك فى الدنيا لذى أمل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وسيأتى ذكر هذين البيتين * وكان أهل الاندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسدى أملى علينا ابن الضائع النحوى مداينة على قول سيبويه هذا باب ما الكلم العربية عشرين كراسا بسط القول فيها فى مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك فى تبصر أهل الاندلس فى العلم ورجاستك العالم منهم عن المسئلة التى يحتاج فى جوابها الى مطالعة وتنظير ولم يحتج الى ذلك ويذكر من فكره مالا يحتاج معه الى زيادة *(ومن الحكايات فى مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال فى تخميسه المشهور عاداعلى كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى بما نصه استعمل المخمس مادا فى البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما فجاوبه بقوله أما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الى شاهد وأما استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض على ولى ولا تشكك فى حلى

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى فى سورة يونس قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ووقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر * من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام

وفى السير فى رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح

وهذا الشعر لامية بن ابى الصلت الثقفى ووقع فى الاغانى للوليد بن يزيد فى مدح الله يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت * فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى * فيه من الرأى الاصيل

والخبر طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقديم وأولى ولكن الواو لا تفيد رتبة ولا تقتضى نسبة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو فى الصحاح ووقع فى الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا أجال وثيرة بن سمالك * من دمع باكية عليه وباك

وفى الحماسة أيضا واظنها لابى دهبل

ماذا رزئنا غداة الخل من رمع * عند التفرق من خيم ومن كرم

ووقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع فى شعر الخنساء ترثى أخاها صخرا

ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

مناظرة بين الاستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحل بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصا وهي هنات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها ولا الذي طبي في البيان أن ينشرها وفي ذلك قال الاستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا ليتها عدم * جنتوها قومها ندم

ليتني يامال لم أرها * انها كالنار تضطرم انتهى

وقوله يامال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازي انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الاستاذ ابن أبي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه في النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القصة

عاب قوم كان ماذا * ليت شعري كان ماذا

ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ما شئت أن تحيا هنيأ * رفيع القدر ذا نفس كريمه

فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لا عاق الى لقائكم قدمي * ولو تجشمت بين الطين والماء

لا ن يبل ثيابي الغيث أهون بي * من أن تحرق نار الشوق أحشائي

وأبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوي الاديب أبو زكريا يحيى بن علي ابن سلطان اليفرني ولد سنة ٦٤١ وبرع في العربية وكان يلقب في المشرق حبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يحضر نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ويتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول في نهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل ذي ناب من السباع أي مأكول كل ذي ناب وتبقى هي على الاباحة ويدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول في قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسر والنجوى قالوا انها أي نجواها هذان لساحران أي قولنا هذان لساحران تنشيطا للناس على اتباعهما وخط المصحف يرده لكن في المصحف اشياء كتبت على غير المصطلح مثل مال هذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفي اليفرني المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا

يارحمة لفؤادي من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا

ويا رعى الله دهرا ظل يجمعنا * في ظل عيش صفا من طيبه وصفا

فأجابه ابنه بقوله

بالام الصب في التصابي • ما عسى يغني البكا شيا
أوجدت خيل العتاب تجري • وقبل ونثنها اليا
وقلت عمر الهنا قصير • فاربح من العيش ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب مما • فتت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء • أنت وابليس والحميا

انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوي مفضلا • فقال سل نحوي كي تحصلا
فرأيت باب الجمع من شوقي له • وهو بالاشتغال عني قد سلا
للاستغاثة ابتدت أتت تاليا • وهو لاعمال التعدي قد تلا
وكلما طلبت منه في الهوى • عطفا غدا يطلب مني بدلا
وان أرم محض اضافة له • أعمل في قطعي عنه الحيلا
في ألف الوصل طالت باسما • وهو بباب الفصل قد تكملا
فلست موصولا وليس نُدا • وليس حالي عن أسى منتقلا
فيا منى نفسي ومن لفهمه • دانت فهوم الاذكياء الدلا
وجدي موقوف عليك لا أرى • عنك مدى الدهر له منتقلا
فما الذي يمنع من تسكينه • والوقف بالتسكين حكم أعملا
والطب مرفوع اليك مفرد • فلم ترى لمعنى مستثقلا
فالصم للرفع غدا علامة • في مفرد مثلي وأوضح مشكلا
لازلت للهيام عني رافعا • للوصل ناصبا القول معملا
للشوق مسكا الهجري صارفا • بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمرا في الاماني ماضيا • وتبتدي عاقتا مستقبلا

وقال محمد بن ادريس القضاعي الاصطبوني

علاه رياض أورقت بمحامد • تنور بالجدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمامة • تروى ثرى المعروف بالعل والنهل
وهل هو الا الشمس نساور فعة • فيقرب بالجدوى ويبعد بالامل
تعم أياديه البرية كلها • فدان وقاص جود كفيه قد شمل

وقال محمد الشطيبي الهدلي من أعيان غرناطة

جارت علي لواحظ الآرام • لما رمت أجفانها بسهام
حكمت علي بحكمها فتبسمت • الصبح منها الذي أحكام
يا قاتلي عمدا بسيف لحاظه • أعمد ظباه قبل وقع حسام
كم رمت وصالك والصدود يصدني • ويفل عزمي أمره ومرامي
اني عدمت الصبر يوم فراقكم • والبين أسلمها الى الاعدام

قوله حكمت علي الخ هكذا في الاصل بالنقص ويمكن أن يقال في اصلاحه او بدلا حكمت علي بحكمها جورا حال الضحى منها الذي الاحكا اه مصححه

فأجابه بحيي

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدرى بها كلفي ووجدى * علمت علام أحتمل الصبابه
وانك لواطلعت على يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر * بأن المجد قد حزنا لبابه
فنسكنا بنى العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يغتر منهم بامتناع * فان الى صوارمنا ايابه
ويبرز واحد منا لالف * فيعلمهم وذلك من الغرابه

ومنها

أبا الفضل الوزير أجب ندائى * وفضلك ضامن عنك الاجابه
وأصغ الى شكوى شكور * أطلت على صناعته عتابه
وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلى * فأبدى لى التجهم والكآبه
وظن زيارتى لطلاب شئ * فنافرنى وغلظ لى حجابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفحة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدى على * كبدى وهمت بانصداع
لا تعجبى مما رأيت فنحن فى زمن الضياع

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل وال فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالى غير مرضى

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هنأ البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نجس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

قوله وقال الاديب الخ تقدم ذلك مع الابيات فلينظر اهـ

وقال القاضى أبو البركات بن الحاج البلفيقى رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شملا مرتضى
ما عاقنى عن أن أسير بسيرهم * الا الرياء مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهرى من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا

فمن عقد بغير وعلى ● مالم تكن حاضرا الدينا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم

فمن في مجلس أنس ● ما به غير محسنك
فتصدق بحضور ● واجمع الوقت بقربك
وخف الآن عتابي ● مثل خوفي عند عتبك

﴿رجع﴾ وقال أبو عبد الله بن خاصة الضرير

ولو ساد بالدنيا وثنى عنانها ● لمان من استصغارها انه منا
ولا عيب في انعامه غير أنه ● اذا من لم يتبع مواهبه منا

وله أيضا

يا مالكا حدت عليه زمانه ● أمم خلت من قبله وقرون
مالي أرى الآمال بيضا وضحا ● ووجوه آمالي حوالك جون
أنا آمن فيرق وراح آيس ● وروصد وسرح مسجون
لا تعدني أنواسيك لاعدا ● لك النصر والتأييد والتمكين

وقال ابن اللبانة

كرمت فلا بحر حكاك ولا حيا ● وقت فلا نجم شأنك ولا عرب
وأوليتني منك الجميل قواله ● عسى السح من نعماك يتبعه السكب

وقال أبو علي اليمانى

أبنات الهديل أسعدن أو عد ● ن قليل العزاء بالاسعاد
بيد أني لا أرتضي ما فعلتن فأطواقكن في الاجياد

وقال أبو جعفر أحمد بن الدود من كلمه

فغدت غرادى الحى عنك عجائبا ● وأسال أخاط الرباب ربابا

وقال ابن أبي الخصال في مليحة لها أربع جوار قبيحات

وليلة طولها على سنه ● بات بها الجفن نادبا وسنه
بأربع بينهن واحدة ● كسيئات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحجام

صغار الناس أكثرهم قبيحا ● وليس لهم بصالحة نهوض
ألم تر في سباع الطير نسرا ● يسالمنا ويؤذينا البعوض

وقال ابن عائشة

وروضة قد علت سماء ● تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها ● فخلتها أرسلت رجوما
كأنما الجو غار لما ● بدت فأغرى بها السموما

ولابن يوسف فرسان وهو من بدائعه

قصرت له تسع وطالت أربع ● وزكت ثلاث منه للمتأمل

اذا عدا للرياض جارا • قال لها المحل لامساسا
يقسم الروض حين يبكى • بأدمـــــع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا • صارله غمــده رياسا

وخرج أبو بكر الصابونى لنزهة بوادى اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه على فقال

أبا حسن أبا حسن • بعادك فدنى وسنى
وما أنسى تذكره • فهل أنسى فيذكرنى

ويشبه هذا قول الطاهر بن أبى ركب

يقول الناس فى مثل • تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى • وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسى بقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل • سؤال مدل على من سأله
فقلت أيا خير مسترشد • ويا خير من عن امام نقله
أيحـــــرم ان نالى قبلة • غزال ترشف فيه الغزل
وعانقــــنى والدجا ناصب • فبتنا جميعــين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا • فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ماقلتــه صادقا • وكنت تحريت جهد المقل
وكان صحيحك طاوى الحشا • أعار المهاة احورار المقل
فــربيه الرضا وله غنيــة • تميت الهموم وتحيى الجذل
ففى أخذ أشهب عن مالك • عن ابن شهاب عن العيرقل
بترك الخلاف على جمعهم • عــلى أن ذلك حــــل وبل

ونظر الرصافى يوما الى صبى يبكى ويأخذ من ريقه ويبل عينيه كى يحكى أثر البكا فارتجل الرصافى

عذيرى من جذلان يبدى كآبة • وأضلعـــــه مما يحاوله صفر
أميلد مياس اذا قاده الصبا • الى ملح الادلال أيده السحـــر
يبـل مآقى مقلتيه بريقــه • ليحكى البكا عمدا كما ابتسم الزهــر
أيوهم أن الدمع بل جفونه • وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وكان المذكور أعنى الرصافى يميل فى شبيبته لبعض نتيان الطلبة وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادى الكبير بمالقة وركبوا زورقا للمسير الى الوادى فوافق أن اجتمع فى الزورق شمل الرصافى بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافى من محبوبه فارتجل فى ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربى الغرب اذ رآنى • مجتمع الشمل بالحبيب
فأرسل الماء عن فراق • وارسل الريح عن رقيب

وما كنت لما لم أقم بجيرانه ✽ لقلت له رأسى حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحد الوزراء شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه فى الفتح وقال بعد ذلك ما صورته ومن باهر جلاله وطاهر خلاله انه أعف الناس بواطن وأشرفهم فى التقى مواطن ما علمت له صبوة ولا حلت له الى مستنكر حبوة مع عدل لا شئ يعدله وتحجب عما يتقى مما يرسل عليه حجابه ويسدله وكان لصاحب البلد الذى يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الاقوال والاعمال عليه مقصورة مع ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتماف قال الفتح وحللنا الاحدى صياعه بقرب من حضرة غرناطة بالقرية على ضفة نهر أحسن من شادن مهر تشقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد ويقصر عن بعضه العد وفى أثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام أحقده فلما كان من الغد لاقيت منه اجتنابه ولم أر منه ما عهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعنى بهذه القطعة

أتتنى أبا نصر نتيجة خاطر ✽ سريع كرجع الطرف فى الخطرات

فأعربت عن وجد كمين طويته ✽ بأهيف طاو فاتر اللحظات

غزال أحم المقلتين عرفته ✽ بخيف منى للحسن أو عرفات

رماك فأصمى والقلوب رمية ✽ لكل كحيل الطرف ذى فتكات

وظن بأن القلب منك محصب ✽ فلباك من عينيه بالجمرات

تقرب بالنساك فى كل منسك ✽ وضحى غداة النحر بالمهجات

وكان له جيبان مثوى فأصبحت ✽ ضلوعك مثواه بكل فلاة

يعز علينا أن تهيم فتطوى ✽ كئيبا على الاشجان والزفرات

فلو قبلت للناس فى الحب فدية ✽ فديناك بالاموال والبشرات

ومن ايثار ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه مجرى المتشرعين أن أحد أعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده مختلا فى عينه وفؤاده لا يسلمه الى مكروه ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه ولا تورده من تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه شارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيها السيد المجتبى ✽ ويا أيها الالمعى العلم

أتتنى أبياتك المحكمات ✽ بما قد حوت من بديع الحكم

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسبة البيتين لابن العميد فالله أعلم * ومنهن حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات أبوها كتبت الى الحكم وهي اذ ذاك بكر لم تتزوج

اني اليك أبا العاصي موجعة * أبا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفة * فاليوم آوي الى نعماك يا حكم
أنت الامام الذي انقاد الانام له * وملكته مقاليدها النهى الامم
لاشئ أخشى اذا ما كنت لي كنفا * آوي اليه ولا يعروني العدم
لازلت بالعزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر ابن لبيد والى البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها فلم يعدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو في حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي * على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي انه خير جابر * ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فاني وأيتامي بقبضة كفه * كذي ريش أضحى في مخالب كاسر
جدير لمثلي أن يقال مروعة * لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى * على زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذي خطته يمناه جابر * لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت بجميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأى الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفي يا حسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن الهشامين خير الناس مأثرة * وخير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسبا * مقابلا بين آباء وأجداد
جودت طبعي ولم ترض الظلامة لي * فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أقمت ففي نعماك عاطفة * وان رحلت فقد زودتني زادي

* (ومنهن أم العلاء بنت يوسف الحجارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل ما يصدر منكم حسن * وبعلياكم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم في عمره * فهو في نيل الاماني يغبن

يا سيد الناس يا من * يؤمل الناس رفده
امنن على بطرس * يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ فى رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشئ بالشئ يذكر انه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن بن على سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل فى الوقت لنفسه

ولما تولى الفتح من كل وجهة * ولم تبق الاوهام فى الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الالهى عنده
فلا نعمة الا تؤدى حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب لذلك ووقع أحسن موقع * وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهرى أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الاراك المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة وردت عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء وأنشده

ما أنت فى أمراء الناس كلهم * الا كصاحب هذا الدين فى الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمى كما * أحياه جدك عبد المؤمن بن على

فأمر له بألفى دينار ولم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل مع الجميع ارضى للجميع قال وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى أن حالت بينه وبين من كان أمامه لكثرتها انتهى *(رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب فى المطرب قولها

ثنائى على تلك الثنايا لاننى * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله اننى * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبى جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه أن قتله وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهرين فكتب لها

يا من أجانب ذكر اسمه وحسبى علامه
ما ان أرى الوعد يقضى * والعمر أخشى انصرامه
اليوم أرجوك لا أن * يكون لى فى القيامه
لو قد بصرت بحالى * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه

وفى مبيتـك بالخـس كل قبح وشين
فليس حقـك الا السدّ وبالقـ ـرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منهما من الكلام وذيل ذلك بقوله

مالى من أهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع أن لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع على عطمورة نجاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول أعلمهما بحالى فرجع الرسول وأخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذى خلصنا * من الوقوع فى الخرا
ارجع كما شاء الخرا * يا ابن الخرا الى ورا
وان تعدّ يوما الى * وصالنا سوف ترى
يا أسقط الناس وبا * أنذالهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * قى لو أتيت فى الكرا
بالحية تشغف فى السخره وتشنا العنبرا
لاقرّب الله اجتما * عا بك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح فى زهره الكمام ويطلق ورق الغصون
على نازح قد ثوى فى الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينساكم * فذلك والله ما لا يكون

قوله العبد ينساكم فى نسخة العبد ينسيكم وكل صحيح كما لا يخفى اه مصححه

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظرى * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * أظل بأحباب يذكرنى وهنا
لعمرى لقد أهدى لقلبى خفقه * وأمطرنى منهل عارضه الجفنا

ونسب بعض اليها البيتين المشهورين

أغار عليك من عينى رقيبى * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك فى عيونى * الى يوم القيامة ما كفانى

والله تعالى أعلم وكتبت الى أبى جعفر

رأست فما زال العداة بظلمهم * وعلمهم النامى يقولون لم رأس
وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها فى السيد أبى سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمي وبر قسمي أني كنت يوما في منزلي مع من يجب أن يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمعت بها غفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين فقالت ادفعي لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد * وكذا الثغر فاضح للآلي
ما ترى في دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض في انفصال

قال فعلمت انها حفصة وقمت مبادرا للباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبي جعفر بن سعيد سابق الحلبة فلم نبعد أن نلم ببعض أخباره فنقول هو أبو جعفر أحمد ابن عبد الملك بن سعيد العنسي قال قريبه أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد في المغرب سمعت أبي يقول لا أعلم في بني سعيد أشعر منه بل لا أعلم في بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بني عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه في اموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أفي مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاي في أي وقت * آمل في العيش راحه
ان لم أنلها وعمري * ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه
وكأس راحي ملآن * تميل مني راحه
والخطب عني أعمى * لم يقترب لي ساحه
وأنت دوني سور * من العلا والرجاحه
فأعفني وأقلني * مما رأيت صلاحه
ما في الوزارة حظ * لمن يريد ارتياحه
كل وقال وقيل * مما يطيل نباحه
أسى أتى مستغيثا * فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون من قبل الطبع مائلا له النفس ثم وقع على ظهر ورقته قد تركناك راحا أنسك وألحقنا يومك بأمسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فعمره احسانا وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبي جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه وطلب أن يعفيه فأبى الى أن شرب أبو جعفر يوما مع بعض خواصه وخرج

وقوله يذم حماما

يارب حمام لعنا بها * أبدى الينا كل حمام
أحق له أسر حميم كما * أصمت سهام من يدى رامى
يحرق حبا للدخان الذى * لاح كمثل العارض الهامى
وقيم يحذف جذبة * وتارة يكسر ابهامى
ويجمع الاوساخ من لؤمه * فى عضدى قصد الاعلامى
وازدحم الانذال فيه وقد * صحوا صحيحا دون افهام
وبعله الامر دخلنا فى * سام وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقى

لا أنس ما عشت حماما ظفرت به * وكان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى صدين مختلفا * تنم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الاحسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لى هذا بقوة فراسة * وعقلا ولولا كم للازمه الجهل
وماهو أهل للثناء وانما * علاكم لتقليد الايادى له أهل
وما أنا الا منكم واليكم * ومافى من خير فأنتم له أصل

وقال

ولما رأيت السعد فى صفح وجهه * منيرا دعانى ما رأيت الى الشكر
وأقبل يبدى لى غرائب نطقه * وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الجديب الى الحيا * وكان ثنائى كالرياض على القطر

وله

لا تكثرن عتابى * ان طال عنك فراقى
فما يضر بعاد * بطول الوداد باقى

وله

ما خدمنا كم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذب فى هذه الدنيا بسلطانكم عن الاصحاب
واذا ما اذاقوهم بشكوى * وبحلتم عنهم برد الجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا اجمال العتاب
واذا أرض يجدب لفطته * فله العذر فى اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج فى يده فقال لوقته

لى من جبينك هادى * فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا * بدا فى لرشاد

وان خصكم يوما بشانئه الثنى * وساء اليكم بعد اجماده ذكرى
على أنني أقررت أني مذنب * وذو المجد من يعفي المقرّ عن العذر

وله يصف نارا

نظرت الى نار تصول على الدجى * اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها أيدي الرياح وتارة * تخفضها مثل المكبر يسجد
والا فمن لا يملك الصبر قلبه * يقوم به غيظ فما انفك يقعد
اما أنها تشكو بها ما أصابها * وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاى هذي بردتي أخلقت * وليس شئ دونها أملك
وصرت من يأس ومن فاقة * أبكي اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعي أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تداركنا فانا في سرور * وما بسواك يكتمل السرور
أهلة انسنا بك في تمام * أليس تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزل من له اليه ميل وقال لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاى لم تقصد لتعذيب من * يهوى وما قصدك مجهول
طابت محبينا بقصد وفي * تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زار يجي حجبة * ويجتني منه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما الـ * ـعيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأبان عن علم وقد سأله عن بلده فقال اشبيلية ففكر ثم قال

ياسيدا لم أكن من قبل أعرفه * حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزادني أن غدا في حمص منشؤه * لقد تشاكل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له في انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق وبشاشة فاحتمل ما مع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صله بأحسن منزع وأنبل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

قوله الغرب في نسخة الغرباء اه

ياسيدا قد ضمه مجلس * حل به للمزح اخوان
لم يلق من جانبه جفلة * ولا ثناه عنه كتمان
كانه من جمعنا واحد * لم ينب منا عنه انسان
ولم نكن ندريه لكن بدا * في وجهه للطرف عنوان

وله وقد لقي أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب أن قال

ان كنت لم تلمح سواك الاعين * أو غبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذي ما ان يمل حضوره * ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله في والده وقد شق عليه درعا

أيا قائد الابطال في كل وجهة • تطير قلوب الأسد فيها من الذعر
لقد قات لما أن رأيتك دارعا • أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
وأنشدت والابطال حولك هالة • أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناه • عمن غدا لك حاسد
فكان منك انخداع • به فرأيك فاسد
بصدره منك نار • لهيبها غير خامد
وغله لك مازد • ت في السعادة زائد
وانما ذاك منه • كالحب في فخ صائد

وله

أيصبر من يلوم فيه • فقال ذا في ابدال فاتق
أما ترى ما دهيت منه • كان عذولا فصار عاشق

وله في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاى ان يحبك خير خليفة • فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالبلقن يحبس نوره من غبطة • والمرهفات تصان في الاجفان
فالبشر فنزع الدر من أصدافه • يمليه للاسلاك والتيجان
ولئن غدا من ظل دونك مطلقا • ان القذى ملق عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها • وهداية الانسان بالانسان
والطرس يجمع ما حواه نفاسة • ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه • سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادى بعده • بذرى الخلافة في ذرى كيوان

مولاى غيرك يعزى بما لم يزل يجرى على الكرام ويذكر تأنيسا له في الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزى • وخوض الموت في الحرب السجال

وقد كان مولاى أنشدني لعلى بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه بما سلاها في السجن بقوله

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى • حبسى وأى مهند لا يغمد

الابيات - ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبخاطرك لا يزال غروبه وطلوعه وانما هي عادة تبعناها أدبا وقضينا بها في النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئة ويعقب بالنعمة هذه المرزئة قال فأمر الملك بقسر يحيا اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا ويغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

مرحباً لاعدمنا • لتعاطيك الشهر
فسد بلذّ ارتياح • أبد الدهر وسكر
كل عمر قد خلا منك فما ذلك عمر
خصّه الله بمعنى • فيه للالباب سرّ
يلعب الانسان فيه • وهو يصغي ويسرّ

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزل فسمى له وأعلم أن ابن سعيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه أملى على السلطة ما قال وصنع فكتب له أبو جعفر

يا سميى وان أفاد اشتراك • غير ما يرتضيه فضل وودّ
أكذا يزدرى الخليل بأفق • أنت فيه ولم يكن منك ردّ
لا أرى من سلمت وغدا ولكن • ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاى وسيدى وأجلّ ذخرى للزمان وعضدى الذى أفخر بمشاركة اسمه وتنبه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا • وشرّ الشعر ما قال العبيد

سلام كنسيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاى لم يصافحنى بالسلام ولا رآنى أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدرى عنده ما نسب لى من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذى زوّر لسيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها والملمّ اليها فبادر اليكم قبل أن أسبقه فاتهم باسقاط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكنى يأبى ذلك خلق وما تأدبت به ومع ذلك فانى أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا • ومثلك غفار ومثلى قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لأتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكنى متكل على حلم سيدى واغضائه متوسل فى الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن من غدا • تعوّد عفوا عن كبار الجرائم
لكم آل عمار بيوت رفيعة • تشيّد من كسب الثنا بدعائم
اذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم • ولم نقتنع بالعفو دون المكارم
وانك فرع من أصول كريمة • ولا تلد الازهار غير الكمائم
وانى مظلوم لزور سمعته • وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر عنا نصه سيدى الذى أكبر قدره وأجلّ ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما تأخر ما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذمك حضورا أو غيبا وانما قصدت بالمعاتبة ما تحتها من المطارحة والمداعبة على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم

لا تخش من قول ذي اعتراض • ولا حسود عليك قادر
واني قد رأيت حسن • يكثر القول وهو ساتر
ما قد أراب العفيف منه • فحسك وطي به يجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم • قال بحال تسر ناظر
واللص ما بينا صريعا • بكل كاس عليه دائر
مطرح الصلاة يصغي • لصوت الدف والمزامر
فاغتدى سيدي مشارا • الي مهما مررت خاطر
وان أتيت الملوك أبغى • نوالهم قيل أي شاعر
يذكر في شعره خلافا • وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك • فما له بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فانت حظي • واقرع فانت خاسر

فقال له أبو جعفر يا أبا العباس اشربه بشاغير مقدر ما قدرت ولو كان هذا المضحك على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوبا الي في كونى أحضرف مجلسي من يهتك ستر المستورين ومهما تره هنا بيده الخمة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارق أثقل من حمل وأصمت من سمكة مترى بزى خطيب في نهاية من السكون والوقار (وتحت الثياب العار لو كان باديا) فكن في امن ماشربت معي فاني والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم في شأنك أمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب في ذلك راجع الي فسكن ابن سعيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومدلها في النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألقت على الارض خدا

فقال ابن سعيد

هي المرآة لكن • من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهر عند ما لاح بردا

فقال ابن سعيد

أهدت لطرفك منه • ما للاكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه • سيف من التبر مدا

فقال ابن سعيد

فاشرب عليه هنيئا • وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا الى منارة سنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سعيد

فقال ابن سعيد

وبدا الصبح بوجه • مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما • فتر الليل بنوده

فقال ابن سعيد

فهلم اشرب وقبل • من غدا ينطق عوده

فقال أبو جعفر

ثم صالحه على رغم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سعيد

واجعل الشكر على ما • نلته منه جحوده

فقال أبو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامي في هذا البيت في قوله وشكر أيادي الغانيات جحودها قال فلم لقبت باللص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك واللص المذكور اسمه أحمد بن سعيد يكنى أبا العباس وهو من مشهوري شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله

غض عن الشمس واستقصر مدى زحل • وانظر الى الجبل الراسي على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأتنا بغض وزحل والجبل ومن بديع نظم اللص قوله

سلبت قلبي بلحظ • أبا الحسين خلوب

فلم أسمى بلص • وأنت لص القلوب

ولما اجتمع أبو جعفر بن سعيد المترجم به باللص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده جعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة منزع أبي جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا • ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله في حل من نفسك يكون في شعرك مثل هذا وتنشدني ما كان يحملني على أن أسأت معك الادب والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابي جعفر أبو الحكم بن هرون في يوم بارد بغرناطة

يا سميي في علم مجدك ما يحتاج فيه هذا النهار المطير

ندف الثلج فيه قطنا علينا • فصرنا بعدلكم نستجير

والذي ابتغيه في المطمئنه • ورضاب الذي هويت نظير

يوم قر يوذ من حل فيه • لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير • الذي قدره معلى خطير

قد بعثنا بما أشرت اليه • دمت للانس والسرور تشير

قوله هرون في نسخة هرروس اه

وما أحق السؤال الكم نوالا • ولكن جودكم أحى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت في حكاية مع ابن سعيد • وقال في حلقة خياط وهو من محاسنه

كأنما يسمة وسر الرماح بها • بادوقرنسها بالسيف قد قطعا

وقال

فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت • أشكو من الطول ما أشكو من القصر

•(رجع الى أخبار أبي جعفر بن سعيد • قال في الازهار المنثوره في الاخبار المأثوره مانصه لما قبض على الوزير أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسي وثقف بمالقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به بعد ما استؤذن السيد أبو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن في أمره قال فدمعت عيناي حين رأيته مكبولا فقال لي أعلي تبكي بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت في الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسرارى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا في يد الحجاج منتظر محنة الحلاج قادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت أفلا يوقف على من يتعلق بهذا الكلام ثم بعقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى •(رجع الى أخبار النساء ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها في أوانها حسنة المحاضره مشكورة المذاكره كتبت بالذهب على الطراز الايمن

أنا والله أصلح للمعالي • وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقي من صحن خدي • وأعطي قبلتي من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا • لم تهو جاريتي ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله • وجنحت للغصن الذي لم يثمر

ولقد علمت بأنني بدر السما • لكن ولعت لشقوتي بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت • تفارقك الحياة ولا يفارق

فلوطي ومأبون وزان • وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه

ان ابن زيدون على فضله • يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الاير على نخلة • صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

* وكان أبوه المستكفي بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما ألمعنا به في غير هذا الموضع وكان خاملا ساقطا وكانت هي في نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة أوابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استمدت بشيء مما هنالك من الاقذار وقد نشر أبو عامر كميه ونظر في عطفيه وحشر أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا * وقال في المغرب بعد ذكر أبيها بالغرب كعلية بالشرق الا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الادب والشعر والنادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة في الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه في هواها

أثرت هزبر الشرى اذ ربض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

وما زلت تبسط مسترسلا * اليه يد البغي لما انقبض

حذار حذار فان الكريم * اذا سيم خسفا أبى فامتعض

وان سكون الشجاع النهو * س ليس بمانعه أن يعض

عمدت لشعري ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض

أضاقت أساليب هذا القريـ * ـض أم قد عفا رسمه فانقرض

لعمري فوقت سهم النضال * وأرسلته لو أصبت الغرض

ومنها

وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض

هي الماء يعز على قابض * ويمنع زبدته من مخض

* (ومن أخبار ولادة مع ابن زيدون ما قاله الفتح في القلائد) ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقد صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووردة وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب

قوله فلما حل بذلك الغرب هكذا في الاصل وفيه سقط كما يظهر مما بعده فلعل الاصل فلما حل الكرب أو البلاء أو نحو ذلك تأمل اهـ مصححه

الدهر في قرطبة وصبي أحد الدهاة وظلمه وتعاوناه بما شاء من ما تعذر ولا سيما ما في صلوعه من لهيب الجوى وتعاتبها على إهمال عهد وتقطع حسن تخمير وما وتمهيد

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنما رق لي فاعتل إشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما شققت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه إذ عاينت أرقي * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين إشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * إليك لم يعد عنها الصدر أن ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الأيام أخلاقا
لا سكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه ما لاقى
يا علقي الأخطر الأسنى الحبيب إلى * نفسي إذا ما اقتنى الأحباب أعلاقا
كان التجاري بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا انتهى

وقال أيضا ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويبوح بوجده بها ويجهر لسر أرق من قرطبة وواليها ووقع كان يشتم الله ووالها أحمد بن جهور عليه وتقدم أمر مهم إليه فما أنس من لقائها وتعذر عنه تماديها كتب إليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذي عشيه والامتحان الذي حسيه ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر ولا أخمد ما في ضلوعه من لهيب الجوى وهي قصيدة ضرب في الإبداع بسهم وطلع في كل ناظر ووهم ونزع منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأرادها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وقد ذكرنا كثيرا منها (ومن المشهورات بالأندلس اعتماد جارية المعتمد ابن عباد وأم أولاده وتشتهر بالرميكية وفي المطمح والمغرب أنه ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز (صنع الريح من الما ورد) فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أي درع لقتال لو جمد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر إليها فإذا هي صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هي فقالت لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك الصغار رحمهم

الله

الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السابق بسنده الى بعض أدباء الاندلس وسماه ولم يحضرني الآن انه هو الذي قال للمعتمد (أي درع لقتال لو يجد) قال فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا في الانشاد فحملني ثانيا وأجازني بجائزة سنية قال ابن طاهر وقد أخذت هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذا النبت كان زبرجدا • ولو جمدت أنهاره كان بلورا

ولما قال ابن طافر قد أدركت الشمس على المالها

قال القاضي الاعز فحكى الفضة منه ذهبا

•(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له يا سيدي لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هنا هنا • مولاي أين جاهنا • قلت لها الهنا • صيرنا الى هنا

• وحكى انها قالت له وقد مرض يا سيدي مالنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين فعلق في رأسه وترك الطبرزين في رأسه فقالت الرميكية قد بقي ابن عمار هدهدا والقصيدة أولها

ألا حي بالغرب حيا حلالا • أناخوا جمالا وحازوا جمالا

وعرج بيومين أم القرى • ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قرية باشبيلية كانت منها أوائل بني عباد وفي هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان • رميكية ما تساوي عقالا

فجاءت بكل قصير العذار • لئيم النجارين عما وخالا

قصار القدود ولكنهم • أقاموا عليها قرونا طوالا

أتذكر أيامنا بالصبا • وأنت اذا لحت كنت الهلالا

أعانق منك القضيب الرطيب • وأرشف من فيك ماء زلالا

وأقنع منك بدون الحرام • فتقسم جهدك أن لا حلالا

سأهتك عرضك شيئا فشيئا • وأكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها • منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة أن المعتمد هدّ به وذيل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله

كيف التفلت بالخديعة من يدي • رجل الحقيقة من بني عمار

ومضربه في أبيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تتقد وصلوعها تحنو وتعتقد وتضمر الغدر وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملق بين جواريه مغتر بعوائد ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر

والناس قد ملؤا البرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ماقصدت جلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة فى كتاب نظم السلوك فى مواعظ الملوك فى أخبار الدولة العبادية ان طائفة من أصحاب المعتمد خامرت عليه وأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها وأغرى بسفك دمها فأبى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجميل وما خصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى أن أمكنتهم الغرة فانتصروا بفئات مستنصر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلافيا الامر عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى فى يده

كأن السيف راق وراع حتى * كأن عليه شيعة منتضيه
كأن الموت أودع فيه سرا * ابرفعه الى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بالنجدة ورماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا مرعفا فرأيت القائمين عند ماشخوا الاسوار تساقطوا منها وبعد ما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح الهيبة فى مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد صفا الى أن كان يوم الاحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره ببعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه وترامية على الموت بنفسه مالامزيد عليه ولاانتهى خلق اليه وشنت الغارة فى البلد ولم يبق فيه على سبد لاحد ولالبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وماهم بسكارى ورحل بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب معه بلغة زاد ولابغية مراد فأمضيت عزيمتى فى اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت به شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم تقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالى * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا

الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناءها وأسال ساحة الخطوب وفناءها وحين أركبوه أساودا وأوردوه حرابات لم معاودا قال

غنتك اغماتية الالحان * ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان قبدك في الورى * فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا بحذاك كل تمدد * متعطفا لا رحمة للعانى
قلبى الى الرحمن يشكو بثه * ما خاب من يشكو الى الرحمن
يا سائلا عن شأنه ومكانه * ما كان أغنى شانه عن شان
هاتيك قينته وذلك قصره * من بعد أى مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسالمه حربه قال

تؤمل للنفس الشجية فرجة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا
ليالبك من راهيك أصفى صحبتها * كذا صحبت قبل الملوك اللياليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أبناء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فأحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالى اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
انى غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا
قلت الخطوب اذلتنى طوارقها * وكان عزمى الى الاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوى الاخطار أرماقا

وقال لى من أثق له أنارانه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار فى أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرضنى للمحن ورضى لى أن أمتحن ووالله ما أبكى الا انكشاف من أخلفه بعدى ويحيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تملت أسرته وطالت مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا تقدير ما تنداح دائرة أو تلتمع مقلة حائرة حتى قال

كذا يهلك السيف فى جفنه * الى هز كفى طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمين
كذا يمنع الطرف علك الشكيم مرتقبا عزة فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين

الاعصم الله القطاني دراشيها * فان مراتي خانها الماء والطل
وفي هذه الحالة رثاه الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درورها المتبعين دروها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالمعروف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعد ما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تخفق عليه الالويه وتشرق منه الانديه وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه ويقصر السمر أن يقارنه أو يضاهيه ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيها لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثي أربد أو بكاء ذي الرمة بالمربد سلك فيها للاجتماع طريقا لاحبا وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا من ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اعمات
طوت مظلتها لا بل مذلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس أنصله * هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت الا التوا آت القيود به * وكيف تنكر في الروضات حيات
غاظت بنهما بين عقد له * وبينها فاذا الانواع أشتات
وقلت هن ذوابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذوابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذ شابها الثقاف الجعد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجيء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفي على آل عباد فانهم * أهلة ما لها في الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدتهن بالادهان أنات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات
كأن واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبل الراح سورات
وربما كنت اسمو للعليج به * وفي الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لا جفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شمته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت الآثر من حلاها * وافردت المآثر من علاها) ورفعت مكارم

غصت عنانك أيدى الدهر باغية * عما يجهل واصل لاسابا صاد
وأسلمت للمنايا آل مسلمة * وعددت الرزايا آل عباد
لقد هوت منك خانتها قوادمها * كوكب فى سماء المجد وقاد

ومنها

وما لك كان يحيى شول قرطبة * أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم نطاقا والعلا زهرا * فبين ما بين رواد ووراد

وأين هذه القصيدة فى مدحهم من قصيدة الغض منهم وهى قول أبى الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقى

تعزعن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبى محمد بن غانم فيهم

ومن اعرب غروب شمس فى الثرى * وضياؤها باق على الآفاق

وقال فى المطمح فى حق بنى عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منقادا فى لخم ومرتقاها الى معرفخم وجدهم المنذر ابن ماء السماء ومطلعهم فى جو تلك السماء وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والهلك ومعتضدهم أحد من أقام وأقعد وتبوأ كاهل الارهاب واقتعد وافترش من عريسته وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود ود كل طود وأحل كل ذى زى وشاره وختل بوحى واشاره ومعتمدهم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل

لقد حنت الى ما اعتدت من كرم * حنين أرض الى مستأخر المطر
فهاتها خلعا أرضى السماح بها * محفوفة فى أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقد حن فى طريقه الى فريقه

ادار الهوى كم طال فيك تلذذى * وكم عقتنى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه * كماة الاعادى فى النسيج المسرد
لجردت للضرب المهند فانقضى * مرادى وعزما مثل حد المهند

والقاضى أبو القاسم هذا جدهم وبه سمر مجدهم وهو الذى اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه أخذ الرياسة من أيدى جابر وأضحى من ظلالها أعيان أكابر عندما أماخت بها أطماعهم وأصاخت اليها أسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد وأتلعوا أجيادا زانها الجيد وبغى عليها منه حتى هجا بنت العدى وتصدى اليها من تحضر وتبدى فاقتعد سنامها وغاربها وأبعد عنها عمها وأعاربها وفاز من الملك بأوفر حصه وغدت سمته بصمة مختصه فلم يحج رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ومازال يحمى حوزته ويجلو برنه حتى حوته

دون أن تدرك هدا * تسلب الافق الهلالا

وكنت بميورقة وقد حلها متسما بالعماده وهو أسرى الى الجهورمن خصال أبي عماده وقد لبس أسمالا ولبس منه أقوالا وأعمالا سحوره هجوده واقراره بالله جحوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحي وكان لا يتصرف الا في صفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقه الاجواء ولا يشوقه الاهواء فاذا بأحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه قال له كنت البارحة بحماه وذكر له خبرا اورى به عن وعماه فقال

تنفس بالحي مطلول أرض * فأودع نشره نشرا شمالا

فصبت العيون الى كسلي * تجرر فيه أردانا خصالا

أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا أو شمالا

نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر وتردد على سمعه اتهاكه وتكرر أخرجه من بلده وهاه وطمس رسم فسقه وعماه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة بحار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى مقد مهجته فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة اماتته وأحد نار الدين منه واراحته ثم آثر صفحه وأخمد ذلك الجرولفحه وأقام أياما ينتظر ريحا علها ترجيه ويستهديها لخلاصه وتنجيه وفي أثناء تلوته لم يتجاسر أحد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

أحبتنا الالى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جدلا وأنسا * فهل في العيش بعدكم انتفاع

أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم راع

اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل

بني العرب الصميم الارعيتم * مآثركم بآثار السماح

رعيتم ناركم فعشا اليها * بوهن فارس الحي الوقاح

فهل في القعب فضل تسحروه * به من محض ألبان اللقاح

لعل الرسل شائبة الثنايا * بشهد من ندى نور الاقاح

وله أيضا

وكأنما رشا الحي لما بدا * لك في مطلعة الحديد المعلم

غصب الغمام قسيه فارا كها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله أيضا

نظرت اليه فاتقاني بمقلة * ترد الى نحري صدور رماح

حييت الجفون المنوم يا رشا الحي * وأطلت أيامي وأنت صباحي

وقال

قلوبهم بجتنيه مع لوذعية تعد الهاجريالا وصبية يختال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أنسنا بجومص واشتفى من تلك القمص وكان يشعر الاشفوية تسدد ولم يسرح امسا من الانس بعد ما يسدد مسدده الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقينا وبتنا ليلة نام عنها الدهر وغفل وقام انسا عاشنا فيها وتكفل فيما نحن بعض ختامها ونحص عما غار الوحشة وقتامها اذا أنا بابن لسان هذا وقد دخل ادبه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرعها ومازال يشرب أقداحا وينشدنا أمداحا ويفدي بنفسه ويستهدى الاستزادة من أنسه فهتكا الظلام بما أهدانا من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتم مسرة وأعم مبرة وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فبعثت بها اليه مجددا عهدا ومنضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لسان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره ويجتهد في تجديد ذكره

قوله بابن لسان هكذا في الاصل هنا وانظره مع ماسبق فيه من انه ابن اللبانة اه مصححه

ماشام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو في مطالعه * من المحاسن نجوم فابشهبان
له التمام وما بالافق من قمر * متمم دون أن يرمى بنقصان
به الشمسية ترهى من نضارتها * كانسا قطلال فوق بستان
معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه دمة شيبت بعقيان
نبئت عنه بأنباء اذا نفحت * تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها * كالشكل قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وضح * مازادت الشمس نور القمر للرائي
بالله بلغه تسليمي اذا بلغت * تلك الركاب وحل غير لهان
وليت أني لو شاهدت أنسكا * على كؤس وطاسات وكيزان
وألفظ الكلم المنثور بينكا * كانما هو من در ومرجان
لله درك يا ذا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلا كما البحر في جود وفي كرم * أو الغمامة تسقي كل ظمآن
ان كان فارس هيجاء ومعترك * وأنت فارس افصاح وتبيان
فاذكر أبا نصر المعمور منزله * بالرفد ماشئت من مثنى ووحدان
قصائدا لاخي ود وان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى * وقال في ترجمة الاديب أبي بكر عبد المعطي بيت شعر ونباهه وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أي انتباهه وله أدب باهر ونظم كما سمرت أزاهر وقد أنبت له جمالا يبلغ آمالا في ذلك قوله وقد اجتمعنا في ليلة لم يضرب لها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو قعدى قد شب عن طوق الانس في الندى وما قال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قمعته وأقعدته عن ذلك وما أمضته

جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة ووقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان في ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدر ماصفا بذلك المنيف فسكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال * وقال في المطمح في حق أبي بكر يحيى ابن بقي القرطبي صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تتم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أرتعته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن يوما مع قوم لا يظعن بأمان وتقاذف من كل زمان الا أن يحيى بن علي بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صيب نعمائه وبأطلاله وبوأه أثر النعمة بحوس خلاله فصرف به أقواله وشرف بعواقبه دماله وأفرده منها بأنفس درر وقصده منها بقصائد غرر انتهى المقصود من ترجمته في المطمح * وقال في حقه في القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطما عليه حرمانه فما صفا له زمانه انتهى * وابن بقي المذكور هو القائل

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق

الابيات المذكورة في غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبي فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف

وهو من بغي الهوى لا ينصف

كم أداريه ودمعي يكف

أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل أغطش

طالع في غصن بان منتشي

أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف وكم ذا فتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع

أي ريم رمته فاجتنبا

وانثني يهتز من سكر الصبا

كقضيب هزه ريح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وصلكا * واطرح أسباب هجري ودع

قال خدي زهره قد دوقفا

جردت عيناي سيفا مرهفا

يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم مؤادى
كالاسد العابس * اكنه خانس * من الحور

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولاجمال المنظر
وكلاهما جمعا ليحيى المبدع * كتمان نور علائه المتشهر
فى كل أفق من جمال ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
رد فى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام الممطر
بدر عليه من الوقار سكينة * فيها القسطلة كل ليث محذر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقسلت من نادا بجودك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هو معنى تلاعب الشعراء بذكره وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته سنا وسناء
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ماء

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقطعات ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد ما نصه ماذا أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك هم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين أو عدت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع بأسهم وجودهم وكل ملك آدمى مفقود وما

معه كراسه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما عسى أن يدخل مع الشعراء ويتدرج في سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقي معهم وكان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال بعض لبعض هذه شنعة بنا أن يكون مثل هذا البادي يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرد عنهم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان في مجلسه ونصب الكرسي لهم رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم فأمر بذلك فصعد الكرسي واستطروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادي * وحرمت عن عيني لذيذ رقادي

وتركتني ارعى النجوم مسهدا * والنار تضرم في صميم فؤادي

فكأنما آلى الظلام أليسة * لا ينجلي الا الى ميعاد

لي بين بين أين تقتاد الهوى * ابل الذين تحملوا بسعاد

ولرب سرق قد قطعت بساطه * والليل يرفل في ثياب حداد

بشملة حرف كأن زميلها * سرح الرياح وكل برق غادي

والنجم يحدوها وقد نادبتها * يا ناقتي عوجي على عباد

ملك اذا ما أضرمت نار الوغا * وتلاقت الاجناد بالاجناد

فترى الجسوم بلا رؤس تنثني * وترى الرؤس لقى بلا أجساد

يا أيها الملك المؤمل والذي * قدما سما شرفا على الانداد

ان القريض لكاسد في أرضنا * وله هنا سوق بغير كساد

حليت من شعري اليك قوافيا * يفنى الزمان وذكرها متمادي

من شاعر لم يصطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفة بمداد

فقال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسن اليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى اخبار بقية بني عباد) المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد أبي عمرو عباد ابن القاضي أبي القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد وأديب على الحقيقة مجيد وهمام تحلى به للملك لبة وللمطم جيد افنى الطغاة بسيفه وأباد وانسى بسيبه ذكر الحرث بن عباد فاطلع ايامه في الزمان حجولا وغررا ونظم معاليه في اجيادها جواهر ودررا وشيد في كل معلوة فناءه وعمر بكل نادرة مستغربة وبادرة مستطرفة أوقاته وآناءه فنفقت به للمحامد سوق وبسقت ثمرات احسانه أي بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من أبنائه عدة أقمار ظهورهم نظم السلك وزينهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته وأخذ الدرس في فيئته واعترا الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك الشتات والمقام في ذلك

مالا يخفى أمره فنفى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد تحقق المعتمد وجيه عن المصارى فأعد لهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد ولم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه في البلد فافاق من نومه وصاح من سكره وركب فرسه وحسامه في يده وليس عليه الا ثوب واحد ووافى العسكر قد دخل من باب الفرج ووافى هناك طالبا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ففر الناس أمامه وترامو من السور ووقف حتى بان الباب وفي ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتي ان يسلب النوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباح وجد ابنه مالكا قد قتل فاسترجع له ودخل القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته وطلب الامان له ولمن معه فأمن وجميع من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصري الشاعر وكان قد ألف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصري ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه ثم انتقل حتى وصل اغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى * وقال الفتح في ترجمته ما نصه ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل يوما كفه ولابنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت ايامه مواسم وثغوره بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان حجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يخلها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقى اثرها باديا ولقى مقتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الامم ومقذفا لكل كمى وموقفا لكل ذى انف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ومشاهير الحماة أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم المعود والمضاء وطلع في سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فاصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان ومضمارا لاحرار المحصل في كل معنى وصل فلم يتعلق برمامه الا كل بطل نجد ولم يتسق في نظامه الا ذكاء ونجد فاصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفصح الرصافي وصفه ايام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجلالة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان اقدموا اقحم عنترة العبسي وان نحروا أقحم عرابة الاوسى ثم انغرقت الايام فالوت باشراقه واذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فاصبح خائفا تتعدوه الرياح ونافضا جيبه البكاء والصياح قد عجبت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه واصحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت بهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا للدنيا ما رعت حقوقه ولا ابقت شروقه فكم احياها لبنيها وأبداها رائقة لجتنيها وهي الايام لا يبقى من تجنيها ولا تبقى على موالها ومدانيها ادثرت آثار جلق واخذت نار المحلق

قوله وجيه عن المصارى هكذا في الاصل ولا يخفى ما فيه فلعله محرف والاصل وجه الى النصارى أو نحو ذلك وليحرر اه مصححه

بكى صعب أو خليل موافق * بمزن ذا قطر وبغرق ذا بحر
وبحر مياه من زمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذن ان ضن جفني بقطرة * وان لؤمت نفسي فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي * لمثلهما فلتحزن الانجم الزهر

انتهى * وقال في ترجمة الراضي ما صورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه ويصميه بسهامه فرجما استلطانه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلئ وعقودا تسيل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستجارته من عذله وملامه ماتستبدعه وتحله النفوس وتودعه فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا أفول
حنانك ان يكن جرمي قبيحا * فان الصفح عن جرمي جميل
ألست بفرعك الزاكي وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعني الراضي هوادج وقباب فيها احبائب كن له وأحباب القوم أيام خلائه من دوله وجال معهن في ميدان المنى أعظم جوله ثم انتزعوا منه بعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا اهدايا الى العدوه والهوابها الماء قريش بدار الندوه فقال

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبي أي ايقاد
وأذكروني اياما لهوت بهم * فيها ففازوا بايشاري واسعادي
لاغرو ان زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل العدو لورقة أعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ونهد لغزوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدو دون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضي بالخروج اليه في عسكر جرده لمحاربته واعده لمصادمته ومصارمته فاظهر التمرض والتشكي وأضمر التقاعس والتلكي فرارا من المصادمه واحتماء من المساومه وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعه أربح من المقارعه ومعاناة العلوم أروح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عازفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد ما نواه وتحقق ما لواه فاعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذي لم تنشر بنوده ولا انصرت جنوده فعندما لاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا باعطاء العزة بدلا من القرار وتفرقوا في تلك الافاريت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فتحيف العدو من بقي مع المعتمد واهتضمه وخضم ما في العسكر وهضمه وغلت مضاربه بجرعو اليه وبجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع السدانه ومضيع الامانه فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله

قوله لاغرو الخ في نسخة لاغرو أن زاد وجدي في مرورهم اه

فاذابها فــرع لها * والجهل للانسان عادر
لايدرك الشرف الفتى * الابعـــال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجدت انهم اكابر
لو كنت تهوى منيتى * لوجدتنى للعيش هاجر
فضـل الموالى بالعبيد اذا توءمل غير ضائر
ان كان لى فضل فضل فضلك وهل الا النور ساتر
أوكان بى نقص فمن غير أن الفضل غامر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ماعاش ذاكر
بالبته قد غيبته عندها احدى المقابر
أتريد منى أن أكو * ن لك غدا فى الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيى الاوائل والاواخر
لاتنس يامولاى قو * لة ضارع لاقول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بقفرتها العساكر
أيام طلت بهافريد اليس غير الله ناصر
اذ كان يعشى ناظرى * لمع الاسنة والبواتر
ويصم اسماعى بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهى المضيض سهولة * لكن ثبت بها الخاطر
هبنى اسات كما أسا * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتى لبنوتى * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة فى البوار والامور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا الغيرطيه وقضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسبما سردناه وعلى ما أوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق فى علمه فلا مرد له ولامعقب لحكمه لااله الاهو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بنى عباد بالاندلس من أبهج الدول فى الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شئ بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد فى أخبار بنى عباد ولايلتفت لكاب عقور نبح بقوله

مما يزهدنى فى أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك فى حقهم لايقدح ومازالت الاشراف تهجى وتمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضى والمعتمد وغيرهم وقد سردنا خبر بعضهم وكان الدانى المذكور مائلا الى بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقه التى هى أزكى من زهر الحديقه فمن ذلك قوله من قصيدة

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن والهى احكى عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلى * ولم يبق فى أرض المكارم معلما
تضيق على الارض حتى كأنما * خلقت واياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لى الاسى * دموعا بها أبكى عليك ولا دما
وانى على رسمى مقيم فان امت * ساجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو مأتما
وسار بك الاصباح وجدا فما اهتدى * وغارت نجوم البحر غيضا تاطما
وما حل بدر التم بعدك دارة * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * بشم وان امطوك اشأم أدهما

وكان قد افتكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها

قيود لذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم أرحما
عجبت لان لان الحديد وان قسوا * لقد كان منهم بالسريرة أعلما
سينجيك من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح ابن مريما

ولابى بكر الدانى المذكور فى البكاء على أيامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هى قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه فى هيئة تصنيف سماه السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات * ذو وفادات لم يحل فى سهمها من افادات وقال فى احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودى على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة أوطانه وكثرة صقالبته وحبشانه وعظم أمره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم فى الادب حصه والقضية المعتمد فى صدورهم غصه منهم البالغ فى البلاغة الامد شاعره أبو بحر عبد الصمد وكان به خصيصا وكم ألبسه من برد حله وقميصا فقال من قصيدة طويلة أجاد فيها ماشا وجلب بها الى أنفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كل من حضر وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم عيد فسبحان المبدئ المعيد * ويحكى ان رجلا رأى فى منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كان رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس وأنشد هذه الابيات متمثلا

رب ركب قد أناخوا عيسهم * فى ذرى مجدهم حين بسق

فقال ما قصرت في مطابقة كل لفظة بضدها الا أن فيه نقدا خفيا فتفكروا فيه فما فكروا فقالوا له ما وقفنا على شئ فقال الليل لا يطابق الا بالنهار ولا يطابق بالصبح لان الليل كلي والصبح جزئي فتعجب الحاضرون وأثنوا على تدقيق انتقاده قال الصفدي قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبي الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لي فهذا محب يزور أحبابه في سواد الليل خوفا ممن يشي به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة والصبح أول ما يغري به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الخائف يتمادى الى أن يتوضح النهار ويملأ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يختلج في صدري ضعف ما قال الصفدي حتى وقفت على ما كتبه البدر البشتكي ومن خطه نقلت ما صورته هو ما انتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال في بدائع البداءه جلس المعتمد للشرب وذلك في وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه جارية تسقيه وهي تقابل وجهها بنجم الكاس في راحة كالثريا فتخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوط الذهب يسوق به ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

روّعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسي وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندي أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان في قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل يدعى * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجري من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديهاما

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعيني كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا

كأنما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * في جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا

وانبوب ماء بين نارين ضمنا * هوى لكؤس الراح تحت الغياهب

وبين يديه الخ هكذا في الاصل والذي رأيته في البدائع ما نصه وبين يديه ساقية تخجل الزهر بطيب العرف والريا وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس في راحة الثريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوط الذهب ليسوق به ركاب ركامه الخ اه

وفي نفسه العليـاء لي متبوأ * يساجلني فيه السماكان والنسر

ومنها

لئن الخيران الرزء كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أسخنها البكا * وقرت قلوب كان زلزلها الذعر

ومنها

ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاقها الغبر
فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر
ومن قبل ما قدمت مثنى نوافل * يلاقي بها من صام من غيره فطر
ورحت الى القصر الذي غض طرفه * بعيد التسامي أن غدا غيره القصر
وأجل عن الثاوي العزاء فان ثوى * فانك لا الواني ولا الضرع الغمر
وما أعطت السبعون قبل أولي الحجا * من اللب ما أعطاك عشرونك والعمر
ألست الذي ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا تهض الدنيا جناحك بعده * فمنك لمن هاضت نوائبها جبر
ولا زلت موفور العديد بقرة * لعينك مشدود دا بها ذلك الأزر
فانك شمس في سماء رياسة * تطلع منها حولها أنجم زهر
شكاك فلم تثبت لايام دهرنا * بها وسن أم هز أعطافها سكر
وما ان تغشتها مغازلة الكرا * وما ان تمشت في معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا مملك * يصدق في عليائها الخبر الخبر
أرى الدهر ان يبطش فأنت يمينه * وان تضحك الدنيا فأنت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هنالك الايادي الشفع والسودد الوتر
هنالك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللها والبأس والنظم والنثر
همام اذا لاقى المناجز رده * واقباله شطر وادباره شطر
محاسن ما للروض سامره الندى * رواء اذا نصت حلاها ولا نشر
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها * حياء ولم يفخر بعنبره الشحر
عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر
قد استوفت النعماء فيك تمامها * علينا فمنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتضد رحمهما الله تعالى يشوقه الى تعاطي الحميا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا

فز بالنجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتنجز الآمالا
وليهنك التأييد والظفر الذي * صدقاك في السمة العلية فالا
يا أيها الملك الذي لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا نسبة * وافادة وانافة وجمالا
قد شاقها الاغباب حتى انها * لو تستطيع سرت اليك خيالا

ياابن الذى سرب الهدى آمن * منذ ابرى بحميه محبور
وآمن الدهر الذى لم يزل * يصغى اليه منه مأمور
أأبس منك الدهر أسنى الحلى * بظافر معناه منصور
قام وفى المأثور يامن له * بجدمع الايام مأثور
عدلك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره معما * فاليسر أن يقبل معسور
انّ خلال الحصران صغته * فى صحف الانس مسطور
نظم زمانى به اذ جاءنى * على عظيم القدر مذخور
لاغروان أمتن اذلاحظت * فكرى منه أعين حور
نمّ عن معناه ألفاظه * كما وشى بالراح بلور
هيهات اذ عارضته غيرأن * لابدّ أن ينفث مصدور
ياآل عباد موالاتكم * ذالك من الاعمال مبرور
انّ الذى يرجو موازاتكم * من المساوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور
لازلتم فى غبطة ما انجلى * عن فلق الاصباح ديجور
ولايزل يجرى بما شئتم * أعماركم لله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن فك معمى كتب به اليه ابن زيدون ما صورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه
فليجل شخصك عنها * ما بالمغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبى الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية (رجع الى بنى عباد) قال ابن حمديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعانى وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فحين تأملتهما قال لى أجز

انظر هما فى الظلام قد نجما * فقلت * كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال

يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال

فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لى بجائزة وألزمنى الخدمة * ومن ذكر ابن حمديس فما أحسن قوله

أرى الذى ركبت فى الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندى * أمور ألجأتك الى ركوبه

قوله قام وفى المأثور الخ هكذا فى الاصل ولعله محرف والاصل فعاد فى المأثور أو نحو ذلك وليحرر اه مصححه

ولغيره

إن ابن آدم طين • والقبر ما يدنيه
لولا الذي فيه لي • ما سار عندي ركوبه

وقال ابن حمديس في هذا المعنى

لا أركب البحر أخشى • علي منه المعاطب
طين أنا وهو ماء • والطين في الماء ذائب

(رجع إلى بني عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرني الحكيم النديم المطرب أبو بكر الأندلسي قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكأس وتمكن الأنس وغنيت أصواتاً بأدب الطرب ابن عمار كل مذهب فارتجل مخاطباً الرشيد

ما ضر أن قيل إسحاق وموصله • ها أنت أنت وذي حمص وإسحاق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به • وإن تشابه أخلاق وأعراق
لله درك دارِكها مشعشعة • واشرب وناول فقد طابت لنا الحال

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجباء وله أخبار في الكرم يعجز الناظر فيها عن أمرها عجبا وكذلك إخوته وقد ألممنا في هذا الكتاب بجملة من مقاصدهم وأمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هي التي رجعنا في هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بني عباد فلنعد إلى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد في بعض مصنفاته كان المعتمد كثيراً ما يأنس بها ويستطرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وإنما كانت مليحة الوجه حسنة الحديث حلوة النادرة كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية وكانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهي أبدع منها ملحاً وأحسن افتناناً وأجل منصباً وكان أبوها خليفة بقرطبة ولقبه بالمستكفي بالله وأخبار أبي الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصاً ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها ولا يوم الطين وذلك أنها رأت الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي في الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالأيدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاضبها في بعض الأيام فأقسمت أنها لم تر منه خيراً قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية إلى هذه القصة حيث قال في بناته

يطأن في الطين والأقدام حافية • كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا

ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب في قصورهم حتى يطؤوا فيه بحيث يزاد في التنعم ونسب قول المعتمد للماجكا النجم قال وأول عقد أخذ نعي المعتمد بأغمات وهو سارح وقاعد السجود له مارح ولا يرى الإمالة الدول

واستطالة الخمول فدخل اليه من يسليه ويسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التساؤل ويدين الخشوع بعد التخايل والصياح قد غير صورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافيه وآثار نعيمهن عافيه فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد الا تشكي الجدب ظاهرة * وليس الا مع الانفاس ممطورا
افطرت في العيد لاعادت مساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى * وقال الفتح أيضا ولما نقل المعتمد من بلاده واعرى من طارفه وتلاده وحمل في السفين وأحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي اسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لايخلو بمؤانس ولا يرى الاعرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك في اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لاغمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته * والنهر والتاج كل ذله بادي
ماء السماء على افيائه درر * يالجة البحر دومي ذات ازباد

وفي ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجني النعيم وفي علياتها فلكا
في أمره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان في بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهي من أجمل المواضع لديه وابهاها وأحبها اليه واشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله في العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزري بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لابي حمدان ولا لسيف ابن ذي يزن في رأس غمدان وكان كثيرا مايديربه راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان اليه بعدوانه وسد عليه أبواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بأرض المغربين أسير * سيبكي عليه منبر وسرير

الاستهام فرماه أحد الداخلين برمح فأخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه وأغربت شمسه ولقي ثانيا فضربه وقسمه وخاض حشى ذلك الداء وحسمه فانجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبني منه ما هدّ ثم انصرف وقد أراح نفسه وشفاها وأبعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفي ذلك يقول عندما خلع وأودع من المكروه ما أودع

إن يسلب القوم العدا * ملكي وتسلمني الجموع

فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع

قد رمت يوم نزالهم * ألا تحصنني الدروع

وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيء دفوع

أجلي تأخر لم يكن * بهواه ذلي والخضوع

ما سرت قط إلى القتا * ل وكان من أملي الرجوع

شيم الأولى أنا منهم * والأصل تتبعه الفروع

ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما بعد ثلاث ورقات * ومن حكايات مجالس أنسه أيام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر في سلكه ما حكاه الفتح عن ذخر الدولة أنه دخل عليه في دار المزينية والزهر يحسد إشراق مجالسه والدر يحكي اتساق تأسيسه وقد رددت الطير شدوها وجودت طربها ولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والأزهار تحيي بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتصغي بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثني القضيب ويحمل الكأس في راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا وشاحه وأنار فكأن الصبح من محياه كان اتضاحه فلما ناوله الكأس خامرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

لله ساق مهفهف غنج * قد قام يسقي فجاء بالعجب

أهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذو الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للأمن إلى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وأزال توجسه وقال له خرجت من إشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكفكفت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس إخالها لا يحول قلبها ولا خلخالها وقد قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات

بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجري الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت

لما أرادتها فى غسـرية * جعل المظل فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليـه لواء
وحكيته فى الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هـذه فى مزهر * لم تال تلك عـلى التريك غناء

وأخبرنى ابن اقبال الدولة انه كان عنده فى يوم قد نشر من غيمه رداء ند واسـكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قوسه حنايا قوس آس حفت نرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبى محمد المصرى

أيها الصاحب الذى فارقت عيـنى ونفسى منه السنا والسناء
نحن فى المجلس الذى يهب الرا * حة والمسمع الغنى والغناء
نتعاطى التى تنسى من الرقة واللـذة الهـوى والهواء
فأته تلف راحـة وحميا * قد أعدتك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه وقد اتلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور وطرادها واعطته الامانى انطباعها وانقيادها واهدت الدنيا اليوم مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس فى ثبير وعندما تناولها قام المصرى ينشد أبياتا غناها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * بشاد مهر ودع غمدان لليمن
فانت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه واسرف فى تانسه وأمر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى اجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ له بالمواهب يدا * وله فى غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلى الابطال قارعا وفى الدماء والغا ولسبتبع كؤس المنايا سائغا وهو طى قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومشكاة الصباح قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شكتها أحداقه فقال

ابصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطـرفى انه فـلك
أو ليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنـير نوره الحلك

وقال فيه

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمع بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وما ذاك الا لما علمنا أن نفوس

فاوصل شعرها الا بيها وهو باعمات واقع في شرك الكروب والازمات سر بذلك وأيهما بحياتها ورآيا أن ذلك للنفس من أحسن امنياتها اذ علما مآل أمرها وجبر كسرها اذ ذاك الأنف المضروب وان كان الكرب قد ستر القلب منه بحجاب رين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور وكتب اليها أثناء كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور

بنيتي كوني به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول * (ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادي الحجارة ذكرها في المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها * وحسن فما احلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو بشره * عيونا ويعشيها بافراط هيبته

ولها أيضا

لي حبيب لا ينثني لعتاب * واذا ما تركته زاد تيها
قال لي هل رأيت لي من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لي شبيها

ولها تذم عبيدها

يا رب اني من عبيدي على * جمر الغضا ما فيهم من نجيب
اما جهول ابله متعب * أو فطن من كيده لا يجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

يا وحشتي لاحبتي * يا وحشة متماديه
يا ليلة ودعتهم * يا ليلة هي ماهيه

* (ومنهن) زينب المرية كانت أديبة شاعرة وهي القائلة

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنبئك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه واني في مسرته * وودّه آخر الايام أجتهد

* (ومنهن) غاية المنى وهي جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فاراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي اسألوا غاية المنى فقالت من كسا جسمي الضنا وأراني مولها * سيقول الهوى انا هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حاكيا عن القاضي أبي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاد ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزي

وهى أبيات لم يحلها عن لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المورخين من أهل بلادنا وهى الاندلس أثبتوها وقيل أن يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلمظة الموجود انتهى * وهو أبو جعفر الاندلسى الغرناطى نزيل حلب وحكى ابن العديم فى تاريخ حلب ما نصه وبلغنى أن المنازى عمل هذه الابيات ليعرضها على أبى العلاء المعرى فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازى كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله نزلنا دوحه فحنا علينا قال أبو العلاء * حنو الوالدات على الفطيم * فقال المنازى انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى * وهذا يدل على ان الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم * وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعانى العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادى آشى وأختها حمدة وحمدة هذه هى القائلة وقد خرجت الى نهر مع نسوة فرأت بين الرياض مع نسائم اسبحن فى الماء وتلاعب (أباح الدمع أسرارى بوادى) الابيات انتهى * (ومنهن) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان فى المقتبس لم يكن فى زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة * وقال فى المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز * ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبى عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أراك الله فيـــه ما تريد * ولا برحت معاليه تزيد

فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد

تشوقت الجياد له وهز الـسحسام هوى وأشرقت البنود

وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود

فسوف تراه بدرا فى سماء * من العليا كواكبه الجنود

فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود

وليدكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكننى لا ارتضى * نفسى مناخا طول دهرى من أحد

ولو انى أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعى عن أسد

* (ومنهن) مريم بنت أبى يعقوب الانصارى سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية فى المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الاربعمائة وذكرها الحميدى وأنشد لها جوابها لما بعث المهدى اليها بدنانير وكتب اليها

مالى بشكر الذى أوليت من قبل * لو اننى حزت نطق اللسن فى الحلل

قوله نزلنا الذى سبق حللنا اه

يا فذة الظرف في هذا الزمان ويا * وحيدة العصر في الإخلاص في العمل
أشبهت مريم العذراء في ورع * وفقت خنساء في الأشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك في قول وفي عمل * وقد بدرت إلى فضل ولم تسل
مالي بشكر الذي نظمت في عنقي * من اللآلي وما أوليت من قبل
حليتني بحلى أصبحت زاهية * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التي سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والأسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى إلى العصا * وتمشي بها مشي الأسير المكبل

* (ومنهن) أسماء العامرية من أهل إشبيلية كتبت إلى عبد المؤمن بن علي رسالة تمت فيها إلى نسبها العامري وتسأله في رفع الإنزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
إذا كان الحديث عن المعالي * رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

* (ومنهن) أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية قال ابن عبد الملك كانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولها تأليف في القبور ولما ولي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجدا لمفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هي

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور علي حتى إنه * من عظم فرط مسرتي أبكاني

وبعده البيت وبعده

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه * ودعي الدموع لليلة الهجران

* (ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجمل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها وبين ولادة ما اقتضى أن قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه * نخلة هذي ذكر قائم

قال

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومي هذا لاقرلها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمي عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا متحفا بالخوخ أحبابه * أهلا به من مثلج للصدور
حكى ثدي العيد تفليكه * لكنه أخزى رؤس الايور

*(ومنهن) هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن ينق يدعوها للحضور عنده بعودها

يا هند هل لك في زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر رقعته

يا سيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول
حسبي من الاسراع نحوك أنني * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهن) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكي العيون الآبيه * ولقد أرى ان الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذي يرجى به * ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه * يا راعيا ان الرعية فانيه
أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة * فأعادها الطاغون نارا حاميه
حافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فقال انها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية ووقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة * وحكي ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها في الورى ماضيه
فياليته لم يكن قاضيا * ويا ليتها كانت القاضيه

فأطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولني القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدري * له شيوب عاصيه
كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصيه

وسمعت بعض أشياخنا يحكي القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذي كتب يداعب زوج المرأة فكتبت اليه

قوله شيوب هكذا في الاصل ولعله محرف عن شؤن أو غير ذلك مما يلائم ويحرر اهـ مصححه

وحكى عنه فيما أطنّ أعنى ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأطمعته فى نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صاغها وقالت له يامعلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذى قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذى تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جيئينى بمثال فانى لم أر هذا ولا سمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صوّر لى صورة الشيطان فقال لها ائتينى بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فخجل ولعنها * وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل يا حسنها جنة * لا يدخل الحزن على بابها

فقلت والحق له صولة * أحسن منها مجد أربابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وتدبيق مع الجود القليل

ومن غرست يداه ثمار جود * ففى ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكى انها كانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكتندى فقال يخاطب المخزومى (لو كنت تبصر من تجالسه) فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون لغدوت أخرس من خلاخله

البدر يطلع من ازرّته * والغصن يمرح فى غلائله

وكانت ناجية ومن شعرها قولها

لله درّ الليالى ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد

لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد

أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر * بل ريم خازمة فى ساعدى أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أمّا قوامها * فلدن وأمّا ردفها فرداح

ألمّت فبات الليل من قصر بها * يطير ولا غير السرور جناح

فبت وقد زارت بانعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح

على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدىّ وشاح

وابن الزقاق هذا له فى النظم والغوص على المعانى الباع المديد ومن نظامه قوله

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه المديح

نسيمه يحيى وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ

يعاف الورد ان طمثت حشاه * وفى مال اليتيم له ولوع

وقوله

كتبت ولو انى أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر

قددت اليراعة من أنملى * وكان المداد سواد البصر

واقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوى الاقدار فنقول قال الخفاجى رحمه الله تعالى

وحائمة فى البان تملى غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ويشجى قلوب العاشقين أنينها * وما فهموا مما تعنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقى عيناى بدر مسكارم * توذ الثريا انها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يامن تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم تطولك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله أيضا

لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا

هبت الريح بالعشى فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

وله

وسنان مال بزال عارضه * بعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحزنى * ان مرّ فى عمق واسلامى
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

وارتجل أبو جعفر بن شاتمة رحمه الله تعالى لما بات فى قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش * كاد الهوى فيها اذ كان الى يشى
وسنا اليها والبطاح كأنها * صحف مذهبة بإبريز العشى

الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودّت جوارحه لو انها مقل

ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع فالالفات على قدر واحد والّلامات كذلك والكافات والواوات وغيرها بهذه السمة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمي بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرستمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا في آخره ما صورته كتبته بقلم واحد وقط ما قط الامرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى

أذهبن من فرق الفراق نفوسا * ونثرن من درّ الدموع نفيسا

فتبعتها نظر الشجيّ تحدّقت * رقباؤها تحوي عيونا شوسا

وحللن عقد الصبر اذ ودّعنني * فحللن أفلاك الخدور شموسا

حلته اذ حلته حتى خلته * عرشا لها وحسبتها بلقيسا

فازورّ جانبها وكان جوابها * لوكنت تهوانا صحبت العيسا

وهي طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروي الاعلى منوال هذه وان كان الحافظ التنسي قال انه نسجها على منوال قصيدة أبي تمام حسبما ذكرناه في محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضي بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

ألزمت نفسي خمولا * عن رتبة الاعلام

لا يخسف البدر الا * ظهوره في تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال

فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شاهدا العلام طرزه عذار

أتاني كتابك مستشفعا * بوجه أبي الحسن من رده

ومن قبل فضي ختم الكتاب * قرأت الشفاعة في خده

وقال القاضي الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الوقشي قاضي طليطلة

برح بي أن علوم الورى * قسمان ما ان فيهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لا تحسب الناس سواء متى * ما اشتبهوا فالناس أطوار

وانظر الى الاحجار في بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنها هم * من خشن الطبع ومن لين

مرو تشكى الرجل منه الوجا * واثمد يجعل في الاعين

قوله عظيمة في نسخة عظيم اه

قوله مرو الخ في نسخة (جلمد تدمى به أرجل) اه

انتهى * وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن الحسن المذحجي الاندلسي بن الكتاني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف حمل عنه ابن حزم ومن شعره

الا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل * وبانت ليالي البين واجتمع الشمل
سعدي نديمي والمدامة ريقها * ووجنتها روضي وتقبيلها النقل

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب يجمع القبائل كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل ها كها * جاءت على نسق لها متتابعه
فخزيمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفصائل شائعه
وقريشها تسمى العمارة يافتى * وقصي بطن للاعادي قامعه
ذا هاشم فخذ وذا عباسها * أثر الفصيلة لا تناط بسابعه

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس سالني فيها الغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد البكاري الجياني على القاضي ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة

قام لي السيد الهمام * قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي * فقلما يؤكل القيام

وقال أبو عبد الرحمن بن غياث الملنسي

لئن كان الزمان أراد حطي * وحاربني بانياب وظفر
كفاني أن تصافيني المعالي * وان عاديتني يا أم دفر
فما اعتز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

الا انما سيف الفتى صنو نفسه * فنافس بأوفى ذمة واخاء
يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالي شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسي صبرا لا يروعك حادث * بارتاجه واستشعري عاجل الفرج
قريب اشتداد في المطلوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن واضح البلج

وقال أيضا

متى يدنو لوعدكم انجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز
أيجمل أن يؤملكم رجائي * فيوقف لا يرد ولا يجاز
وجدكم كفيل بالاماني * ومطلوبي قريب مستجاز
اذا ما امكنت فرص المساعي * فعجز أن يطاولها انتهاز
وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للمهند الاهتزاز

قوله لغرابتها في نسخة لعزتها اه

جمع الى لا يستوجب وان القراءة قد تحملت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ علم ولكن المقرو عليه عدم ولقد شكرت لهذا المرى ما جلب وكتبت مسعاله بما طاب وقرت الى درة هذا المختلب قلت وحلى عطل ونطق عطل مكره أمثال الابطال والله سبحانه وتعالى ينفع بما الخاص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج عند الانتقاد كتبه العبد المذنب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمى حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه الكريم المصافى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما * وكتب أيضا رحمه الله تعالى فى جواب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التخيير ولكن شروط الاجازة موجودة فى المجاز معدومة فى المجيز والله تعالى يعصم بكرمه ومنه ويشكر كل فاضل على تحصيل طلبه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم ويمتعهم بالكمال الرائق المعجب ويقر بالحسين عين المنجب كتبه ابن حبيش انتهى * وقال الوزير الكاتب أبو بكر ابن القطرنة يستجدى بازيا من المنصور بن الافطس صاحب بطليوس

يا أيها الملك الذى آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنق خلت يدى كذا الاجدل
وامنن به صافى الجناح كأنما * جذبت قوادمه ريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليمانى المحمل
أغدو به عجبا أصرفه فى يدى * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما باكورة نرجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكى * وآن من يومنا العشى
ونحن فى مجلس أنيق * وقد ظمئنا وهو سرى
ولى خليل غدا سميى * يا ليته ساعد السمى

فأجابه ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عند قنى * قبلته وجهك السنى
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبى

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا الشمس
فان كان هذا منكما عن توافق * فحكما انس فبينكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلى قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا تحضرنى الشمس
واهدى بأكواس المدام كواكبا * اذا ابصرتها العين هشت لها النفس
ملام سلام أنتما الانس كله * وان عقا أم الربيع هى الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا فوضع هو فيه مقدودا فبعث اليهم به

قوله تحصيل طلبه هكذا فى الاصل ولعل الاوفق تحصين تأمل اه مصححه

و بادر بأعمال تسر لك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فلم تبق في لذة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فوا حسرتى * لما فات منه وما ضيعا
وياويلتاه لذي شيبة * يطيع هوى النفس مستبدعا
ويعد لوعظ له اذ غدا * يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطي رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان
ياعامر الدنيا ليسكنها وما * هي بالتي يبقى بها سكان
تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ و يرحل الركبان
أأسر في الدنيا بكل زيادة * وزيادتي فيها هي النقصان

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وذي غنى أوهمته همته * ان الغنى عنه غير منفصل
يجر أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء في الحلل
بزته أيدى الخطوب بزته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل
فلا تثق بالغنى فآفته الـ * ـفقر وصرف الزمان ذو دول
كفى بنيل الكفاف عنه غنى * فكن به فيه غير محتفل

وقال رحمه الله تعالى

لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا لجمع المال
لاخير في كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسأل عنه أي سؤال

وقال رحمه الله تعالى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استقام ولا انتهى
قال متى ألهو وأخدع بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها
ما حسنه الا التقى لا أن يرى * صبا بالحاظ الجآذر والمها
أنى يقاتل وهو مغلول الشبا * كالبى الجواد اذا استقل تأوها
محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهي أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
ان آن آوّاه وأجهش بالبكا * لذنوبه ضحك الجهول وقهقها

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لا بد لله من انجاز ما وعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي

يا واقف الباب في رزق يؤمله * لا تقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لا تيأسن فان الله مانحه

وقال الاعمى التطيلي

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذي همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر في الثرى أحدا
ما لابن آدم لا تفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات في منابتها * وانما يقع التفضيل في الثمر

وقال القاضي أبو العباس بن الغمار البلنسي

من كان يعلم لا محالة انه * لا بد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضي من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر بأعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

قوله هو الموت الخ قد تقدمت هذه الابيات قريبا ولذا أسقط في نسخة من الاصل ما عدا البيت الاول وأحال على ذكرها فيما سبق غير أن البيت الثالث منها فيه تغيير يعلم بمراجعته فيما سبق اه مصححه

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودي الشهير بابن نغزلة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيري قصيدته النونية المشهورة التي منها في اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذي مقة مشفق * صحيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتخوا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهي قصيدة طويلة فثارت اذ ذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فأراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذي نور الحق على كلامه باد * وقال أبو الطاهر الجياني المشهور بابن أبي ركب بفتح الراء وسكون الكاف

من أدب ابناه صغيرا * قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدو * يحسد نعماءه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبي

بيد الاله مفاتح الرزق الذى * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذى فقر يكلف مثله * فى الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما بيد المخلوق فى الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يا من يصيخ الى داعى السفاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى فى ابنة ماتت له

ألا يا موت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حمادا لفعلك المشكور لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكرى الغرناطى فى بعض مجالسه قوله

يا غاديا فى غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا فى غد * صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

وممن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفى ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى رحمه الله تعالى

الهى مضت للعمر سبعون حجة * ولى حركات بعدها وسكون
فياليت شعرى أين أو كيف أو متى * يكون الذى لابد أن سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته فى غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما بالتعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلى رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف فى فحمة الدجا * نداء غريق فى الذنوب عريق
رجاك ضميرى كى تخاص جملتى * وكم من فريق شافع لفريق

وحكى ابن نصر الله أنه كتب إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة مقصاة إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية وإن قرئت في الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الأبيات

لئن صدني البحر عن موطني * وعيشي بأسوارها زاهر

فقد وعد الله في مكة * بأنوار كعبته الزاهر

وعرف لي بالتي بعدها * وبالملك الكامل القاهر

فقال الملك الكامل فيه

وطيب لي بالتي طيبة * وبالملك الكامل الماهر

وأظن أن المغربي أندلسي لقوله لئن صدني البحر عن موطني فلذلك أدخلته في أخبار الأندلسيين على غير تحقق في ذلك والله أعلم • وأنشد أبو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمري الحافظ

تذكرت من يبكي علي مداوما * فلم ألف إلا العلم بالدين والخبر

علوم كتاب الله والسنن التي * أتت عن رسول الله مع صحة الأثر

وعلم الألى من ناقديه وفهم ما * له اختلفوا في العلم بالرأي والنظر

وأنشد له أيضا

مقالة ذي نصح وذات فوائد * إذا من ذوي الألباب كان استماعها

عليكم بآثار النبي فإنه * من افضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الأزدي اليابري وسكن قرطبة

عتبت على قلبي صغيرا وعندما * رمتني الليالي بالمشيب وبالكبر

أطاع الهوى عكس القضية ليتني * خلقت كبيرا وانتقلت إلى الصغر

وقيل إن ابنه أبا الحسن علي بن عبد الملك قال بأثره دالا على معنى ذلك وهو

فيا ليته إذ لم يكن كأسه الذي * أطاع الهوى في حالتيه وما اعتبر

وقيل إن هذا البيت رابع أربعة أبيات • وقال أبو إسحاق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ في عمره إحدى وثمانين سنة فأنشد لنفسه

أي عيش أو غذاء أو سنة * لابن إحدى وثمانين سنة

قلص الشيب به ظل امرئ * طالما جر صبا رسنه

تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنة

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسي المالقي

الموت حصاد بلا منجل * يسطو على الفاطن والمختلي

لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مستكمل أو من خلي

وقال الشيخ عبد الحق الإشبيلي الأزدي صاحب كتاب العاقبة والأحكام وغيرهما

إن في الموت والمعاد لشغلا * وادكارا لذي النهى وبلاغا

فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخي والفراغا

قوله وانتقلت في نسخة ثم عدت اه

قوله ابن محمد في نسخة ابن موسى اه

قوله مستكمل يلزم قراءته بصورة يستقيم الوزن كما لا يخفى اه مصححه

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني من أهل جليانة من عمل وادي آش

الا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق الفه * وقل فتى ينجي من الغمرات

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول في البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين في الارض وله تآليف منها جامع انماط الوسائل في القريض والخطب والرسائل وأكثر نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعي الطرطوشي

وما الناس الا كالصحائف عبرة * وألسنهم الا كمثل التراجم
اذا اشتجر الخصمان في حلبة التقى * فقوله في ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن الملمى

من كان للدهر خدنا في تصرفه * أبدت له صفحة الدهر الاعاجيبا
من كان خلوا من الآداب سربله * من الليالي على الايام تأديبا

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرح من أهل مبرتلة مدينة بقرب الاندلس يمدح شهاب الدين القضاعي

شهب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أفلت توارى النور
فارع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تيسير
تشفى حواهر القلوب من العمى * واذا انشرحت بهن صدور
فاذا أتى فيه حديث محمد * خذ في الصلاة عليه يا مغرور
وترحم على القضاعي الذي * وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي

ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو انه در وياقوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتي لـ * ك والصحة والامن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوي من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها وأخبر شيخنا القصار أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي مفتي مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدي فرح الشريف الخطخاطي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول من أصبح آمنا في سربه الحديث *(رجع)* وقال الاستاذ العارف بالله سيدي أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسي دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ما هو فاعله * ولا تنكر الاسماع ما هو قائله

وكان أبو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد رحمهم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضي أبو الوليد هشام بن محمد القيسي الشلبي المعروف بابن الظلافة وعظ القاضي أبا محمد عبد الله بن شعرين ما يحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقال

لا تنظرن الى ذي رونق أبدا * واحذر عقوبة ما يأتي به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة قادها يوماله القدر

نا سباقي في المعنى الذي اتبعته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هنا التكثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدرى انك الخطاء حقا * وانك بالذي تأتي رهين
وتعتاب الأُلى عملوا وقالوا * وذلك الظن والافك المبين

قال في الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصاري الحارثي كان فقيها جليلا أصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا في العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبي حامد الغزالي وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الامراء والمحافل الجمهورية مقدما في ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ولي قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من أهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ أكثر من ستين تأليفا بين كبار وصغار وكمل له على أبي محمد بن عبد الله بن قراءة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان وأكثر عن ابن حبيش وابن الفخار والسهيلي وغيرهم ومولده في محرم سنة ٥٤٩ ومات بغرناطة مصر يوم الخميس ثاني ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها تابوته الذي ألحد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى وبعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا وألممت بما ذكر على وجه التبرك بذكره رحمه الله تعالى ورضي عنه * وقال أبو المتوكل الهيثم بن أحمد السكوني الاشبيلي

يجني الفقير ويغشى الناس قاطبة * باب الغني كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يرون حيث مصابيح الدنانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشدني بعض أصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت)

قوله سنة ٥٤٩ في نسخة سنة ٥٤٨ اه

قوله سنة ٧٤٩ في نسخة سنة ٤٤٩ اه

منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفى المذكور بالقاهرة فى الطاعون العام سنة ٧٤٩ * وقال أبو عبد الله الجيدى

الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض وأهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه * فلا شهود له الا الالى ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عند فنائه * أرج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال أيضا

دين الفقيه حديث يستضيء به * عند الحجاج والا كان فى الظلم
ان ناه ذو مذهب فى قعر مشكلة * لاح الحديث له فى الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالى بما ارتكب الى أصحاب الحديث بقوله

أرى الخير فى الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن شيطان الحديث مريد
ولابن معين فى الرجال مقالة * سيسأل عنها والمليك شهيد
فان يك حقا قوله فهى غيبة * وان يك زورا فالقصاص شديد

أجابه الامام أبو عبد الله الجيدى بقصيدة طويلة منها

وانى الى ابطال قولك قاصد * ولى من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد
وأقبح شئ أن جعلت لما أتى * عن الله شيطانا وذا التشديد
ومازلت فى ذكر الزيادة معجبا * بما تبتدئ التلبيس ثم تعيد
كلام رسول الله وحى ومن يرم * زيادة شئ فهو فيه عنيد

ومنها فى ابن معين

وما هو الا واحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود
فان صدق عن حكما شهادة جاهل * فان كتاب الله فيه عتيد
ولولا رواة الدين ضاع وأصبحت * معالمه فى الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا فى جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام كؤد
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق الاعناد وحقود
وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم رووا لا يستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود

وإن رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمرهفات مكايد

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهري البلنسي والتزم الراء في كل كلمة

استكثر ذنبك واستغفر * في إثر عسر الأمر يسرا

واصبر لربك واذكر * في سر سر الصبر أجرا

بادر بنشر بالورى * والستر بالأسرار أحرى

والوتر أظهر سرا * والفقر بالأشعار زرى

وقال أيضا

اسمع فما أوسع سبل الهدى * وإذا هديت سبيله فتبصر

واعلم بأن الرزق مقسوم فلا * ترم ازديادا دون لم يقدر

والله أرحم بالعباد فلا تسل * غير الغني عن الكرام وتؤجر

وإذا عطفت لضر بالمدمر * ورأيت يسأل قد غدت فاستبصر

وانظر إلى من كان دونك تذكر * لعظيم نعمته عليك تشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم الأندلسي والدي أحمد بن سعيد بن حزم

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة إلا رضيت بدونها

وقال القاضي أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل

فقلت لهم هبني كما قد زعمتم * تجاوزت في قولي وأسرفت في فعلي

أما في رضى مولى الموالي وصفحه * رجاء وفضلا لمسرف مثلي

وأنشد رحمه الله تعالى لنفسه في اليوم الذي مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشورا سنة ٦٩٣

أدعوك يا رب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا

داركْ بعفوك عبدا لم يزل أبدا * في كل حال من الأحوال يرجوكا

طالت حياتي ولما أتخذ عملا * إلا محبة أقوام أحبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال إنها مكتوبة على قبر

أإخواننا والموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ في الخلائق

سبقتم إلى الموت والعمر طية * وأعلم أن الكل لا بد لاحق

بعيشكم أو باضطجاعي في الثرى * ألم نك في صفو من العيش رائق

فمن مر بي فليمض بي مترحما * ولا يك منسيا وفاء الأصادق

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي وولد سنة ٦١٤

قوله صالح في نسخة صادق اه

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس إلى قرب الحبيب سبيل

حنينا إلى الملقى أسير سنين * فما الصبر عن ذا الحال جميل

متى يشتفي قلبي بلثم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل

دلالة عليه في أوائل أسطري * فذاك نبي مصطفى ورسول

وقال

وقال أيمن بن محمد الغرناطي نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى بحرات قد احاطت عراصها * ببحر محيط حصره غير ممكن
بحار المعاني والمعالي وان طمت * لدى لجه تفنى وعن هوله تني
محمد المجد في كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبي اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت * ضياه قالت ان ذا طالع سني

وله

أكل القلوب مطيعة لك في الهوى * جانب فديتك من تشا أو والى
الحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالي

وقال أيضا

الا أيها الباكي على ما يفوته * من الحظ في الدنيا جهلت وما تدري
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكي الى آخر العمر
ستدري اذا قمنا وقد رفع اللوا * وأحمد هاد بنا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط في يوم حشره * أجار النبي المصطفى أم أخو الوفر

وله

فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فرار محب لائذ بحبيب
لجأت الى هذا الجناب وانما * لجأت الى سامي العماد رحيب
وناديت مولاي الذي عنده الغنى * مداء عليل في الزمان غريب
أمولاي اني قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبي يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ جزل ونصيب
تناومت في اظلال ليل شبيبتي * فأدركني بالفجر صبح مشيبي

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لولم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناهيك يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طليرة

رأيت الانقباض أجل شئ * وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فرؤيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشئ غير شئ * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاوز بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادي
قلت لا تجزعوا علي فاني * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

أي عذر يكون لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو ماء لم تبق منه الليالي * في اناء الحياة الا صبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضى البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل ما به يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الداني ويعرف بعدون

وعجل شيبي ان ذا الفضل مبتلى * بدهر غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى واللئيم مولا
متى ينعم المعتر عينا اذا اعتنى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبد الله الاموي مولاهم الاندلسي

اذا كان اصلاحي لجسمي واجبا * فاصلاح نفسي لامحالة أوجب
وان كان ما يفنى الى النفس معجبا * فان الذي يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري رحمه الله تعالى

لله كياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر * وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم في فلك النهى * وجرى بها الاخلاص والايمان
فرست بهم لما انتهوا بحفوفهم * مرسى لهم فيه غنى وأمان

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يامن يغيث الورى من بعد ماقنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا
وعدت بالفضل في ورد وفي صدر * بالجود ان أقسطوا والحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يامن تعرف بالمعروف فاعترفت * بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير ببابالجود منكسر * من شأنه أن يوافي حين ينضغط
مهما أتى ليمد الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
يا واسعا ضاق خطو الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا في شكرها شحطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مسرفا قنط
ارحم عبادا بسلك العيش قد نظموا * فانما سقطوا بين الورى لقطوا

رحلت وانى من غير زاد * وما قدمت شيأ للمعاد

ولكنى وثقت بجود ربى * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفى المذكور بأريولة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٥٦١ * وقال ابن جبير اليحصبى وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادى ورمت أنى أتوب

صرفتنى بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب

رب قلب قلبى لعزمة خير * انما فى يديك القلوب

ولنعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ورحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال فى صدر الاحاطة وهذا الغرض الذى وضعناله هذا التأليف بطالبنابه ماقصدنابه من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا اجلاء فى الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المثار بفضله انتهى * واختم هذا الباب بقول أبى زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلنى

قوله سعد فى نسخة سعيد اه

عفوك اللهم عنا * خير شئ يتمنى

رب انا قد جهلنا * فى الذى قد كان منا

وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا

ان يكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

وذيلته بقولى

فاتلنا الختم بالحسنى وانعاما ومنا آمين

(الباب الثامن)

فى ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله فى أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأى الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ما هو معروف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام وأقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حولها آمين يا معين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع فل النصارى بالاندلس بعد غلبة العرب لهم علج يقال له بلاى من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان رهينة عن طاعة أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفى الثانى من امراء العرب بالاندلس وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها وهى سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقى الملك فيهم الى الآن وكان عدة من ملك منهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين

قديمة أزلية من بناء العمالقة على صفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة فى غاية المنعة ولها قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسعون ذراعا وهى تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هى دار مملكة الروم وبها كان البيت المغلق الذى كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شئ من هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى فى وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب لا يفتر والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو عقلت قليل

لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الايسيرا حتى قضى نحبه انتهى * وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى * وقال ابن علقمة ان طليطلة أخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التى نشأت فى السنة بعدها انتهى * وقد رأيت أن أذكرها وقعة الزلاقة التى نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللمتونى المغرب وبنى مدينتى مراكش وتلمسان الجديدة واطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة وتمهدت له الاقطار الطويلة المديدة تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ فى انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتنهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه فى أسرع وقت مع ما ظهر لابطال الملثمين ومشايخ صنهاجة فى المعارك من ضربات السيوف التى تقد الفارس والطعنات التى تنظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب فى قلوب المتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيئون الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا ما دلهم على عبوره اليهم وعلوا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم فى أمره وكان مفزعهم فى ذلك الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان أجبنا

قوله ابن بدرون فى نسخة ابن ريدون اه

داعيك نسبا الى عمل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبيهما فاختر لنفسك
أكرم نسبيك فانك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك ذوي
البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان
يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربي لكنه ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب
يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس
يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم
في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من
الاعادي الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من
أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك
وبهجته شاهده الذي لا يرد بانه خليق بما حصل في يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفي
وأن يهب اذا استوهب وكلما وهب جليلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل
ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس
ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لآخرته واعلم أن بعض الملوك
الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك
البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته قال
للكاتب أجب القوم واكتب بما يشاكل هذا واقرأ على كتابك فكتب الكاتب بسم الله
الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم
عليكم وانكم مما في أيديكم من الملك في أوسع اباحة مخصوصون منا باكرم ايثار وسماحة
فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم
والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم
من التحف ودرق اللمط التي لا توجد الا ببلاده وانفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه
فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وأزمعوا ان رأوا
من الفرنج ما يريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانته وكان ملك
الافرنج الادفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وبانت الخلاف وكان كل من سار بلدا يقوى
فيه ملكه وادعى الملك وصاروا مثل ملوك الطوائف طمع فيهم الادفونش بسبب ذلك وأخذ
كثيرا من ثغورهم فقوي شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها
القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون بعد ان حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها
في منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد لعنه الله تعالى ملكه بطليطلة وقوي دونه
وأخذ غير ذلك من البلاد واستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير في الكامل وكان
المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومتملك أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك
يؤدي الضريبة الى الادفونش كل سنة فلما ملك الادفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد
الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة ليفتحها الا أن
يسلم اليه جميع الحصون التي بقيت بيده ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسمائة

فارس فارله المعتمد وفرّق أصحابه على قوّاد عسكره ثم أمر قوّاده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى * وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار في ذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حتى تأخر الوقت الذي كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا وتشطط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وامعن في التجني وسأل في دخول امرأته القمجيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة وهي التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله وامعن في بنائها واغرب في حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر في الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطي فعرض به في الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته في ذلك مشهورة وبناء الزاهرة أيضا من أعظم مباني الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولنرجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما اشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير في ذلك يهوديا كان وزير الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودي في ذلك وأغلظ له في القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فأنزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة واستفتى لما سكن غضبه الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله ان يجعل في عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية ويحاصره في قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك التخوم والجهات ثم يمرّ على لبلة الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه في جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير الطريق التي سلكها الآخر وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا للموعد بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفي ايام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب واشتد علي الحر فأتحفني من قصرك

قوله من أعظم الخ في نسخة من أغرب ما بني في الاسلام اهـ

غريبة أروح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي موقع له ابن عباد بقعة في ظهر
الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح
منك لا تروح عليك إن شاء الله تعالى فلما وصل الأذفونش رسالة ابن عباد وقرئت عليه
وعلم مقتضاها أطرق إطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الأندلس توقيع ابن عباد
وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس
وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الأندلس فلما تحققوا عزم ابن
عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه
عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد فأجابهم ابن عباد بكلمته
السائرة مثلا رعي الجمال خير من رعي الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين
أسيرا يرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للأذفونش أسيرا له يرعى خنازيره في قشتالة
وقال لعذاله ولوامه يا قوم إني من أمري على حالتين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من
إحداهما أما حالة الشك فإني إن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش ففي الممكن أن يفي
لي ويبقى على وفائه ويمكن أن لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فإني إن استندت إلى ابن
تاشفين فأنا أرضي الله وإن استندت إلى الأذفونش أسخطت الله تعالى فإذا كانت حالة
الشك فيها عارضة فلأي شيء أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه
ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب
غرناطة أن يبعث إليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة
أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة بإشبيلية أضاف
إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أنهم رسله إلى يوسف بن تاشفين وأسند إلى
القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد وأسند إلى وزيره ما لا بد
منه في تلك السفارة من إبرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه
وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والإسلام مستنجدين بفقهاء
حضرته ووزراء دولته فيسمع إليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم فما عبرت رسل ابن عباد
البحر إلا ورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم
واتصل ذلك بابن عباد فوجه من إشبيلية أسطولا ضخما صحبته فانتظم في سلك يوسف
ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت إلى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا
حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج إليه أهلها بما عندهم من الأقوات والضيافات
وأقاموا له سوقا جلبوا إليه ما عندهم من سائر المرافق وأذنوا للغزاة في دخول البلد
والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحاب بالمطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا لسان
صاحب الروض المعطار وأما ابن الأثير فإنه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل
المعتمد بالإرسال وقتلهم وتخوف أكابر الأندلس من الأذفونش وأنه اجتمع منهم رؤساء
وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له ألا تنظر ما فيه المسلمون من الصغار والذلة
وإعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد استولى الفرنج على البلاد ولم يبق إلا القليل

وإن

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأيتا رأيا نعرضه عليك قال وما هو قالوا تكتب الى عرب افريقية وتبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا وتخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله فقال انهم ان خشى ان وصلوا الينا أن يحوزوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين واسأله العبور الينا أو اعانتنا بما تيسر من الجند فبيناهم فى ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضى ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده بسبتة وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فأقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له فى القول ويصف ما معه من القوّة والعدد والعدد وبالغ فى ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب فى ظهره الذى يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم أنه بلى برجل لا طاقة له به * وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف فى عبور الجمال رأى مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هى السنة ومن جملة ما فى الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى فى هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انتهى معناه وأكثره بلفظه * ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء ارتحل الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع امرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشبيلية فى مائة فارس ووجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحو القوم وركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا وأظهر كل منهما لصاحبه المودّة والخلوص وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر

لابد من يوم يكون * له أشام القليب

ووافت الجيوش كلها بطليوس فأناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد ابن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل الجهود وجاءهم الخبر بشخوص الاذفونش ولما ازدلف بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عيونه فى محلات الصحراويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لاعلم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصحراويين لايخرج عن طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث الأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتا وطغا وراجعه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم وباتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس وبعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد ابن رميلة القرطبي وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع محققين بتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده ولا أرى ابن عباد يصبر لكم ان قصدتموه الحملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحث نصره فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الامر فقال له قل له انى سأقرب منه ان شاء الله تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش

عليه من كل جهة فأطافوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمي الوطيس واستحر القتل في أصحاب ابن عباد وصبر ابن عباد صبراً لم يعهد لأحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه الصحراويون وساءت الظنون وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت إلى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن في أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة أفراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسي حياض الموت ويضرب يميناً وشمالاً وتذكر في تلك الحالة ابناً له صغيراً كان مغرماً به تركه في إشبيلية عليلاً وكنيته أبو هاشم فقال

أبا هاشم هشمتني الشفار * فلله صبري لذاك الأوار

ذكرت شخيصك تحت العجاج * فلم يثنني ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلاً شجاعاً فنفس بمجيئه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصدع الأرض وأصواتها إلى السماء فلما أبصر الأذفونش وجه خيله إليه وقصده بمعظم جنوده فبادر إليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم إلى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعاً الحملة فتزلزلت الأرض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبراً عظيماً ثم رجع ابن عباد إلى يوسف وحمل معه حملة جاءت معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشفت الطاغية وفر هارباً منهزماً وقد طعن في إحدى ركبتيه طعنة بقي يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء وكان الموعد في المناجزة في يوم السبت فغدر الأذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على إثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ووقع الهرج ورجفت الأرض وصار الناس فوضى على غير تعبئة ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فغشيت ابن عباد وحطمت ما قبلها وتركت الأرض حصيداً خلفها وجرح ابن عباد جرحاً أشوى وفر رؤساء الأندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا أنه وهي لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الأذفونش أن السلطان يوسف في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به حماة حشمه ورجال من صنهاجة ورؤساء القبائل وقصدوا محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الأرض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم إلى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها ولاحق الأذفونش

قوله وأحجمت في نسخة وجحمت اهـ

با ود

بأسود نفذت مراربته فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان متمنطقا به فأثبته فى فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر وأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا بربوة لجؤا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا بعد ما نشبت بهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان فى محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاوانى وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى ونصه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولجأ الاذفونش الى تل كان يلى محلته فى نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم مآذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابى هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة فى تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المليم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل فى جميع أبطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميع صنعه ولم يصبنى والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام واستشهد فى ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضى مراكش أبى مروان عبد الملك المصمودى وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكى) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أودم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن فى ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثر بها ملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله فى ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع الا نواح الثكلى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما وهما وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ورحل المعتمد الى اشبيلية ومعه السلطان يوسف ابن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشفين بظاهر اشبيلية ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضى العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فحلف ابن تاشفين وعزم

كتب التواريخ منه القليل والكثير وقد قدمنا منه فى هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار ويثير وخصوصا فى الباب السابع من هذا التأليف الذى هو عند المصنف أثير وفى المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بنى منذر وذاك انتساب * زاد فى فخرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالى * والمعالى قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع فى كتابه لمح الملح فى حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحه وأرحبهم ساحه وأعظمهم عمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من اعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه * وقال ابن بسام فى الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله من جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

اسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعات هجر فى زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسار معهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * منى يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى فى نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عود وانعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال ما لا يحصى ولا يعد ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المبانى والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التى لا توجد فى سائر بلاد العدوة اذ هى بلاد بربر وأجلاف عربان فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سير بن أبى بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية وبها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طوع الملك بعده حسيرا * وفى وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر

قوله بلكين فى نسخة بلقين اهـ

وراموهم بالصبر والناس قد حشروا له في الوادي يبكون بدموع كالغوادي فساروا
والنوح يحدوهم والويح بالوعة لا تعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف
ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة التي قدمنا ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل
عنده فعرج إلى بلاده إذ أجابه إلى ما طلب فلما انتهى ابن تاشفين إلى إشبيلية مدينة المعتمد
وهي من أجمل المدن وأحسنها منظرا راقه حسن موقعها وإتقان مبانيها وهي على نهر عظيم
يجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة إليه وفي غربيه رستاق عظيم
مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو
المسمى بشرف إشبيلية ويمتار بلاد المغرب كلها بهذه الأصناف منه وفي جانب المدينة قصور
المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج إليه من المطعوم
والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها وتولى
من إكرامه وخدمته ما أوجب شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحابه ينبهونه على
حسن تلك الحال وبهائها وما هي عليه من النعمة والإتراف ويغرونه بأخذها ويقولون
له إن فائدة الملك قطع العمر فيه بالنعيم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين عاقلا
مقتصدا في أموره غير متطاول ولا مبذر عن مسالك نهج الترف والتأني في اللذة والنعيم إذ ذهب
صدر عمره في بلاد بالصحراء في شظف العيش فأنكر على من أغراه بذلك الإغراء وقال له
الذي يلوح لي من أمر هذا الرجل يعني المعتمد أنه مضيع لما في يده من الملك لأن هذه الأموال
الكثيرة التي تصرف في هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذها منهم
على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم وإخراجه في هذه الترهات من أفحش الاستهتار ومن
كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الأجوفين متى تستعد همته في ضبط بلاد
وحفظها وبقاء رعيته والتوفر لمصالحها ولعمري لقد صدق في كل ذلك ثم إن يوسف
ابن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته هل تختلف فتنقص مما عليه في بعض الأوقات
فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك
ينال حظا من ذلك فقالوا لا فقال فكيف ترون رضاهم عنه فقالوا لا رضى لهم عنه فأطرق
وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال أياما وفي أثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل
وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها السلطان إن
من أوجب الواجبات شكر النعمة وإن من شكر النعمة إهداء النصائح وإني رجل من
رعيتك حالي في دولتك إلى الاختلال أقرب منها إلى الاعتدال ولكني مع ذلك مستوجب
لك في النصيحة بالملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب هذا
يوسف بن تاشفين يدل على أنهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت إنما
فإن أردت الإصغاء إليه قلته فقال المعتمد له قل فقال له رأيت أن هذا الرجل الذي أطلعته على
مملكتك مساعد على الملوك قد حكم على رؤساء بر العدوة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على
واحد منهم ولا يؤمن أن يطمح إلى المطامع في مملكتك في هذه الجزيرة الأندلس كلها بما قد عاينه
من هذا عيشك وإني أحسب مثل ذلك لسائر ملوك الأندلس وإن له من الولد والأقارب

وغيرهم

وغيرهم من يؤدّله الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أردى الادفونش وجيشه
وامتد أمل شأفتهم وأعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى
عضد وأوقى مجن وبعد فانه ان فات الامر فى الادفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم
فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله
فى قصرك وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من
حيث جاء حتى لا يبقى منهم أحد بالجزيرة طفل فى فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على
حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه له ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الايمان أن لا يضمر
فى نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك
من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده
التى لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الادفونش وتقيم فى موضعك
على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى
سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك فى مجاورة من عاملته هذه
المعاملة واعلم انه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوى تتفانى الامم وتجرى بحار الدم دون
حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر فى انتهاز الفرصة وكان
للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه فى اللذات فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد
على الله وهو امام أهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال الرجل
انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك
النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكره
المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فأصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية
والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب
التاريخ (ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بنى عباد وبنى ذى النون وبنى الافطس
وبنى صمادح وغيرهم انتظمت فى سلك اللمتونيين وكانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة
فى كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه
أمير المسلمين على بن يوسف وسلك سنن أبيه وان قصر عنه فى بعض الامور ودفع العدو عن
الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى أسس
دولة الموحدين فلم يزل يسعى فى هدم بنيان لمتونة الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم
مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن على فكان من استيلائه على
مملكة اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم أخرج الافرنج من
مهدية افريقية وملك بلاد افريقية وضخم ملكه وتسمى بأمير المؤمنين ولما كانت سنة ٥٤٥ سار
الادفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون ألف فارس فحاصرها
وكان أهلها فى غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوى على اثنى عشر ألف
فارس فلما أشرفوا على الادفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر السائب فسلمها الى
صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما أصبح رأى الفرنج عادوا الى مكانهم

ونزلوا في المكان الذي كانوا فيه فلما كان ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد المؤمن ثم رحل
العرب الى ديارهم وفي السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس في عشرين ألفا
عليهم ابن الهنتاتي فسار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت
طاعة الموحدين وحرضوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس وبلغ ذلك ابن
مردنيش فخاف وأرسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فعبر اليه في عشرة
آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش
فلقيه أمير برشلونة الافرنجي فرجع ونازل مدينة المرية وهي بأيدي الروم فحاصرها فاشتد
الغلاء في عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام بها وسار عبد المؤمن الى سبتة فعبر الاساطيل
وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك افريقية وقد تقدم ملكه
كافة بما • ولما مات ونهض بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت
قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها وكان ذلك
سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة
اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما اضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن
سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش مرض من فاسد مداراته فمات وحمل
اليه ثم ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية
فدخلوا تحت حكمه وسلموا له احكامه البلاد فصاهرهم وأحسن اليهم واصطنعهم واعتمدهم في اعز
مكان ثم شرع في استرجاع البلاد التي استولى عليها الافرنج فاستقامت له مملكة الاندلس
وصارت بيرانا تعبر الى باب طليطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الافرنج كافة عليه واشتد
الغلاء في عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى افريقية فمهدها ثم رجع
الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف
وقصد غربي بلادها فحاصر مدينة شنترين وهي من اعظم بلاد العدو وبقي محاصرا لها شهرا
فاصابه المرض فمات في السنة المذكور وحمل في تابوت الى اشبيلية وقيل أصابه سهم
من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال • وفي ابنه السيد أبي حفص يقول
مطرف التجيبي رحمه الله تعالى

دولة أبي حفص في بيعة أبي حفص
اه

سعد كاسا العلى والفخار • تصرف الليل به والنهار
مادامت الارض لكم عنوة • وانما دانت لامر كبار
مهدتموها فاستقامت بها • واتصل الامن فنعم القرار

ومنها

مالنا لا يحتلها دنسها • وان اقامت فعلى وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد
المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه شاعر الاندلس أبو بكر يحيى
ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

جل الاسى فاسيل دم الاجفان • ما الشؤون لغير هذا الشان

ويعقوب المنصور هو الذى أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود على القريب والبعيد وله فى ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم ابن يعقوب الكانمى الاسود الشاعر المشهور

ازال حجابه عنى وعينى * تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابى

وكثرت الفتوحات فى ايامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر فى شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين فى مراكزهم ورجع الى كرسى مملكته مراكش المحروسة وفى سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهى من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ فى الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربع مدن مما بايدى الافرنج من البلاد التى كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك باربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الهدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبى وهو من امراء كتاب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى فى وقعة مع الفرنج كان الشلبى المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور وبعد هدنة الافرنج ولما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرج طائفة من الافرنج فى جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم فى جيوش موفرة وعساكر مكتتبة واحتفل فى ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الفرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه اطماع وفهمت الاذفونش فى بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالى قرطبة على قرب قلعة رباح فى يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كثير من المسلمين (وحكى) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ ابا يحيى ابن أبى حفص عم السلطان أبى زكريا الحفصى الذى ملك بعد ذلك افريقية وخطب له

من الأندلس بقصد الإفرنج الأعلام فطار اسم السلطان عنها فأمر وأتى المسلمين ابراهيما
فأوقع بهم الأذفونش والسلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسرهم وكسرهم ثم هزمهم وتبعه
وهرب الأذفونش في طائفة يسيرة وهذه وقعة الأرك الشهيرة الذكر (وحكى) أن الذي
حصل لبيت المال من دروع الإفرنج ستون ألفاً وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم
يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة مثل وقعة الأرك هذه وربما صرح بعض المؤرخين
بأنها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل إن ملك الإفرنج هرب إلى طليطلة فجاء يحصرها فحاصرها
السلطان يعقوب حتى أشرف على أخذها وكاتب ملك المسلمين فأخذها العدو وتردد في هذا الأمر
ثم سار إلى طليطلة وحاصرها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على أرجائها وأخذ من
أعمالها حصوناً وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب مبانيها وهدم أسوارها وترك الإفرنج في
أسوأ حال ولم يبرز إليه أحد من المقاتلة ثم رجع إلى إشبيلية وأقام إلى سنة ٥٩٣ فعاد إلى بلاد
الفرنج وفعل مثل الأول فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الإفرنج الأرض فطلبوا
الصلح فأجابهم إليه لما بلغه من ثورة الميورقي لما ثار بعده مع قراقوش غلام بني أيوب
سلاطين مصر والشام ثم توفي السلطان يعقوب سنة ٥٩٥ وما قيل إنه ساح في الأرض وتخلى
عن الملك ووصل إلى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وإن حكى ابن خلكان بعضه وحكى شارح
بطلان هذا القول الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم وقال إن ذلك من هذيان
العامة لولوعهم بالسلطان المذكور وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤوم على المسلمين وعلى
جزيرة الأندلس بالخصوص فإنه جمع جموعاً اشتملت على ستمائة ألف مقاتل فيما حكاه صاحب
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ودخل الأندلس فحشر من معه من الفرسان
فصادف الإفرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التي خلا بسببها أكثر
المغرب واستولى الإفرنج على أكثر الأندلس بعدها ولم ينج من الستمائة ألف مقاتل غير
عدد يسير قيل لم يبلغ الألف مقاتل وهذه الوقعة هي الطامة على الأندلس بل المغرب جميعاً
وما ذاك إلا لسوء التدبير فإن رجال الأندلس العارفين بقتال الإفرنج استخفهم الناصر
ووزيره فسدت نياتهم بسبب ذلك فكان ذلك في عضد الإفرنج والله غالب على أمره
وكانت وقعة العقاب هذه المشؤومة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد •
ولما مات الناصر سنة عشر وستمائة ولي بعده ابنه يوسف المستنصر وكان ولعاً بالراحة
فضعفت الدولة في أيامه • وتوفي سنة ٦٢٠ فولي عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد
المؤمن فلم يحسن التدبير وكان إذ ذاك بالأندلس العادل بن المنصور فرأى أنه أحق بالأمر
فاستولى على ما بقي في أيدي المسلمين من الأندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وبقي
مراكش ثارت الإفرنج على العادل بالأندلس وتتابعت عليهم الهزائم ومن معه من المسلمين
هزيمة شنعاء فكانت الأندلس نهباً للفرنج وهرب العادل وركب البحر إلى مراكش وترك
بإشبيلية أخاه أبا العلا إدريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه
الموحدون وبعثوا بيعتهم إلى الناصر صاحب السرير عن تجارب ثلاث وبادر بتجديد الإمرة
أبو العلا إدريس بإشبيلية وبايعه أهل الأندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالأندلس

قوله الذخيرة في نسخة السنية اه

فثار

فثار على أبي العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامي ودعا لبني
العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن أبي العلاء فخرج عن الاندلس أعني أبا العلاء وترك
ماوراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يحارب مع يحيى بن الناصر الى أن قتل يحيى وصفا
الامر لابي العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض
أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان ٢
سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل
عليه الواثق المعروف بأبي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين
سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى
بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قرب
موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا
على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب
بعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور
هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لا يخفى
على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحمهم الله
تعالى الجميع * ثم استعمل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس
فانتصر به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم
الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم ما انتصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني
وقتل في بعض غزواته ملك من النصارى يقال له دوننده ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا
وهزمهم أشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس
رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد
تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب فجاء اليه الاذفونش ملك
النصارى لائذا به وقبل يده ورهن عنده تاجه فأعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك
بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب
السلطان بالاندلس غزاة فكانت لهم وقائع في العدو مذكورة ومواقف مشكورة وكان
عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة
(ولما) افضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض
بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام
فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد أخذهم الجزيرة الخضراء
وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل
الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور فجاء بنفسه الى سبتة فرضة المجاز وحمل أساطيل
المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لا تحصى ومنعوا العبور وأعانه أهل الاندلس حتى
استولوا على الجزيرة الخضراء ونكبوه في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد افصح عن ذلك
كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح

ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحي الألفي رحمهم الله تعالى الجميع وهذه
نسخة الكتاب المذكور الذي خاطب به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك
الديار المصرية رحمه الله تعالى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد
ابن قلاوون ووصل الى مصر في النصف وقيل في العشر الأواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٥
بعد البسملة والصلاة من عبد الله أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل
الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره لديه سلطان البرين حامي العدوتين مؤثر المرابطة
والمثاغرة وارث خرب الاسلام عن الموارد ناصر الاسلام مظاهر دين الملك السلام
ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين
ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبيد أهل الاعتاد محمد الجنود المنصور
الرايات والبنود غياث الرجال مبلغ الآمال أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد
في سبيل رب العالمين حسنة الأيام حسام الاسلام أبي الأملاك مستنزل أهل العناد
والاشراك ماهد البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من نادى
للانتصار القائم لله بإعلاء دين الحق أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أحاط الله بلوجهه
جهاد وشرف ميزعدا الدين مراد الى محل ولدنا الذي طلع في أفق العلا بدرا تماما
وصدع بأنواع الفخار فلا اظلاما ولا ظلاما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى سماء علا وأحمى
لها رسما حاط الحرمين الشريفين بعدل المتقين باسط الأمان قابض كف العدوان
الحري بالنوال الكفيل باسمه بحياطة النفوس والأموال قطب المجد وسماك حسب
المجد ولاكه السلطان الجليل الرفيع الأصيل الحافل العادل الفاضل الكامل
الشهير الخطير الأعصم الأعظم الماجد المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد
اسمعيل ابن عمه السلطان الجليل الشهير علاوة المستظهر الأخاير بأساره زين الأيام والليالي كمال
عين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول الباهرة رايته في عمود أهل
الملل والنحل باني المعالي بعدله وحسامه البالغ في حفظ الحرمين أقصى مراده
بعد له وحسامه هازم أحزاب المعاندين ومحو رسمها هادم الكنائس والبيع بعد ساريه على
عروشها السلطان الأجل الأعظم الأفضل الأعصم الفاضل العادل الشهير الكبير
الرفيع الخطير المجاهد المرابط المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المظفر المعظم
المقدس المطهر ركن الدنيا ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد ابن الملك الأرضي
الهمام الأسمى والد السلاطين الأخيار عادلوا المنصور شهر الأرض والمرج والتار
محيي رسوم الجهاد معلي كلمة الاسلام في البلاد ثمال الأنام غمال الأعلام فاتح الأقاليم
صالح لولده عرش المقادم الامام المؤيد المنصور المقتدى من أمير المؤمنين في بلاده
الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ملك الله له عكس أولياته ووفى دولته الى
أطلعها الله السعد بمشان عنانه وأحسن اراعه للشكران حملوا رث آباته سلام كريم
يفاوح زهر الربا سيرا ويفاوح نسيم الصباح عرفا بعصمه رضوان يدوم ما دامت نقل
الفلك بركاته ويتلو روح وريحان يعمه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك

الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسرف في التماق الصورى فاصرا على الدنس والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى صدع بانوار الهدى طرق الشرك ونبيه الذى ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودعا به حجة الحق فسادت بالكمرة مجولة الافلاك وماجت بهم سماعة الفلك والرضى عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه قسلك في قلوبهم أجل السلك وملكوا اعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب انجح المسالك وصابروا في جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر اضاءته في العدا أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأسفل بدلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسموع النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الالطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلطانكم الحميد مكانه وولاكم الصحيح برهانه وملاكم الفسيح في مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفه وسبيلا مبينا فلا خفاء بما كانت عقدته أيدى التقوى ومهدته الرسائل التى على الصفاء تطوى بين اوبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار في عليين آنسه من مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والصاحبه وحفظ عليها حكم الاخلاص مودتها الصحبة والنية الصالحه فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الاوشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصل أن يشكو الملال ورد وارد أورد رنق المشارب وحقق قول من يسأل الركبان عن كل غائب أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه الزكيه واكان دوته السنيه وانقلابه الى ما أعده له من المنازل الرضوانيه بجليل ما وقر لفقده في الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والولى الحميم ثم عميت الاخبار وطويت على السعيل الاثار فلم نحتبر اصدقا ولا معلما عن استقرار ذلكم الملك حقا وفي اثناء ذلك حفزنا المركد عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بان النصارى أجمعوا على خراب أوطانها وفي اثناء ذلكم الشان نستخبر الوراد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فعدلا وقدمنا نهاعلى الخبير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخذها وأبرأ من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وتعبر طريقه لمن شاء قاصدا وقافلا ولما استفدت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاين اثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجرد حقا الموارث فاصدرنا لكم هذه

على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منا للجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفارة قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم باباتهم اللعين الناصر من كل أوب وأن تقصدوا بجمعهم البلاد الاندلسية بايجادها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحوا كلمة الاسلام منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقد منا ولم نشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا وقد أخذ أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعداد لكامع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند وجهزنا أجفانا محتسبين فرصة الاجازة تتردد على خطر عن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته المداناة محلة حزب الضلال وأجريناه وجيشه العطاء الجزل مشاهره وأرضخنا لهم فى النوال ما يرجو به ثواب الآخره وجعلت أجفاننا تتردد فيما بين السواحل وتلج أبواب الالوف العاجل لاحراز الامن الآجل مشحونة بالعدد الموفوره والابطال المشهوره والخيل المسومه والاقوات المقومه من ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خاض لتلك العدوة عن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يضايق العدو ويحاسبه بحرب بها يعنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش ضريت ضراوته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا ان المطاولة بحصرها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح فاذنا له فيه الاذن العام اذ فى اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا اعياوا افناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولم يرزؤا مالا ولا عنه ولا لقوا فى خروجهم غير المزوج عن أول أرض من الجلد ترابها شدة ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالحماء من خيل تزيد على الالاف عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف

بالظفر وقرن عزمه بالتأييد في الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه واذخرت
الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء اتخذ النفحات
المسكية طلائعه ونبه للتغريد في الروض سواجعه وجلى في كأسه من الشفق الأحمر مدامه
ومن النجوم مواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت إلينا الأمانة في عود سلطتنا والدنيا الموروثه
وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها من النجوم مبثوثه وأحسنت بنا الخلف عن سلف
عهوده في الأعناق غير منكورة ولا منكوثه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى
آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أمله وسوله صلاة تحط بالرضوان سيولها
وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضح للعلم الكريم ورود
كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ويصبح
خد الورد بالخجل منثوره ويحكي الرياض الباسمة فالألفات غصونه والهمزات عليها
طيوره ويطلع على الآفاق حال الأيام والليالي فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه
يطرب ومعناه يعرب ويغرب وبلاغته تدل على أنه آية لأن شمس بيانها طلعت من المغرب
فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا إلى الجد فشبهنا ألفاته بظلال
الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بأفواه الجراح وسطوره المنتظمة
بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح وانتهينا إلى ما أودعتموه من اللفظ المصنوع والمعنى
الذي يطرب طائره المسموع والبلاغة التي فضح المتطبع بيانها المطبوع فأما العزاء
بأبيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لإسلامه خلفا بعده فلنا برسول الله أسوة
حسنه ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش
سعيدا ملك الأرض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير
الشمس في الآفاق ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الأحداق وورثنا منه حسن الإخاء
لكم والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع
الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذا المنحى وقابلناه ابتناء بعطر النسيم في كل نفحه
ووقفنا عليها حمدا أجمل الود علينا إيراده وعلى انفساح سرحة الروض شرحه وتحققنا به
حسن ودكم الجميل وكريم إخائكم الذي لا يعدل طود رسوخه ولا يميل وأما ما ذكرتموه
من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وأنكم جهزتم كاتبكم
الفقيه الأجل الأسنى الأسمى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين أعزه الله تعالى
لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور عن معه في حرز السلامة
وأكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الإحسان إليهم شملهم وحضر
المذكور بين أيدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين
بما أشرتم ورسمنا للنواب في نواحي أوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على
أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعي الجوانب محمي المنازل والمضارب آمن
من إزالة رسمه أو إذالة حكمه بدره أبدا في مطالع تمه وزهره دائما يرقص في كمه
لا يزداد إلا تخليدا ولا إطلاق ثبوته إلا تقييدا ولا عمق اجتهاده إلا تقليدا جريا على

لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم عن ادارار واجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل يسبهم مشقة ذلك الدرب ويحصل اليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب وعمرناهم بالاحسان في العود اليكم وأمرناهم بما يثنونه شماها لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاحد الثار حسناتكم وتصحكم بتأييد تنزلون روضه الاخضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتصحكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يحوشبابه مشيبه وتحيته المباركة تعاديكم وتراوحكم وتفاوحكم انفاسها المعنبرة وتنافحكم بمنه وكرمه انتهى (ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى ان ذكره ما نصه أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضي قطب الدين موسى بن أحمد ابن شيخ السلامية الاحمدي أمتع الله بفوائده الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبي الحسن المريني صاحب مراكش تغمده الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائي وأنا أسمع ذلك جميعا من أولهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لرجاحتها

وأخجلت ورق الحمى بالنوا * ان صدحت في ذروة الغصن
تكاد من لطف ومن رقة * تدخل في الاذن بلا اذن

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٦ بالجامع الاموي بدمشق المحروسة فان رأى رواية ذلك عني فله علو الرأي في تشريفي بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدي الشافعي عفا الله عنه انتهى * وكان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب توقيعه سلطان مصر والشام عما يخصها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين ابن نباتة المصري ونص ما يتعلق به الغرض منه هو قوله وهو الذي قد عينهما السيف والقلم مكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فأيد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لاملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الاعداء بالهندي ورتب عليها أوقافا تجري اقلام الحساب في اطلاقها وطلقها وحبس املاكا شامية تحدث بمع الاملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم الصحائف وينفع الجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وردمته في نهاية الصنعة * وقال بعض المشارقة في حق السلطان أبي الحسن ما صورته ملك آصاد المغرب بأنوار هلاله

فى كتاب السلوك فى سنة ٧٣٨ مانصه وفى ثانى عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية برسم حملها الى الاصطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها كلها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش العالى وكان قد شرح المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية مايزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ماعمهم وفضل عنهم وكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف اردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم لم ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة مايجل قدره وقيل لها أن تلى ماتحتاج اليه ولايعوزها شئ وانما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقايين والضوية وهيا كل ماتحتاج اليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل مايأمر به وكتب لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى * وقال فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة مانصه وفى نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب فى جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك وذلك أن فى السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده ونصره الله تعالى بمنه على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فصار الفرنج مائتى شينى وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير ونجا أبو الحسن فى طائفة من أراجه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة وأسروا وسبوا وغنموا شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اه كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبى الحسن فليراجع قريبا * وقال ابن مرزوق فى المسند الصحيح بعد كلام

قوله ولايعوزها شئ هكذا فى الاصل ولعله فلم يعوزها شئ بالتفريع على قوله وقيل لها الخ تأمل اه مصححه

فأطمعه وكان في السلطان أبا الحسن عهد إلى الجهاد بنفسه وحرمه وسار إلى الدلس
رسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجليلة وبها ارتجاع جبل الفتح إلى المسلمين بعد أن أمر عليه
الا وال وصرف إليه الجنود والحشود كان من عمالته وللعدو ورده وبارله
بجموعه مع ولده وبحرا سه وصنوانه إلى أن استرجعه لبلاد المسلمين وأنفق على بنائه أموال
مال وأعنى بتحصينه وفي حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومحاربه ولما كاد يتم
ذلك نازله العدو براً وبحراً فصبر المسلمون صبر الكرام خيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسراً
والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور يحيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو
في منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق
الأموال وأسعف الله الآمال فأحاط بجموعه إحاطة الهالة بالهلال وأما سائر الصنائع
والمآثر التي فاز بها بجهول له (وقد رأيت) أن أذكرها بعض إنشاء لسان الدين بن الخطيب
في شأن ما يتعلق بجبل الفتح وغيره من بلاد الأندلس وحال العدو الكافر وما جرى في هذا
البال فمن ذلك على لسان سلطانه مخاطباً به أحد السلاطين من أولاد السلطان أبي
الحسن المريني (ونصه) المقام الذي نسر بسعده ونهم في الفضل ونجده ونسعف ونسعد
ونعرف بفضل الله وبرعد فإنا نحمد الكريم من عزمانه المتمم المعد حتى نعرض نصر الله
تعالى المواعد مقام محل أخينا الذي حسن الظن بمجده جميل وسعد الكريم يسعد كامل
وللإسلام منه ربا ومأمل لمن لمطلوب عنه يميل السلطان الكذا ابن السلطان الكذا
أبقاه الله تعالى وعزمه الماضي لصولة الكفر مانعا وتدبير الناجح لسبل الإسلام سابعا
ولكلمة التوحيد لهذا الله معطيا سامعا مطيع لداود ومهتم اصلاحه وأكابر المعتدى اه
مكرم شيمه وطيب عنصر المستظهر في عدو الله بأمراعه إلى تدمير الكفار وتبار سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومفضل الوسائل
ومنح النعم الجلائل حرج من عامله في هذا الوجود الزائد الزائل والإمام السلائل
مالباع الدائم الطائل والنعم غير الحائل ومن أورد الإسلام المناهل بأولى المكارم
من أوليائه والعصائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المعتمد من
الوسائل التي من الروع إليها لا يعصار عدو الحق الصائل بالعبائر والمسائل
الذي ختم به ورسالته دواوين الرسل والرسائل ومعلى الأوائل شرف الأواخر لا يحسبه
كثرة الأمل والصلاة عليه ركاب العادل والرضى عن آله وصحبه وعشيرته وحزبه تحاب
الأحساب والعصائل المعمرين بكريم الصبا ما وطيب الشمائل والدعاء لمقام أخو كم
في الكرم والإجمال بالسعد الصادق الحائل والصبح الذي يشرح حواهر بنزح العمائل
والنصر الذي يمزق الصعاد الملد عطف الرماح المتمايل فإنا كتبناه السكم كتب الله لكم
عز المانع الحائل ونصرا يتكفل للكتائب المدونة في الجهاد ومحرصا من أنباء تسرد
المسائل وإشباع الناقل من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه
إلا الاستبصار في التوكل على من بيده الأمور وبسبب مشروع تعلق به بأمر الله تعالى
أحكام القدر المقدور وربما ضمنا وعدنا بالظهور شيعنا على توالي الأيام ويرادف

الشهور والحمد لله كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالارواء منهله وعله والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فاننا فى هذه الايام أهمنا من أمر الاسلام مارنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما تحققناه من عمل الكفر على مكايدته وسعى الضلال والله الواقى فى استئصال بقيته وعقد النوادى للاستشارة فى شانه وشروع الحيل فى هد أركانه ومن يؤمل من المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى وأهل ساطهم الله تعالى وتولاهم وتمم عوائد لطفه الذى أولاهم فهو مولاهم فى غفلة ساهون وعن المعتنة فيه لاهون قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الامل عن نافع العمل الامن نور الله تعالى قلبه بنور الايمان وتمل بمناصحة الله تعالى والاسلام تمال السليم واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الفكر الى مطالب الامم النوائب فلما رأينا أن الدولة المرينية التى هى على عز الايام شجا العدا ومتوعد من بكيد الهدى وفئة الاسلام التى اليها يحير وكهفه الذى اليه يلجأ قد أذن الله تعالى فى صلاح أمورها وامّ شعثها واقامة صغاها بأن صرف الله تعالى عنها هاهات الغدر وأراحها من مس الضر ورد قوسها الى باريها وصيرحقها الى وارثها وأقام لرعى مصالحها من حسن الظن بحسبه ودينه ورجى الخير من ثمرات نصحه ومن لم يدلّ الا الخير من سعيه والسداد من سيرته ومن لا يستريب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج اليكم عن العهدة فى هذا الدين الحنيف الذى وسمت دعوته وجوه أسلافكم شملهم الله تعالى بالعافية وتشبثت به أعمر من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة وفى هذا القطر الذى بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه ديناو دنيا وحمية وفضلا وعلى الحالين فعليكم بعد الله المعوّل وفيكم المؤمل فارعوا اسماعكم المباركة نقص عليكم ما فيه رضى الله والمجادة من تكثيره والصبر والاجر وحفظ النعم والخلف فى الذرية بهذا وعدت الكتب المنزلة والرسل المرسلة وهو أن هذا القطر الذى تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم والضعيف والارملة والضعيف وقد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدى به منذ أعوام وسلم الى عدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته ولا يذهب المعروف بكليته

ولابد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو منازل أخاه بسجلماسة ولا أمده ولده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا الى الجبل وعمارته فى جلة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا أموال فرضت من أجل الله على عباده وطعام سمحنا به على الاحتياج اليه فى سبيل جهاده فلم يسهم المتغلب منها الجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا بجبل وعلامتها ونابكيره

سبحانه دينه الغريب الا اعتدمعها اصطلحا وأخذ عليها باعاتها الاياء عهدا ثم تمترع الى شماء عابلة
وبلوغ جهده ولا شك انه انجيبه صرفا البأسه عن ثغورها ومفارصة كما وقع باطريرة
من مضيق صدورها ومؤسف جمهورها وكل من له دين ماهو يحرص على التقرب الى
من دانه به وكله وطائف تكايف رباطا وعده وشوقا من وعيده وبالله ندفع مالا نطيق من
جموع تداعت من الجزر وراء البحور والبر المتصل الذى لا تقطعه الرفاق ولا تحصى درعه
الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده
قليل ومنعه فى هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر لنصرة دينها
المكذوب وحمية لصليبها المصلوب فمن يستدعى لنصر دين الله وحفظ امانة نبيه الا أهل
ذلك الوطن حيث المآذن بذكر الله تعالى تملأ الآفاق وكلمة الاسلام قد عمت الربا والوهادا انما
الاسلام غريب قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله فى بقية الرمق وقبل الرمى تراش السهام وهذا
أوان الاعتناء واختيار الحماة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد
وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم مقررا الضرورة منبها الرغبة مذكرا بما يقرب
عند الله مذكرا الذمام الاسلام جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى
التى تشرح الصدور وتنسى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله
مع الجماعة والمسلمون يد على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه
بعضا والتعاون على البر والتقوى مشروع وفى الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور
وما كان جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب وكما راع المسلمين اجتماع كلمة الكفر فيرجو أن
يروع الكفر من العزم الله وشد الحيازيم فى سبيل الله ونصر المغيرة لدين الله والشعور لحماية
الثغور وعمرانها واراحة عللها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وتجهيز ما تألف
من عدة البحر أمور تدل على ماوراءها وتخبر بخشية الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير
يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان
الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة البسه الله تعالى سيما الخسف ووسمه بالصغار وما بعد
الدنيا الا الآخرة وما بعد الآخرة الا احدى دارى البقاء أبى الله ذلك ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون والاعتناء بالجل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والعهدة
عنه منذ أعوام قد صيرتنا لا نقنع باليسير وقد ابرمته المواعيد وغير رسومه الانتظار ومن
المعقول ارحموا السائل ولو جاء على فرس والاسراف فى الخير أرجح فى هذا المحل من عكسه
وكان بعض الاجواد يقول وقد أقترا اللهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى
أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه والامتعاض منه كافيا للازراء به وخاق الجبر يعتنم
لامداده وارفاده قبل أن ينوب نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم
ولا عذر لمن علم والله عز وجل يطلع من قبلكم على ما فيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب
الصدوع وما نقص مال من صدقة وطعام الواحد كافى الاثنين والدين دينكم والبلاد
بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق حسناتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن

كل ما زاد لديـا أو فتح الله تعالى به علينا ونحن مهما شدا الحنق بكم نستنصر أو تراخى فنى
وذكم نستنصر أو فتح الله تعالى فأو ايكم نهدى ونبشر وقررنا عندكم أن العدو فى هذه الايام
توقف عن بلاد المسلمين فلم تصـل منـه البواسر به ولا بطشت له يد بجريه ولا افترعت من
تلقائه نيه ولاندرى أالمكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتتبر أو لشاغل فى الباطن
لا يظهر وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات يندبون
فيها الى جنوحها للسلم فى سبيل النصح لايادٍ سلفت منا لهم قرروها ورسائل ذكرها فلم يخف
عنا أنه أمر دبر بليل وخبيئة تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستفسر الامر
فوجهنا اليـه على عادة تسامع سلمه لنعتبر ما لديه ونتطلع الى بواطن أمره ونبحث عن زيد
قومه وعمره فتأتى ذلك وجرت مفاوضة فى الصلح أعدنا لاجلها الرساله واستشعرنا البساله
ووازنا الاحوال واختبرنا واعتززنا فى الشروط ما قدرنا ونحن نرتقب ما يعلق الله تعالى
من مهادنة تحصـل بها الاقوات المهيأة للاتلاف وتسكن ما ساء البلاد المسلمة من هذا
الارجاف ونفرغ الوقت لمطاردة هذه الآمال العجاف أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته
حتى يظهر الله تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أردناه وشموخ
الانف فيما أصدرناه الا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الاعلام
والنهوض الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض حمية لله تعالى قد اهتزت
والنعرة قد غلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب المواعد
وشمرت عن السواعد وان الخيل قد اطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنه والثنايا
سدتها بروق الاسنه وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون والاموال قد سمح بها المسلمون
وهذه الامور التى تمشت بقريبها أو بعيدها أحوال الاسلام والامانى المعدة لترجية
الايام ثم اتصل بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها وتسويف
مواعد النصرة بعد استشعار فورها وأن الحركة معملة الى مراكش الجهة التى فى يديكم
زمامها واليكم وان تراخى الطول ترجع أحكامها والقطار الذى لا يفوتكم مع الغفله
ولا يعجزكم عن الصوله ولا يطلبكم ان تركتموه ولا يمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط
فى الايدى الممدوده واختلفت المواعد المحدوده وخسئت الابصار المرتقبه ورجفت
المعاقل الاشبه وساءت الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر وتمنوا أن
يعتبر وقالوا هذا لا يمكن حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله
تعالى ميثاقهم وحمل النصيحة أعناقهم هذا المفترض الذى يعد والقائم الذى يقعد
بأباه الله تعالى والاسلام وتأباه العلماء الاعلام وتأباه المآذن والمنابر وتأباه الهمم
والاكابر فبادرنا نستطلع طلع هذا النبأ الذى اذا كان باطلا فهو الظن بكم والحق وان كان
خلافه لرأى ترجح وتنفق بقرب الملك وتنجح فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا
القطر شفاعه ويمد اليه كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد فى الدين
بث افاده يتطارحون عليكم فى نقض ما أبرم ونسخ ما أحكم فانكم تجنون به على من
استنصركم عكس ما قصد وتحلون عليه ما عقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانه

ومرور الاسعاد والاسكانه أى عدو يصل فى الاطراح والاعراض الصراح كان الدين عمر واحد كان هذا المطرلكلمه الاسلام ساجد كان دمام الاسلام عمر سامع كان الله عمرنا ولاسامع مصر يسألكم بالله الذى تبا لون به والارحام وبما مالكم من هذا الاهتمام وسطاوع عليكم أن يتركوا سكنكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيناوبين العدو الذى سكالب علينا بادياركم بعدما نشا لى لاسعادكم ولا نكاكم عن اقتراب داركم وما ساويكم المسلمون بها شططا ولا سلوكم الاقصدا ووسطا ومادهم الى الامور ولاية ولا يعاود ون السوء اعا الصاب ماورا كم من حد بأس من سما أودائكم ودين سحب أعداؤكم فاسمعوا للساعة من تلك الجهة المراكب قصدنا وحاسى احسانكم أن يرى فيه ودنا وأسم بعد بالصار فما حكم به الله على يد يكم من قدر اوليهكم الله بنصر وحوانكم من يد عانيتكم ويصل حسكم والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (و من انشا لسان الدين) أيضا فى مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة عما ورد من الانبا الساحة (ما نصه) المقام الذى أخبار سعده فى انتظام واتساق وجياد عزه الى الغاية القصوى ذات استباق والملوك على حمده ذات اتفاق وعنايته الله تعالى عليه مديدة الرواق وأنداؤه الجمة فى الاعناق الزم من الاطواق وأحاديث مجده عن الوادى وحديث الرفاق مقام محل أبينا الذى شان ملوكنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحظيانه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز صحب ركابه وأسباب التوفيق متصلة باسبابه والملوك الصحيحة لمراده ميسور بابتدائه معظم سلطانه الذى لاحت فى الحومة والمواصل المشهور المعلومة والمكارم المسطور المرسومة والمفاخر الموسومة المطبوعة الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل ابن فرج بن نصر سلام كريم طيب عميم كأنما طعت فى عهب النسيم أنوار الفرح وهب نواسم ألطاف الله عاطر الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله حالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الانام من عثارها ومرين مهاد الملك بنوسها المحصنة وادبارها ومرضى الملوك من وجهه أعبارها ومدنى سحاب الرحمة على هذه الامة بعد ادبارها وسد اضطرامها واضطرارها ومداركها بالطف الكامل حتى تقضى أوطارها ويسمر أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة وشعارها وآساى مجدها السامى وعنارها فى الملاحم وحاتم سرارها ومذهب رسوم الضلال ومطفى نارها الذى لم يرعه البعد المتداد باضطراب مقدارها حتى بلغت كلمة الله مابلغ من سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضى عن آله وأصحابه الذين عكفوا بهديه على أحلا المراد وأحرارها وأعوا بعزيمتهم فى اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها والدعا لمقامكم الاعلى باتصال السعاد واستمرارها واسعاف العناية الالهية واسدال استارها

حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها
فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب اسعاده
وعززكم من ازرق الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم
مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من
حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد والى
كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه سيدنا الذى وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التى تشام
بوارق اللطف من خلالها وتعبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل عنها على
حسن مآلها فلله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من
الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه والدعاء الى الله تعالى
فى اظهاره واتمامه ما لا تفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا ايد
الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص
الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب واسا
لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى صحت مقاصدكم فيها العناية من الله
والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأتى
بأوطاننا الاوطار تشوفا لما تتجه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا
فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفى هذه
الايام عميت الانباء وتكالبت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء
وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلقى
لاعانتكم مذهبا لما شغلنا العدو الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض
وكان خديمكم الذى رفع من الوفاء راية سابقه واتقى منه فى سوق الكساد بضاعة
نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى أبو محمد بن اصبانا سنى الله
مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وقصد الى اللحاق بجنابنا
ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن نتطرق تتميم
غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان
التى استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب
والاخرى بمرسى المريه فى كنف العناية الالاهيه فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة
بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر
وحركتكم المعروفة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالاوطان التى يؤنس
قدومكم شاتتها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويسكن
أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور
واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسأل عن انبعاث الآمال بعد سكونها
ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق
ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها

عن تصوّر الوهم ولا زال مرهوب الحدّ ممتثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدّد القسم فانّا بعلم الله اعتصام عند اشتداد الخصم معظم قدره وملتزم برّه مبتهج بما يسّنه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سليم كريم طيب بر عميم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التي سارت في النصر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أمّا بعد حمد الله الذى فسح للملك الكريم الرفيع في العز مدى وعرّفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب حريد ضرّة ضرّ نفسه وهاد الى الهدى وما هدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا اعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطع أبدا والرضى عن آله وأصحابه الذين رفعوا لسماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقلدوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع الملككم ما تفرّق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يلاشى افئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى آفاق العنايه واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهايه والعلم بأن ملككم تحدّى من الظهور على أعدائه بآيه وأجرى جياد السعد فى ميدان لا يحدّ بغايه وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولايه ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز الملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا مقاسمة الارتياح لواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرّته وبين الشكر قه حلفا ونعدّ التشيع له مما يقرّبنا الى الله زلفى ونؤمّل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكمل به الدين ويكفى ونروى غلل النفوس ونشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانّا من لدن صدر عن اخيكم أبي الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بوارد الآل وفال رأيه فى اقتحام الاهوال وتورّط فى هفوة سار فيها سيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ومن دائرا سم الاطواد برحزح الجبال وأخلف الظن منافى وفائه واضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدوّ الدين بعين قلما يرى ان استنصر به زند ولا تحقق ان تولاه بالنصر بند وان الطاغية اعانه وانجده ورأى انه سمّ على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرّده فسخر له الملك وأمّل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فاورده الهلك والظلم الحلك علما أن طرف سعادته

باسمه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ورث من الاعتماد عليه اسنى ذخيرة الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذي رعى الاذمة شانه وصلة الراعي سجية اسردتها سلطانه ومواعد النصر بصرها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تتفق لديه الوسائل التي تدخرها الاولاد ها أولياؤه وأحبابه ويسطر في صحف النصر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر حلاله على لاحب طرقه المستضيء في ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم طيب برحيم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي لاراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذي بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شيء عن ميقاته ولا يبرح عن محله جاعل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب طعمه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذي نعتصم بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونجدد الافتقار الى فضله ونجاهد في سبيله من كذب به أو حاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يلحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دعاؤنا وألطافه تعرفها ترا وشمعا ومقامكم الابوي هو المستند الاقوى والمورد الذي ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابتكم العدة التي تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا المانعلم من مساهمة مجدكم التي تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم وتدعو اليها ذمم الرعي ورعي الذمم نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نعمه الله تعالى بالسعادة التي ألبسه حلتها والشهادة التي في أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التي حتمها له وأوجبها وبما نصير اليسامي أمره وضم بما من نشره وسدل على من خلعه من ستره وانها العبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجلع وترسل الدمع وحادثة أجل الله سبحانه فيها الدفع وشرح مجاهاوان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضي الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا

مرصول والفروع اهالى التشيع اليكم أصول وفى تقرير فخركم محصول وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينهم بارفاده وينصرهم باعجاده ويعامل الله تعالى فيها باصدق جهاده وبعد ما استقر هذا الامر الذى تمت المنة فيه المنحه والتى من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتراحمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمائرهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر وأحلى وأمر علما بمقتضى الخلوص الذى نمت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصبر البادى السفور وان كان قد خاطبنا من خدامكم من يبادر باعلامكم بالامور الا انه أمر له ما بعده وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان ووجهنا اليكم وزير أمرنا وكاتب سرنا الكذا ابن فلان وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاعنى والثمرة العذبة المجنى فلاهتمامنا بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس شاننا وقائم أعداننا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقوله فى هذه الرسالة فوجهنا اليكم وزير أمرنا الى آخره هو لسان الدين رحمه الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير فى هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام يتضح لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس وبالمغرب رحمه الله تعالى وقد أكرمه السلطان أبو عنان فى هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام وكان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغنى بالله بالسلطان أبى عنان على طاغية النصارى كما أعلمناك فى الباب الثانى من القسم الثانى الذى يتعلق بلسان الدين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبى الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء وخصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به ان أمر عليه ولده أبا بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه ما خاطب به الامير السعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التى أشرق فى سماء الملك شهابها واتصلت بأسباب العز أسبابها واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها وأجيلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذى تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه

لا تدرى موقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه فى العناية على أمسه حتى يسمع لها بولده
ويعصمها بقرة عينه وفلذة كبده فلما ورد الخبر الذى راقت منه الحبر ووضحت من سعادته
الغرر باجازتكم البحر واختياركم فى حال الشبيبة العمر وصدق مخيلة الدين فيكم
واستقراركم فى الثغر الشهير الذى افتتحه سيف جدكم واستنقذه سعد أبيكم سررنا بقرب
المزار ودنو الدار وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار ووثقنا وان لم نزل على ثقة من عناية
الله تعالى وعناية جل والدنا مذه الاقطار وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقه
والنعم المغدقه والصنائع المتألقه بادرنا نهنى اخوتكم أولا عاينسره الله تعالى لكم من
سلامة المجاز ثم عا منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز
فامارتكم الامارة التى أخذت بأسباب السماء وركبت الى الجهاد فى سبيل الله
تعالى جياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشبيبة شجا فى حلوق الاعداء ونحن
أحق بهذا الهناء ولكنها عادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون
الطائر متهال البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجرى
جرسعادتكم مجرى المثل السائر ويشكر جل والدنا فيما كان من اختياره ومزيد
ايثاره ويجازيه اجرا من سعى فى ذاته بعلية ادخاره ومذرأينا ان هذا الغرض لا يجتزى
فيه بالكتابه دون الاستنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجرى من تقرير ما لدينا على
أوضح طرقه وهو القائد الكذا ومجدكم يصغى لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك
يؤديه والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * وكان الطاغية الملعون
أيام السلطان أبى عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره فى ذلك التاريخ
(ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس
والمغرب بما نصه المقام الذى رعى له الملك الاصيل بافلاذه وأدى منه الاسلام الى مجنه
الاحمى وملاذه وكملت السعود بامضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبة الكرم
فكان وحيد آحاده وفذ افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت
البدعة هذه مقام محل أخينا الذى أركان مجده راسية راسخه وغرر عزه بادية
باذخه وأعلام فخره سامية شامخه وآيات سعده محكمة ناسخه السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك ويجلى بنور هديه
الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشهد بفضل بأسه ونداه النادى والمعترك معظم
حقوقه التى تأكد فرضها المثنى على مكارمه التى أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير
المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم
يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى هيأ لملة الاسلام بمظاهرة
ملككم المنصور الاعلام اظهارا واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بين مقامكم
الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا وسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقد سامتها
صروف الايام ليا واعوازا وأتاح لها ملككم ولما يسوم أعداءها استئلابا وابتزازا
ويسكن آمالها وقد استشعرت انحفازا حمدا يكون على حلل النعم العميمة والآلاء

قوله محلى هكذا فى الاصل ولعله محرف عن على وليحرر اهـ

الكامل أبي عبد الله بن محلى والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبي عبد الله القشتالي وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما نائلين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز وواردين على أصلى القبول الذى لاتشاب حقيقته بالمجاز علما بما يجب علينا لمن يصل الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقينا ما اشتملت عليه الاحالة السلطانية من الود الذى كرم مفهوما ونصا والبر الذى ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما أخلف الظنون وشرح الصدور وأقر العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد مقامكم الذى راق غررا فى المكرمات وأوضاحا ومقدمة الى سهام المواهب الالهية فاز أعلاها قداحا فتشوقت نفوس المسلمين الى ما كانت ترقبه من فضل الله تعالى وترجوه وبدت فى القضية التى أشرتم باعمالها الوجوه وابعثت الآمال الى ما آلت اليه هذه الحال انبعاثا والتاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا واستحقت المسئلة التى تفضلتم بعرضها وأشرتم الى فرضها مأخذا وأبحاثا وألقينا فى هذا الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى وما يتزيد عندنا من الامور فكاتب التعريف بها اليكم محثوثه وجزئياتها بين يدى مقامكم الرفيع مبثوثه وقد اضطربت أحوال الكفر وفالت آراؤه واستحكم بالشتات داؤه وارتجت بزلزال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله تعالى ورجاؤه وما هو الا السعد يذلل لكم صعب العدو وبروضه والله سبحانه يهيئ لكم فضل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه وأما الذى لكم عندنا من الخلوص الصادقة شرائعه والثناء الذى هو الروض تأرج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذا أشرقت طلائعه جعله الله تعالى فى ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولاكم يشرحان لكم الحال بجزئياته ويقرران ما عندنا من الود الذى سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعد اسامى المراتب والمراقى ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين الهدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وأبين من هذا فى القضية كتاب آخر من انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى صورته من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذى تثنى على مجادته أكرم الثناء وتجدد له ما سلف بين الاسلاف الكرام من الولاء وتصفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار السارة والانباء السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم بر عميم يخص جلالكم الارفع ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد ابائه والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه

عما لا يتم من مقاصدكم بوفقه لاشهور عمائه ورفقه لحفظه مكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا جفنا سفريا لايساق الخيل التي ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت لحاظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ما تريد عندنا عز ما كم به عملا على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجلة والتفصيل فعززوا ما يتريد عندكم بكل من بجلة أعمالكم الفاضلة ومكارمكم الحافلة والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانها لاغنى لها عن العدوة وغير ذلك ما صورته المقام الذى نور سعادته تجلى العماء وتتصل النعماء من يمنه قد حصل منها لجناب الله تعالى الاعتناء واتفقت منها المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذى تتعاهده الجزيرة العربية أنباء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خير رسله وتجتنى ثمار الصبح من أغصان آرائه المتألقة تألق الصبح حالى ريشه وعمله وتتعرف حالى المودود والمكروه عارفة الخبر والخبرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويجلى موارد العاقبة كلما أمرت ويعفى على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل ما عليه استقرت معظم مقامه الذى هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذى لا يلتبس منه فى الفخر والعز طريق ولا يختلف فى فضله العميم ومجده الكريم فريق أما بعد حمد الله المثيب المعاقب الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب المشيد بالعمل الصالح الى أرفع المراقى والمراقب يهدى من يشاء ويضل من يشاء بمقتضى حكمته وقدره اختلاف المسالك والمذاهب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم الرؤف الرحيم ذى المفاخر السامية والمناقب والرضى عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ظاهروه فى حياته بأعمال السمر العوالى والبيض القواضب وخلفوه فى أمته خلوص الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا فى سماء ملته كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم الاسمى بالسعادة المعادة فى الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذى يقضى بعز الكتائب والصنع الذى تطلع من ثناياه غرر الصنائع العجائب من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل بالتمهيد أوطانه الا تشيع ثابت ويزيد واخلاص ما عليه فى ميدان الاستطاعة مزيد وتعظيم أشرق منه جيد وثناء راق فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصلنا كتابكم الذى هو على الخلوص والاعتقاد عنوان وفى الاحتجاج على الرضى والقبول برهان تنطق بالفضل أصوله وتشير الى كرم العقد فروعه الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك العنصر الاصيل محصوله عرفتم فيه بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذى ارتكبه وسبيل الصواب الذى تنكبه وتنبهون على ما تحده الحق فى مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد من جهتنا سببه ولا يظاهره مهما ندبه ولا يسعف فى الايواء طلبه فاستوفينا ما استدعاه ذلك البيان الصريح وحمله وخطه القلم الفصيح

الاردة ولا اثباتا في ثغر الدين الاسدة ولا عهد فامتدا صبا الاعتدة ولا عرقا من الخلاف
الابدة وهو سبحانه يبقى ملككم ويصل سعده ويعلى أمره ويحرس مجده والسلام
الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى)
من جملة رسالة على لسان سلطانه أبي الحجاج يخاطب الرعايا ما نص محل الحاجة منه
والى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا
الطاغية الذى جرى في ميدان الامل جرى الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع
الغبوق والصبوح حتى طمع بمكر اغتراره وعض المساورة على يده بالوقائع
التي تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال الكلمة مطامع أفكاره ووثق بانه
يطفئ نور الله بناره ونازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره وادار اشياعه في البر والبحر
دور السوار على أسواره واستهزأ الفرصة بانقطاع الاسباب وانبهام الابواب والامور
التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين على مألوف الحساب وتكالب التثليث على التوحيد
وساءت الظنون في هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافرة والبحور الزاخرة
والمرام البعيد وانا صابرنا بالله تعالى تيار سيله واستمطرنا بنور التوكل عليه في جنح هذا
الخطب ودجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصي الخلائق واعتلقنا من حبله المتين باوثق
العلائق وفسحنا مجال الامل في ذلك الميدان المتضايق واخلصنا لله مقيل العثار
ومؤوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا وقصرنا عليه مطلوبنا ولم نقصر مع ذلك
في ابرام العزم واستشعار الحزم وامداد الثغور باقصى الامكان وبعث الجيوش الى
ما يليها من بلاد على الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا الى
حرمه فجلى بفضله سبحانه ظلم الشدة ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته
الممتدة وعرفنا عوارف الصنع الذي قدم به العهد على طول المدة ورماه بجيش من
جيوش قدرته أغنى عن ايجاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة
ملكه عند انقطاع الاسباب واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد
كان جمع على الحق بباطله وسد المجاز باساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب
شره وصيرها فريسة بين غربان بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم
مرفقة الا على الخطر الشديد والافلات من يد العدو العنيد مع توفر العزائم والحدقة
على العمل الحميد والسعي فيما يعود على الدين بالتأييد وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقوم
وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد
اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمه وحل تلك العزمه وموت شاه تلك الرقعه وأبقاه الله
تعالى على تلك البقعه وانه سبحانه أخذ الطاغية أكل ما كان اغترارا وأعظم أنصارا
وزلزلت أرض عزه وقد اصابت قرارا وان شهاب سعده قد أصبح آفلا وعلم كبره انقلب
سافلا وان من بيده ملكوت السموات والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلاته
عاجلها التباب والتبار وعاثت في منازلها النار وتمحص عن سوء عاقبتها الليل والنهار
وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم وينادي بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق

الفرسان من جميل الاثر المنقول الذي عليه من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط
الذي يجاريه فيه الحروب فأحرى بانفراج الضيق وارتفاع العائق عن الطريق وبر
البر الذي اسرى بالرفق وان النصارى دمرها الله تعالى حدث في ارتحالها وأرجفت
بعضها سهام السوء مآلها وحالها وصحب للنار والنهب باسلامها واواها فهربنا
هذا الصنع الالهي الذي مهد الاوطار وبعد رحامها وأنام العيون بعد سهاد أجفانها
وسألنا الله تعالى ان يعيننا على شكر هذه النعمة التي ان ساطت عليها قوى البشر فعصبها
ورجحها ورأينا سر اللطائف الخفيه كيف سريانه في الوجود وشاهدنا بالعيان انوار
اللطائف الالهيه والجود وعلمنا انما هو الفتح الاول بعده ثان وقواعد الدين الحنيف الذي
من صنع الله تعالى مشيد البنيان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنه والظاهر ونسئلك الوارده
امل ولسانا في الدنيا والآخرة انتهى (وفي انشا لسان الدين رحمه الله تعالى) من
أخرى فما على تفسير حال المسلمين بالاندلس مأمورية وان نوجه الى أحوال هذا
القطر ومن به من المسلمين عصمهم الله بدين الحق والفضل المبين فاعلموا ان هذ[ا]
الامام مدافع من العدو سارا ويكابر بدرار سارا ويتوقع الامان من الله تعالى خطوبا كبارا
ويعد السداد الى الله تعالى انتصارا ويلجأ اليه اضطرارا ويستمد المسلمين بكل قطر استمدادا
به واستظهارا ويستنير بخواطر المسلمين ما يعظم اخطارا ويستنزل روح الله
له مطارا فان الله وحس الاعظم يوم دين النصرانيه الذي يأمر فيطيع
وجماعته لا تستطيع رمى هذه الامه الغريبه المنقطعة منهم عن أدلاء فيه طريقها
ولا يخفى فريقها النصب على أخي صاحب قشتاله وعزمها أن يملكه بلده وتملكه أهله
ويكون الكل يدا واحده على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين
وهي شدة ليس لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها احد ولا وجد وقد اقتصروا البلاد
الغربيه والله تعالى ولي هذه الامة الغريبه وقد علمنا مثالها البدأ وربما عند من
بموى الضعف وندر اللطف الخفي ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل وهو سبحانه المرجو في حسن العقبى والمآل ونصرة الهدى على فئة الضلال
وما قال نبي كان الحق كبر ولا ذل من اعتز بالله عز فلا هل يتعرفون منا الا احدى
الحسنيين الا انه ودعا من قبلكم من المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال
محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة في جملتها مأمورية وقد اتصل بالعلم
الذي يوجب نصح الاسلام ورعي الجوار لذمام وما جعل الله تعالى للمأموم على
الامام ان طائفة من امرائكم المنتمين وجمع أهوائكم المدركة ونهيكم الى
مادته السدادية المرعية المرعية وهو أن كثيرا من النصارى الذي الله سيادين
وفي مرضاته يسادون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما راى المسد
أكلهم حصارا وسعيهم حصا فلم تفي عشاء ولا عطاء وشرب ما كان نطفا اعلى
بطنه فما تجمع منهم ما امرى ورفع ما طرى ورعوا من في المساب وحرى عزي

الاسلام باتة عددها القطر المثال وأمرهم وشامهم الامتثال أن يدعوا الى ارتضاء من أختته الطاعة ويجمعوا الى ملته الجامعة ويطلع الكل على هذه الفتنة الدلماء العربية بغتة كقيام الساعة وأنطهم قطع الله تعالى بهم العماد والبلاد والطارف والتلاد وسوّغهم الحريم والاولاد وبالله تعالى نستدفع مالا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج فاستدت طريقه الا ان أشاغفله الناس مؤذنة البوار واشعة الدين المنقطع من وراء البحار وقد أصبح صفة في لهوات الكفار وارد بان تهزكم بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالصراخة اليه والانكسار ونسخ الاعسار بالايسار واتحد اليمين باختها اليسار والا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار فان من ظهر عليه عدوّ دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف معروف وعلى الطعام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفذ فيه أوله قدر الله في أداء الواجب وبذل المجهود وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوّئة دار الخلود العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدوّ الله المحشور اليه المحشود صبرا على القيام المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تبين يد الله في ذلك البناء المهدوم بقوّة الله والمهدود والسواد الاعظم الممدود كان على احدى الحسنيين بالخيار المودود قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى * (وقال) صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الاندلس وأقطارها مأمورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في سلك الانقياد والوفاق الى ان طما مترفيها سيل العناد والنفاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط راسه وجعله معقلا يعتصم فيه من المخاوف بافراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه في عقر داره الى أن ضعفوا عن لقاء عدوّ في الدين يعادي ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادي حتى لم يبق في أيديهم منها الا ما هو في ضمان هدنة مقدرة واتاوة في كل عام على الكبير والصغير مقررة كان ذلك في الكتاب مسطورا وقدرا في سابق علم الله مقدورا انتهى * وهذا قاله قبل أن يستولي العدوّ على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولنرجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أوّل ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المطلة والحوادث المعضلة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ما جرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدوّ فيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى اسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر اراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدوّ على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذي النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط

قوله فاستدت في نسخة فيا سدت ا

قوله تهزكم في نسخة عيركم اه

الكافر العدو على أهل المدينة وصعب التيسير الى عامة طعامها وفسد أكثر من ذلك
مالا طاقة لهم به وشرع في تعمير الجامع كما هو في نسخ الاول سنة ست وستين وأربعمائة
وعاجزين في ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المقرئ رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه
وأمر مريدا له بالقراءة وانما الفرج لهم بالله تعالى ومكابرة والعسر العظيم فاحضر أحد
منهم على ارتفاع الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة
ورفع رأسه وبكى في الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل إن الملك
النصارى نهى أن يلبس التاج كي كان قبله في هذا الملك فقال حتى آخذ قرطبة وأعد
لذلك نادوسا بالى فيه وفعالج به من الجواهر ما كذبه الله وأرغمه وورد أمير المسلمين
وناصر الدين يوسف بن تاشفين فانتصر فهالهم في ادلال المشركين وارغام الكافرين
واسدد الى أمور المسلمين انتهى ملخصا وقد مر مطولا وكانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست
وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى اسدت منهم طائفة كثيرة ونزلت على
بلنسية في السنة المذكورة وأهلها غافلون بالحرب معرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون
على لذات النفس من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على منازلتها والعجز عن
مقاومة من بها وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم بطعمة واكمنوا في عدة أماكن جماعة
من الفرسان وخرج أهل البلد يتابعونهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز ابن أبي عامر
فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم
الا من شد أجله وخلص الامير فيه وفيما حفظ عنه انه انشد لما أعيا الامر

حلى لبس الرأي في صدر واحد • أشيرا علي اليوم ما تريان

وفي أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا في ثياب الزينة والبرده

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم • حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها • لو لم يكن ببطرنة ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جرى لأهل طليطلة فإن العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل
جماهيرهم وكان في جملة ما غنمه الفرنج من أهلها الذين خرجوا اليوم في ثياب الزينة الى غمار
سارها فما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر
مدينة بلد برطانية وهي شرقي مدينة سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش
الاردمليس نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل أهلها الى
نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع تنازع بين أهلها في القوت لقلته واتصل
ذلك بالعدو وشدد القتال عليها وانحصر أهلها حتى دخل المدينة الاولى في خمسة آلاف مدرع
فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وجرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة
افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب
موضوع انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن
المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال
فأعطاهم العدو الأمان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل

والقاضى ابن عيسى فى نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة مالا يحصى حتى ان الذى خص بعض مقدمى العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية ابكارا ومن اوقار الامتعة والحلى والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل واسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادى من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها اولولدها فيقول لها أعطيني مامعك فتعطيه مامعها من كسوة وحلى وغيره قال وكان السبب فى قتلهم أنه خاف من يصل انجدتهم وشاهد من كثرتهم ماهاله فشرع فى القتل لعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتأمين من بقى وأمر أن يخرجوا فازدحموا الى الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار فى الحبال للخشية من الازدحام فى الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحيز فى وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وساروا فى نفوسهم وانتظروا ماينزل بهم فلما خلت من اسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك فى الزحمة نودى فى تلك البقية بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وأرهقوا وازعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله فى منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم دارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بمواضع منيعة وكادوا يهلكون من العطش فامنهم الملك على نفوسهم وبرزوا فى صور الهلكى من العطش فأطلق سبيلهم فبيناهم فى الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل من نجا بأجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يفتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال مالم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك فى خادم أوذات مهنة أووخش اعطاهن خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثة وبلغ الكفرة منهم يومئذ مالا تلحقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجوارى الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفا عدة حملهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله ببربشتر ألفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان وأختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب أولى الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهى أن بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن فى سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا فى نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات فى خدمته فرحب بى وسألنى عن قصدى فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما أبذله فى بعض اللواتى على رأسه وفيهن كانت حاجتى فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضته لك أعرض عمن هنا وتعرض الى شئت ممن صيرته لحصنى من سبيى واسرائى من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا رأى لى فيه وبقربك

فضل وكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم تزل آفة
الناس مذ خلقوا في صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم
يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا
بما لا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن
الجماعة وجريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم
من التبيين لهم قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم وبين مستشعر
مخافتهم آخذ في التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول في أرض فسد ملحها
الذي هو المصلح لجميع أغذيتها وما هي الا مشفية من بوارها ولقد طما العجب من افعال هؤلاء
الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد
الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القائم يومئذ بأيديهم
اليه أمور اقبحها السور موذنات الصدور ببوار الغير

أمور لو تدبرها حكيم ● اذا لنهى وهيب ما استطاعا

انتهى باختصار ● ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٤٥٧ شاع الخبر
بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المفرط فيها والمتهم على أهلها
لاصراره ثم الى أخيه حمدانها مع امداد الطمعة عباد وسعى لاصحاب سوء المقالة عنه
وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يمحوه الا عفوه فتأهب المقتدر بشرقي جموع من
المسلمين عالدوا الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحيطة
والشجعان وحمي الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا
الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الا من ترس
مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف في الكافرين واستوصلوا أجمعين الا من
استرق من أصاغرهم وفدي من أعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم
وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب في محنة النصر المتاح طائفة من حماة
المسلمين الجادين في نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فيها من أعداء الله
الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجلوها
من صدا الافك انتهى وليت طليطلة الآن آنسة استرجعت كهذه ومع هذا فقد غلب العدو
بعد على الكل والله سبحانه المرجو في الادالة (وقال) ابن اليسع أخذ العدو مدينة تطيلة
وأختها طرشونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صارت مرسية الى الفقيه القاضي
أبي أحمد بن جحاف قاضيها ناصره الامير المسلمين يوسف بن تاشفين فحصر بها القادر
ابن ذي النون الذي مكن ادفونش من طليطلة فهجم عليه القاضي في لمة من المرابطين وقتله
ودفع ابن جحاف لما لم يعهده من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتد
بهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيبطئ عليه وفي أثناء ذلك انتهض يوسف بن أحمد
ابن هود صاحب سرقسطة رذريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضي
ابن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذي النون وأقسم أنها ليست عنده

مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان مبتئسا
وصيرتها العوادى العابثات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما انسا
فمن دساكر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفى عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثانى أصبحت درسا
وأربعا نمنمت أيدى الربيع لها * ماشئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النضر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا * عيث الدبا فى مغانيها التى كبسا
وابتز بزتها مما تحيفها * تحيف الاسد الضارى لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جنيناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما أحاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلا له الجو فامتدت يداه الى * ادراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحى ما طمست منها العداة كما * احييت من دعوة المهدى ما طمسا
أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بأمر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كتب التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضى الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الامير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذى ترجى السعود له * ما جال فى خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضى العزيمة والايام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا

المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكتندة وبقال قتندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو على الصدفى السابق الذكر قريبه فى الفصل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها * وقال غيره وانجلت العساكر انصرف مقاولا الى بلنسية وان القاضى أبا بكر بن العربى كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخباؤه يعنى انه ذهب جميع ماله به * ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبى محمد البياسى فى الفتنة التى كانت بينه وبين العادل فعاثوا فيها أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتى * ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدى عن أبى عبد الله بن سعادة الشاطبى المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه فى النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى بيده فى عضديه من خلفه وهزهما عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

ألا أيها المغرور ويحك لا تنم ✱ فلله فى ذا الخلق أمر قد انبهم
فلابد أن يرزوا بأمر يسوءهم ✱ فقد أحدثوا جرما على حاكم الامم

قال وكان هذا فى سنة أربعين وخمسمائة لبعض الاسبرجى تغلب الروم على المرية فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين أو نحوهما انتهى * وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ فى كتاب التكملة له * وفى وقعة المرية هذه استشهد الرشاطى الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمى الرشاطى المرينى وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار فى نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه وأحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب أبى سعد بن السمعانى الحافظ المسمى بالانساب * وولد الرشاطى سنة ٤٦٦ بقرية من أعمال مرسية يقال لها اوريوالة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفى شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٠ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطى بضم الراء وفتح الشين المعجمة وذكر وأن أحد أجداده كان فى جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته عجمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطى انتهى ملخصا من وفيات الاعيان وبعضه بالمعنى * وبعد أخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدى أهل الاسلام سنين * وكان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبد المؤمن بن على رجلا يقال له يوسف بن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقتلوه وقدموا على أنفسهم الرميمى وأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا وأحصى عدد من سبى من أبكارها فكان أربعة عشر ألفا *

قوله اللخمى فى نسخة ابن الحم اه

قوله أبى سعد فى نسخة أبى سعيد اه

ولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصربني عبد المؤمن مدينة قصر أبي دانس في الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم انه يروم القيام عليه * ومن شعره قوله في ابن صاحب أعمال اشبيلية

لاتيأسن من الخلافة بعدما * ولي ابن عمرو خطة الاشراف
تالدهر جــــدّه أعماله * بوضع النوافج في يدي كاف

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهي قاعدة بلاد الجوف في مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هي مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة المظفري خمسون مجلدا اشتمل على فنون وعلوم من مغازوسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله مايمنعني من اظهار الشعر الا كوني لا أقول مثل قول أبي العشائر بن حمدان

أقرأت منه ماتخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبي فراس ابن عمه

وجدنا العوالي في مقام * تحدث عنه ربات الحجال
كأن الخيل تعلم من عليها * ففي بعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولي

أنفت من المدام لأن عقلي * أعز علي من أنس المدام
ولم أرتح الى روض وزهر * ولكن للحمائل والحسام
اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغي الشموف على الانام

وله رحمه الله تعالى

ياخاطبه زد فتورا * ترد علي اقتدارا
فالخط كالسيف أمضا * ه مارق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رحال الآداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الفازازي وقيل انها وجدت برقعة في جيبه يوم موته

الروم تضرب في البلاد وتغنم * والجور يأخذ مابقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة * والجند تسقط والرعية تسلم

قوله ودخل الخ هكذا في الاصل ولعل صوابه وأخذ الخ فتأمل اه مصححه

وشرط عليها حمل السلاح * وفى سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالى وميز منها على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالى أمر صاحب شرطته أن يأتيه بأربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيرى ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيرى وأخبروه بما رل وعزوه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على طلب الثار وأصبح الوالى يوم الجمعة منتصف شوال والناس من خوفه فى أهوال ومن أمر العدو فى اهمال وأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة وأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالى وأخبره بأن الروم قد أقبلت وانه عدّ فوق الاربعين من القلوع وما فرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدو قد تظاهر وقال انه عدّ سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرّفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كأنما نشروا من قبورهم ثم ورد الخبر أن العدو قرب من البلد فانهم عدّوا مائة وخمسين قلعا ولما عبروقصد المرسى أخرج الوالى جماعة تمنعهم النزول فأتوا على المرسى فى الرجل والخيل وفى الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الجزية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر فى شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيرى ان العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادى عشر من صفر قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا قتلوا على دم واحد وأخذ الوالى وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت العذاب وأما ابن سيرى فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده ستة عشر ألف مقاتل ومازال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وجده من آل جبلة بن الايهم الغسانى وأما الحصون فأخذت فى آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفى شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد الاسلام انتهى ما ذكره ابن عميرة المخزومى ملخصا * وكان بميورقة جماعة اعلام وشعراء ومن شعر ابن عبد الولى الميورقى

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران
مهجتى منك فى جحيم ولكن * جفونى قد متعت فى جنان
فتنتنى لواحظ ساحرات * لست أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة فى التاريخ المتقدم ثار بجزيرة ميورقة وهى قريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشى وكان وليها من قبل الوالى أبى يحيى المقتول وصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن على بن سعيد أخبرنى أحد من اجتمع به انه اتى منه بزاجبرالبه الاقامة فى تلك الجزيرة المقطعة وذكر انه ركب معه فنظر الى

وليل شبابى كان انصرم مطرا * وآنق مهما لاحظته عيون
فآهاعلى عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا وحجون
ويا ويح مودى أو فؤادى كلما * تريد شيئي كيف بعد يكون
حرام على قلبي سكون بعزة * وكيف مع الشيب المحص سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فمالى عرانى للمشيب جنون
وقالوا شبابك الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال أيضا

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى * وما أحد يارب منك بذا أولى
تبارك وجه وجهت نحوه المنى * فاوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الاوجهك الدائم الذى * أقل حلى عليائه يخرس القولا
تبرأت من حولى اليك وقوتى * فكن قوتى فى مطلبى وكن الحولا
وهب لى الرضا مالى سوى ذا مبتغى * ولو لقيت نفسى على يده الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا فى نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكامه أسانيده ذاكرا للرجال ريان من الادب خطب ببلنسية واستقضى وكان مع ذلك من أولى الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وأبلى بلاء حسنا وروى عن أبى القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتبا منها مصباح الظلم فى الحديث والاربعون عن أربعين شيخا لاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث الصدفى وحلية الامالى فى الموافقات والعوالى وتحفة الوراد ونجعة الرواد والمسلسلات والانشادات وكتاب الاكتفاء فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازى الثلاثة الخلفاء وميدان السابقين وحلية الصادقين المصدقين فى غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام باخبار البخارى الامام والمعجم فى مشيخة أبى القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب فى سنى الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصح فى معارضة المعرى فى خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج فى ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعرى فى ملقى السبيل ومجاز فتى اللحن للاحن الممتحن مائة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم فى مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان أحسن وله كتاب الصحف المنشرة فى القطع المعشرة وديوان رسائله سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبى بحر صفوان بن ادريس المرسى عقب انفصاله من بلنسية سنة ٥٨٧

أحن الى نجد ومن حل فى نجد * وماذا الذى يغنى حنينى أو يجدى
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقى اليهم * ووجدى فساوى ما أجن الذى أبدى

وابن ايام الزمان بعده * وكانت جديدا فى الخطوب جديدا
فلا ليلة الا يروقك حسنها * ولا يوم الا عاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

الا ليت شعرى هل يمد لى المدى * فابصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقصى فى النصارى بنصرة * تغادرهم للمرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب فى شنت ياقب * يعيد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على ادراجهم عب كلكل * فيتركهم فوق الصعيد هجودا
يغادرهم جرحى وقتلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويفتك من أيدى الطغاة نواعما * تبدلن من نعم الحلول قيودا
وأقبلن فى خشن المسوح وطالما * سحبن من الوشى الرقيق برودا
و قسبر منهن التراب ترائبا * وخدد منهن الهجير خدودا
تحق لدمعى أن يفيض لأدرق * تملكها دعج المدامع سودا
ويالهف نفسى من معاصم طفلة * تجاور بالقيد الاليم نهودا
ويا أسفى من مال يرال مردّدا * على شمل أعياد أعيد بديدا
وآهاء بد الصوت منضيا على * خلو ديار أو يكون مميدا

وقال فى آخرها وهو مما استحسنه الناس

سمات اليه من نظامى قلادة * يلقها أهل الكلام قصيدا
غدت يوم انشاد القريض وحيدة * كما قصدت فى العلوات وحيدا

ولما تمهدت الاندلس لعبد المؤمن وبنيه كان اهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولى بعده ملكه ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٥٦٦ وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فجاءه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مرد نيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه غرص عات وشرع السلطان يوسف فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس واغارت سراياه على طليطلة اذ هى قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة * ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لأخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق عن القصائد الموجهة فى ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبا زكريا عبد الواحد بن أبى حفص

نادتك أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فاحبها * من عاطفاتك ما يقى حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * ترد على أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى اوت لايالة * ضمنت لها مع نصرها ايواءها

هبوا لها يا معشر التوحيد قد * آن الهبوب وأحرزوا علياءها
ان الحفائظ من خلالكم التى * لا يرهب الداعى بهن خلاءها
هى مكنة الهيجاء فيها لابها * تجدوا سناها فى غد وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغى على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها * فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
حاشاكم أن تضمروا الغاءها * فى أزمة أو تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصبح لكم * رهوا وجوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ مثوبا يدعو لها * فلتعملوا قصد الثواب ثواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها
هذى رسائلها تناجى بالتى * وقفت عليها ريثها ونجاءها
ولربما أنهت سوالب للنهى * من حادثات جلت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتنى * آلاءها وتجتلى آراءها
مستسقيات من غيوث غياثها * ما ودعه يتقدم استسقاءها
قد آمنت فى سبلها أهواءها * اذ سوغت فى ظلها أهواءها
وبحسبها أن الامير المرتضى * مسترقب بفتوحها آناءها
فى الله ما تنويه من ادراكها * بكلاءة يهدى أبى اكلاءها
بشرى لأندلس تحب لقاءه * ويحب فى ذات الاله لقاءها
صدق الرواة المخبرون بأنه * يشفى ضناها أو يبيد رواءها
ان دوخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيع اباءها
فكأن بصيلمه العرمرم فالقا * هام الاعاجم ناسفا أرجاءها
انذرهم بالبطشة الكبرى فقد * ندرت صوارمه الرقاق دماءها
لا يعدم الزمن انتصار مؤيد * تتسوغ الدنيا به سراءها
ملك أمد النيرين بنوره * وأفاده لألاؤه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له * فسما اليها حاملا أعباءها
سل دعوة المهدى عن آثاره * تنبيك أن ظباه حن ازاءها
فغزا عداها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له فى قده أمراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لهداه شرف وسمه أسماءها
نطقو بتونسها بحار جيوشه * فيروز زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة * والارض طرا ضنكها وفضاءها
ما ازمع الايغال فى اكنافها * الا تصيد عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلى شماءها

٢.

وكانت دار ايمان وعلم * معالمها التى طمست تنير
فعادت دار كفر مصطفاة * قد اضطربت بأهليها الامور
مساجدها كنائس أى قلب * على هذا يقر ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا * يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حين ليس يطوى * الى يوم يكون به النشور
اديلت قاصرات الطرف كانت * مصونات مساكنها القصور
وأدركها فتور فى انتظار * لسرب فى لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات أولى * لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين * وكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الاخوان انا * باحزان وأشجان حضور
نذور كان للايام فيهم * بهلكهم فقد وفت النذور
فان قلنا العقوبة أدركتهم * وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم وأشد منهم * نجور وكيف يسلم من يجور
أنأمن أن يحل بنا انتقام * وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار * اليه فيسهل الامر العسير
ولكن جرأة فى عقر دار * كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم اذا ما * على العصيان أرخيت الستور
يطول على ليلى رب خطب * يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة وانصروها * فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب * تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى * بكم من أن تجاروا أو تجوروا
أصبرا بعد سبى وامتحان * يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصقر … كارولود * وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا * وليس بمعجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا * ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى * أمات المخبرين بها الخبير
أتتنا الكتب فيها كل شر * وبشرنا بأنحسنا البشير
وقيل تجمعوا لفراق شمل * طليطلة تملكها الكفور
فقل فى خطة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعول * على نبأ كما عمى البصير
تجاذبنا الاعادى باصطناع * فينجذب المخول والفخور
فباق فى الديانة تحت خزى * تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه * مصائب دينه فله السعير

كفى حزنا بأن الناس قالوا * الى أين التحول والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها * وليس لنا وراء البحر دور
ولا ثم الضياع تروق حسنا * نباكرها فيعجبنا البكور
وظـــل وارف وخرير ماء * فلا قـــرّ هناك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طري * ويشرب من جداولها نمير
يؤدى مغرم في كل شهر * ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى * بنا وهم الموالي والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين * وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن * غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق يا لله ماذا * رآه وما أشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه * فما ينفي الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا في فلاة * حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تجنح الى سلم وحارب * عسى أن يجبر العظم الكسير
أنعمى عن مراشدنا جميعا * وما ان منهم الا بصير
ونلقى واحدا ويفر جمع * كما عن قانص فرت حمير
ولو انا ثبتنا كان خيرا * ولكن ما لنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل * فليس بنافع عدد كثير
الا رجل له رأي أصيل * به مما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ما هذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * بأندلس قتيل أو أسير
اذكر بالقراع الليث حرصا * على ان يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تنخسف البدور
يوسع للذي يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جيرة اذ لا مجير
فليل فيه هم مستكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الاديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى

لكل شيء اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان

ويبتني

وينتضي كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في ارم * وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها * وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم * واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان

كأنما انسلك ديناره * وكفها يمتسل منه السوار
كأنما الطلاء مطلومة * تحكم الصبح عليها الخيار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غني من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبي عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * شخص له في كل معنى يشار
أما المعالي فهو قطب لها * والقطب لا شك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلى * مهذب الطبع كريم النجار
ترهى به حلم وساداتها * وتنتمي قيس له في الفخار
يبيض من جود يديه على * عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * واليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر عاقد جني في اعتدار
فان شكرنا فضله مرة * فقد سكرنا من نداه مرار
وشمس منه في جوار العلى * تدور للسعد بما منه دار
الحافظ الله وأسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضي أبو المطرف ابن عميرة المخزومي الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهي

ألا فتنة للدهر تدنو بمن نأى * ويقيا يرى منها خلاف الذي رأى
ويامن عذيري منه يعدو من أوى * اليه ولا يدري سوى خائف من وأى
ذخائر ما في البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا يبقى عليه ولا وأى

أيها الاخ الذي دهش ناظري لكتابه بعد أن أدهش خاطري من اغبابه وسر بي من بشره ايماض بعد أن ساءني من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة بقوم قدح سعتها وروى أكناف قلعتها وأحدث ذكرا من عهد الماضي فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤسه وسقى عاه الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغريبة مرآه فورد فيه أحوذيا وصل رحه وكسا منظره من البهجة ما كان حرمه وحيا الله تعالى منه ولياعلى سالف عهدي غادي وشعار ودي بادي وبين الاحسان شيمته وأبان البيان لا تصاب عمد ديمته ولا تعلق بغير قلمه قيمته واعتذر عن كلمة في تبديلها ودعوة ذكروم النادي لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من حيده وتوغر زعم صدور قلم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تسمعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غرة من النابي رأس طمرة ولم يأمن هيران المهاجر بعدونه له وعكر عكرمة المفطي يحمله على أبي جهله وعند كر كتيبة خالد أنجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلم فاعتذر عما قال وأضمر الحذر الآن يقال جهلا أيها الموفي على عله المنافث بسحر قلمه أنطق منزلتك في البلاغة ومهيعها لاحب ومتزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترفعت أو تحني وان تلمعت

يحن وما يجدي عليه حنينه * الى أربع معروفها متنكر

ويندب عهدا بالمشقر فاللوا * وأين اللوا منه وأين المشقر

تغير ذاك العهد بعدي وأهله * ومن ذا على الايام لا يتغير

وأقفر رسم الدار الا بقية * لسائلها عن مثل حالي تخبر

فلم تبق الا زفرة اثر زفرة * ضلوعي لها تنقد أو تتفطر

والا اشتياق لا يزال يهزني * فلا غاية تدنو ولا هو يقصر

أقول لساري البرق في جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكي ويسهر

تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوا والشيء بالشيء يذكر

أتأوي لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر

وتحمل أنفاسا كوهجك نارها * اذا زفرت تبدو لمن يتنور

يقر لعيني أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناي تبصر

وان يترا آلك الخليط الذين هم * بقلبي وان غابوا عن العين حضر

كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد بدرنا وننفر

وانا كلينا من مشوق وشائق * سار اغتراب في حشاه تسعر

ألا ليت شعري والاماني ضلة * وقولي ألا يا ليت شعري تحير

هل النهر عقد للجزيرة مثل ما * عهدنا وهل حصباؤه وهي جوهر

وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر

وتلك المعاني هل عليها طلاوة * بما راق منها أو بما رق تسحر

ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر

وقبلي ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر

بحيث رياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر

ليال بماء الورد ينضح ثوبها * وطيب هواء فيه مسك وعنبر

وبالجبل الادنى هناك خطى لنا * الى اللهو لا تكبو ولا تتعثر

جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر

ومورد ماء قلت قلب كقلة * حذارا علينا من قذى العين تستر

وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * ونصحبه مستقبلا حين يذعر

نقود اليه طائعا كل جارح * له ظفر رحب وخصر مضمر

اذا ما رميناه به عيث به * مدللة الاطراف عنه تكشر

تضم لاروى النيق جرذان سهلها * وقد قدرت فيها مهاة وجؤذر

كذلك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشتت منذر

وفرقهم أيدي سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجزيره وطي بساط الجزيره أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف وبمطمحها عروسا في نهاية الطرف فخلي عن الذروة من أخلاها

أسارى الصفق الظلم بجمع أوصاب ماله من امضاض ومضض اغتراب شذ عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ما ضرب المثل بالحارث يالله من جلاء ليس به يدان وثناء قلما يسمر عن تدان وعهد بالجد العاثر لقاؤه وأعجز ورام الجلد الصابر انقضاؤه فأعجز هؤلاء الاخوان مكنهم لايتمتع بهم أوان وبينهم كبت الارض ألوان بين هائم بالسرى ونائم فى الثرى من كل مستنديد بطل أو مطيق غير ذى خطل ولا خطل قامت عليه النوادب لما قعدت به النوائب وهجمت بيوتها الفلاة الجماجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشيب فيها بمحاسن الاحساب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخنى عليها الذى أخنى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتثار والاصطلام حين وقعت أنسرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولا غصن
واها وواها يموت الصبر بينهما * موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين جداولها الطافحة وخمائلها أين جنانها النافحة وشمائلها شد ما عطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها فأية حيلة لا حيلة فى صرفها مع صرف الزمان وهل كانت حتى باتت الارونق الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث داء عقرها أن دب الى جزيرة شقرها فامتزج عذبها النمير وذوى غصنها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهى دانيه وبالشاطبة وبطحائها من حيف الايام واجحافها ولهفاه ثم لهفاه على تدمير وتلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص وواديها كلها رعى كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار أكثرها وطمس الكفر عينها وأثرها وتلك البيرة بصدد البوار وريه فى مثل حلقة السوار ولا مرية فى المرية وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بهاك لاول ناطق بهات ماهذا النفخ بالمصور أهو النفخ فى الصور أم النقر عاريا من الحج المبرور وما للاندلس أصيبت بأشرافها ونقصت من أطرافها قوض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الآذان أجنت مالم تجن الاصقاع أعقت الحق فعاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع فى أحصن جنه هذه المروانية مع اشتداد أركانها وامتداد سلطانها ألقت حب آل النبوة فى حبات القلوب وألوت ماظفرت من خلعة ولاقلعة بمطلوب الى المرابطة بأقاصى الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى الهضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه وموالاة الشريعه فليت شعرى بم استوثق تمحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا طالما شرح صدر ومن الانباء ما فيه مزدجر جرى عالم بقدره

خواتم رب ربات حجال أعد من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخبها احرام أحزم واشعار الصدق من شعارات القص أرم ركنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كاهديت للتسديد يوم بيّ خاتم الانبياء وبيّ بالنور المنزل عليه والضياء (فصـــل) وكان قبيل المبعث وبين يدي لم الشعث يثار على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعهد ويرجى تلك المدة فى التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور وفيه رفع المضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لاينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالصحو وقد كان لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح فعوره بالكلاءه وأمره بالقراءه وكلما تعبس له غطه ثم أرسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالي رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد علق فاتحة العلق فلا يجرى عبيرها على لسانه وكانما كتبت كتابا فى جنانه (فصـــل) ولما أصبح يوم الاهل وتوسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل ومانضا الوجل نوجي بما فى الكتاب المسطور ونودى كمانودي موسى من جانب الطور فعرض له فى طريقه ماشغله عن دريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك فى صورة رجل متمثلا يشرّفه بالنداء ويعرّفه بالاجتباء وانما عضد خبر الليله بعيان اليوم وأرى فى اليقظة مصداق ماأسمع فى النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ماورد فى الاثر وسرد رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطر بالا آن وغير بدع ولابعيد أن يبدأ الوحى بعيد كاختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لماسمع نداءه وراءه وثبت لايتقدم أمامه ولايرجع وراءه

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متقـــدم عنه ولا متأخر

ثم جعل فى الخوف والرجاء لايقلب وجهه فى السماء الاتعرض له فى تلك الصوره وعرض عليه ماأعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويسلك حتى عن التأمل

تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلى بالحياء حقيق

أذود سواد الطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصـــل) وومقت خديجة لاحتياسه فأمعنت فى التماسه تزوجوا الودود الولود ولهورها بل لفوزها بعثت فى طلبه رسلها وانبعثت تأخذ عليه شعاب مكة وسبلها (ان المحب اذا لم يستزر زارا) طال عليها الامد فطار اليها الكمد والمحب حقيقه من لابعيق ريقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفى وجود المحبوب الاشرف وجوده

كأن بلاد الله مالم تكن بها * وان كان فيها الخلق طرّا بلاقع

أقضى نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع

نهارى نهار الناس حتى اذا دجى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

لقد ثبتت فى القلب منك محبة * كما ثبتت فى الراحتين الاصابع

ان كل الناس عندى فادا * عبت عن عينى لم ألق أحد

مكنت للرياسة مواسية وآسية فثلثت في مجموعة الجنة مريم وآسية ثم ربعت البتول وبرعت نطقت بذلك الآثار وصدعت خير نساء العالمين أربع * (فصــــل) * الى البتول نسبها الشرف التالد وسبق العصر بالام الكريمة والوالد سمات في الجيل الجليل وتجلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح في الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وأبيها ان أم أبيها لاتحداها شيها ثمرة النبي وطلبة الوصي وذات الشرف المستوى على الامد القصى كل ولد الرسول درج في حياته وجاءت هى ماجاءت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لافرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته ختمت بالتطهير والتكريم وزفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفو العارفة والمنه وولدا سيدى شباب أهل الجنه عوضت من الامتعة الماثوره بسيدى الدنيا والآخره ماأثقل نحوها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وجاءت لاحلية معها في اهداء الحلة السيراء صاهره الشارع وشاء الله وقال في بعض صعلوك لامال له يرفع درجات من يشاء (فصــــل)

أأتعتب الايام أولاد احمد * وأولاد من عاداهم تتودد

ويضحى وبنطما أحمد وبناته * وبنت زياد وردها لايصرد

اذى دينه في أمنه في بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد

وما الدين الا دين جدهم الذى * به أصدروا في العالمين وأوردوا

انتهى ماسنح لى ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية في بابه ولم أورد منه غير ماذكرته لانى في الباقى ماتشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه بمنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ماكنا بصدده فنقول قد ذكرنا في الباب الثانى رسالة أبى المطرف بن عميرة الى أبى جعفر بن أمية وهى مشتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بلنسية وظهرت له مخايل الاستيلاء على مابقى من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام في ذكرها هنا فالمناسبة هنا حاصلة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه رحمه الله تعالى تتعلق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا مارأيته بخط الاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى ماصورته حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن ابن القائد الرئيس الافضل سيدى ابراهيم العراف أنه حضر مرة لازال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة القديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه بولاة الحال دوّار

وفارس روحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار

فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

انتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذى ليس له في الحسن

وتضنيته الممسوخه وختانه الثغطيس وغافرذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه لبس اليمين ولا الصحيح وأن ذلك الرب قد ضرّج بالدماء وسقى الخل عوض الماء وان اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مطلوبا وقهرته مغلوبا وانه جزع من الموت وخاف الى سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مقدار الذرة أو يطمع منهم في جلب المنفعة أو دفع المضرة اللهم احفظ علينا العقل والدين واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ما صورته وكانت خزانة هذه الدار المصرية مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وحام من العدة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة ونادر من الامتعة من عقود ومدة وسلوك جمة واقراط تفصل على قرطي مارية نفاسة فائقة وحسنا رائقا ومن سيوف شواذ الابداع غرائب في الاعجاب منسوبات الصفائح في الطبع خالصات الحلي من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس في يوم الحرب مشهورة النسبة الى داود نبي الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب ديباجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية النضيد زبرجدية التقسيم ياقوتية المركز ومن مناطق لجينية الصوغ عريضة الشكل مزججة الصعيم ومن درق لمطية مصمتة المسام لينة المجسة معروفة المنعة صافية الاديم ومن قسى ناصعة الصبغة هلالية الخلقة منعطفة الجوانب زاوية بالحواجب الى آلات فاخرة من اوتار نحاسية ومنا بلورية وطيافير دمشقية وسبحات زجاجية وصحاف صينية وأكواب عراقية واقداح طباشيرية وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك التهمه شواظ الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة ورزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهر بمثله وتقصر ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع) ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق المالك بعد اتساعه وصار بين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقي من الجزيرة ملوك بني الاحمر فلم يزالوا مع العدو في تعب وممارسة كما ذكره ابن عاصم قريبا وربما انتصروا في الكفار كما علم في أخبارهم واستصرخوا ملوك فاس بني مرين في بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبي العاصي والشيخ أبا عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى في الساعة التي كسر خواطرهم فيها صاحب المغرب وظهرت في ذلك كرامة لسيدي أبي عبد الله الطنجالي رحمه الله تعالى * ثم ان بني الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا في جهاد وجلاد في غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى ادرك دولتهم الهرم الذي يلحق

٢ قوله ومنا هكذا في الاصل ولعله بعض كلمة وليحرر وكذلك قوله وسبحات محل نظر اه

أحد وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عند ما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بجماعتهم واذا بالسرعان من أهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد محاصرهم المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن البلد لم يحصوا فاطلقوا ألسنتهم وأقبح الكلام فيهم وفي الوزير ومن معهم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا في جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى وعند ما صح هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد والصلاح الرجوع الى غرناطة ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد وعند ما أقلع المسلمون عنها دخلها النصارى الواردون وتشاوروا في اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك اجناده ورتق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وشاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادي آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها وفي جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا في ذلك واذا به قد قصد لوشه ونازلها قصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة من المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فالجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفي هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته الرومية ثريا واستقرا بوادي آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفي صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش في نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب المقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا في اوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم في كل محل حتى بلغوا مالقة ففر كبيرهم ومن بقي أسر أو قتل وكان السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب وبقي أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى في هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من

أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة
والخاصة من أهل غرناطة عندما بلغهم الخبر وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس
وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه وإذا بالسرعان من أهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى
البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد
الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا
فأطلقوا ألسنتهم بأقبح الكلام فيهم وفي الوزير وبينما هم كذلك وإذا بالنذير جاء أن النصارى
أقبلوا في جمع عظيم لإغاثة من بالحامة من النصارى فأقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا
ملاقاة الواردين من بلاد العدو فلما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم
وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى
الفرسان والرجال وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى وعندما صح هذا عند العسكر
اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعداد والصلاح الرجوع الى غرناطة
ليستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد وعندما أقلع المسلمون
دخلها النصارى الواردون وتشاوروا في اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها
وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك أجناده وترك
فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان
النصارى في غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وغاب السعد لذلك بأن
شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل
بسطة ووادي آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الاياس من ردها * وفي جمادى الاولى
من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع
الناس بغرناطة وتكلموا في ذلك وإذا به قد قصد لوشة ورامها قصد أن يضيفها الى الحامة
وجاء بالعدة والعدد وأغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من لحقوه وأخذوا جملة
من المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فألجؤوهم الى
الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك
في السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفي هذا اليوم بعينه هرب
الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يفتك بهما باشارة حظيته
الرومية ثريا واستقرا بوادي آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة
وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفي صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة
اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش في نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب
اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب انتقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ
حصن ونشبوا في أوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار
المسلمون ينالون منهم في كل محل حتى بلغوا مالقة فقتل كثيرهم ومن بقي أسر أو قتل وكان
السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت قد تحرك لنواحي المنكب وبقي أخوه أبو عبد الله بمالقة
ومعه بعض الجند وقتل من النصارى في هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من

ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا بأموالهم وأولادهم مؤمنين وفرّ الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدوّ على عدة حصون مثل مشاقر وحصن اللوز وضيق العدوّ بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الا استأصلها ولا قصد جهة الا أطاعته وحصلها ثم ان العدوّ دبر الحيلة مع ماهو عليه من القوة فبعث الى السلطان أبي عبدالله الذى تحت أسره وكساه ووعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقي بسطة وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فانه فى الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج للمشرق فأطاعه أهلها ودخلت بلش فى طاعته ونودى بالصلح فى الاسواق وصرخت به فى تلك البلاد الشياطين وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذى لايخفى وتبعهم بعض المفسدين المعتدين لتفريق كلمة المسلمين وممن مال الى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين الى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذى كان مأسورا عند المشركين ووقعت فتنة عظيمة فى غرناطة تقسمها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدوّ على تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول عام أحد وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام وبلغ الخبر أن السلطان الذى قاموا بدعوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزغل صاحب قلعة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت ايالته بلوشة أوبأى المواضع أحب ويكونون يدا واحدة على عدوّ الدين وبينماهم كذلك اذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبدالله الذى كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد والمعاضدة وابهم وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرخت الالسن بأن ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة فى ربضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد فى السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهى أعنى لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى فى غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقى السلطان أبو عبدالله الذى كان مأسورا مع النصرانى بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بأنه ماجاء للوشة الا ليدخل اليها العدوّ الكافر ويجعلها فداءله وقيل انه سرح له حينئذ لانه اذ كان مرهونا فى الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين فى ذلك وظهر بذلك ما كان كامنا فى القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور * وفى نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة وهدّ بعض الاسوار وتوعد الناس فأعطاه أهل الحصن على الامان خرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا ولما ضاقوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الامان خرجوا الى غرناطة

قوله التلين فى نسخة المثلين اه

وأطاع أهل منتشر من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى منتفريد فرمى عليهم
بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة واشتغل العدو
بأخذها وحصن هند الحصون كلها وعمرها بالرجال والعدد ورتب فيها الخيل لحصار
غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذي في امره بأن من دخل في حكمه
وتحت أمره فهو في الامان التام واشاعوا ان ذلك بسبب ثبت وتعصبه من صاحب
البيازين فخرج للبلش واطاعه ثم بعث لبلش والا من البلاد الى تسلم حصن وتعددوتن وان
من دخل تحت أمره أمن من حركة النصارى عليه وان معه وبان عطوط السلاطين لم
يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلما رأوا هذا الصلح وبانا وأهل صحبه
الدلائل وبكا رأى أهل غرناطة بالكلام الشنيع مع مكن الفتنة والعداوة في القلوب
بعث لأهل البيازين انه اذا ادعوهم بعد الفتح لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته في
غير الناس مال على من عمله ولم يكن يظن اتباعه معه فأتى البيازين ودخلها ونادى
في أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا ما نعهد لوسعه من
قدم وقد دخل رأس البيازين بالرجال سادس عشر شوال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه
بالحمرا اواشتغل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين
بالرجال والعدد والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمر ذلك وعظمت أسباب
الحرب ووقع بين الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم
سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين
عنوة وتكلم أهل العلم فمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله
ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخول فتح ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد
والقواد من أهل بسطة ووادي آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار
وعمروا غرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على أن يدهم واحدة على أعداء الدين ونصر من
قصد العدو من المسلمين وبات صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة في ذلك فخرج
بجملته قاصدا لوادي بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن
المنشا بذكره وعرف ومعه النصيحة في عقود الصلح فمانعت مالقة وحصن المنشا دعوته
ودخلوا الى المنكب فأمن صاحب قشتالة وصوله وطمعا في الصلح وحده ثم اجتمع كبار
مالقة مع أهل بلش وذكروا انهم بسبب دخولهم في هذا الغدر والسبب الحامل لهم على ذلك
لم يسمع أهل بلش بما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق
وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها في ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين
وثمانمائة وحاصرها ولما صح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فأشاروا بالمسير
لاغاثة بلش للعهد الذي عقدوه وأتى أهل وادي آش وغيرها وجنود الشرق وخرج
صاحب غرناطة ثاني الرابع والعشرين لربيع الثاني من السنة ووصل بلش فوجد
العدو نازلا عليها برا وبحرا فنزل على مقابله وكثر اغتباط الناس وحملوا على النصارى من غير
تعبئة ومن غير تركيبهم لذلك فلما بلغ السلطان الزغل ان غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا

مع النصارى مثلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى ثمانين
وجاء منهم ولا حول ولا قوة الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند العوام ثورة
غرناطة على السلطان فقصدوا وادى آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا رتبوا
جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة ربضها وقصبتها
وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار
جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة
وأطاعت النصارى جميع البلاد التى بشرقى مالقة وحصن قمارش ثم انتقل العدو الى حصار
مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها
النصارى بالمرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب
البيازين وقائد شريش الذى كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام
جبل فارة وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادى آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة
ونازلها برا وبحرا وقاتل أهلها قتالا عظيما بعد انفسهم وعدتهم وخيلهم ورجالهم وطال
الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل
اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع
ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فنى ما عندهم من الطعام فأكلوا المواشى
والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون فى الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر
فيهم الجوع ومشاق أهل نجدتهم القتل ولم يظهروا مع ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف
حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى فى الامان كما وقع
من سواهم فعوتبوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التجاءهم
تؤمنون من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان ما يعاملكم الا بالخير اذا فعلتم
وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين
وتسعين وثمانمائة ولم يبق فى تلك النواحى موضع الا وملكه النصارى * وفى عام ثلاثة وتسعين
وثمانمائة خرج العدو الكافر الى الشرقية وبلش التى كانت فى الصلح فاستولى عليها واحتجوا
بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها صلحا ثم رجع لبلاده * وفى عام أربعة وتسعين
خرج لبعض حصون بسطة فأخذها بعد حرب واستولى على ما هنالك من الحصون ثم نازل
بسطة وكان صاحب وادى آش لما تعين العدو لمحلته بعث جميع جنده وقواده
وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نازل
العدو بسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة
حتى تقهقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقى الامر كذلك
رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدو شدد الحصار وجد
فى القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع
واشتد الحال فى القعدة والحجة وقل الطعام وفى آخر الحجة اختبروا الطعام فى خفية فلم
يجدوا الا القليل وكانوا طامعين فى اقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدو بنى

وعزم على الإقامة ونادى الناس على المسلمين فتكلموا في الصلح على ما فعل غيرهم من الأماكن
وظن العدو أن الطعام لم يبق منه شيء وأن ذلك هو الملجئ لهم للكلام فبقي مراعيه ذلك
فمالوا في إظهار جميع أنواع الطعام بالأسواق وأبدوا للعدو أنه مع كونهم في غاية
الضعف والحرب شديدة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم فوجد بين يدي ما عليه
البلد وما عمه الناس وصدقتهم ما الطعام والقوت فأعطوهم الأمان على أنفسهم دون
من أعانهم من أهل وادي آش والمنكب والمرية والبشرات فإن دفعوه وأخذوا عنهم جمع لهم
الأمان وإلا فلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام ووقف أهل البلد من كتب
السر فاتفقوا على أن يكون العقد على بسطة ووادي آش والمرية والمنكب والبشرات
ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء في طاعة العدو على شروط شرطوها وأظهروا [illegible]
للناس وتسهلها مكرهم وقبض الرؤساء مالا وحصلت لهم فوائد * وفي يوم الجمعة عاشر
محرم سنة خمس وتسعين دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم تعلم العوام
كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا إنهم من بني عمه فهو آمن ومن أشرف
خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدو المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الغدر
ثم ارتحل العدو للمرية وأطاعه جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادي آش للمرية ليلقاه
ثم أعطيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت
طاعته في البلاد التي تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه إلى وادي آش
وكذلك من قاموا له فما أخذ مثل العام المذكور وأطاعه جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة
وقراها وجميع ما كان في حكم صاحب وادي آش صار للنصارى في طرفة عين وجعل
في كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد في المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم المكس إرسالا
من عند صاحب قشتالة إكراما منه لهم برعيهم فتنالهم [illegible] منه الألوف والرسالة
وعده ودفع بالتي هي أحسن ثم أخذ في ترك المذمة وعمر بسبب وحصنه ومن الجميع
بالرجال والذخيرة وأظهر الضعة والصلح مع صاحب وادي آش وأباح الكلام بالسوء
في حق صاحب غرناطة مكرا منه وخديعة وحذا عاقبتها ثم بعث في السنة بعينها إلى صاحب
غرناطة أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت إيالته ويعطيه
مالا جزيلا على ذلك وأي بلد شاء من الأندلس يكون فيها تحت حكمه فأبوا وأبطأ منه
صاحب غرناطة في ذلك فخرج العدو في جملة لقصد الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا
في فرض السلطان بجمع صاحب غرناطة الأعيان والكبراء والأجناد والقواد والفقهاء والخاصة
والعامة وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفسد عليه الصلح الذي كان بينه وبين صاحب
قشتالة بدخوله تحت حكمه وليس لنا إلا الشدة على حفظ الدخول في طاعته فاتفقوا
فاتفق الرأي على الجهاد والوفاء بما عقد من صلح وخرج بجملته ثم إن صاحب قشتالة نزل
على مرج غرناطة وطلب من أهل غرناطة الدخول في طاعته والإنفاذ عليهم فردوهم
فأعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك في رجب سنة خمس وتسعين ووقع بين المسلمين والعدو
حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الإياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون وأصلح برج

همدان

همدان والملاحة وتحصنهما بما ينبغي ثم رجع الى بلاده وعند ذلك برز صاحب غرناطة
بمن معه الى بعض الحصون التي في يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى
وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات في رجب المذكور فأخذ
بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتمكن
منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه
أبو عبد الله محمد بن سعد بجملة وافرة فقصدهم في شعبان من غرناطة واستفز عمه بالمرية
وأطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش
فأخذوها في رمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا
بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه
خلق كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثاني والثالث وألجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة
ففتحوها وأسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما بها من عدة وآلات حرب
* وفي آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله وأخذه
عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شيء فضيقوا
بالقلعة فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة فارتحل صاحب غرناطة
عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصوله غرناطة وصل العدو الى المرج
ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج الملاحة
واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادي آش فأخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم في المدينة
ولا الربض وهدم قلعة اندرش وخاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل وهو
أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز الى العدوة فنزل وهران ثم تلمسان
واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون بني سلطان الاندلس ودخل صاحب قشتالة
لقاصي ممالكه بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة وحاصرها
وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأرادت فتيانه القيام على النصارى فجاء صاحب
وادي آش فقتل فيهم * وفي القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك
الاوطان من الانس * وفي ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج
العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء موضع
بالسور والحفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف الهمة الى
الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار
بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام
من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع
الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج
البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك
أول عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع
والغلاء دون الحرب ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد الامر في شهر صفر

من السنة وقل الطعام وعدم المطعم فاجتمع ناس ممن بقي من أهل العلم وقالوا
انظروا في أنفسكم وكلموا سلطانكم فأحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة
وتكلموا في هذا المعنى وأن العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا أنه يقلع
عنا في فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لأنفسكم وأولادكم
فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء
الأجناد قبل ذلك في إسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عددوا مطالب وشروطا
أرادوها وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش منها أن صاحب رومة يوافق على
الالتزام والوفاء بالشرط إذا مكنوا من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة
النصارى في العهود وتكلم الناس في ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا
للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل ودنيا عريضة ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط
قرئت على أهل غرناطة فانقادوا إليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها
منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفي ثاني ربيع الأول من السنة أعني سنة سبع
وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة
بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين
الصغير والكبير في النفس والأهل والمال وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم
وعقارهم ومنها إقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم وأن
تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا
أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصراني أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل وأن
يفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن هرب من
أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه
ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم
إلا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن
لا يقهر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم وأن من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى
يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فإن أبى الرجوع إلى الإسلام تمادى
على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى
أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات
ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع نصراني
للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم في بلاد
النصارى آمنا في نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ولا يمنع مؤذن
ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منه يعاقب ويتركون من المغارم سنين
معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا
ذكره وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما
ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك أهل البشرات دخلوا في هذا الصلح وشملهم حكمه على هذه

الشروط ثم أمر العدو الكافر بناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بحليته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر ودخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه ثم أمر سلطان المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه باندرش فانصرف اليها وأمر ح الاجناد منها ثم احتال فى ارتحاله الى العدوة وأظهر ان ذلك طلبه منه المذكور وكتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا لا سبيل لاحد أن يمنع مولاى أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما عهد له فانصرف فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل مليلة واستوطن فاسا وكان قبل طلب الجواز الى ناحية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه الى العدوة لقى شدة وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا لان الحكم خرج من السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بللنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد عليهم النصارى فى البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى فى الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحى تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفحص الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذى أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذى انقرضت بدولته

فهما الـــــــترمته من نوافله * أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائق فى حلم وفى شرف * وفى سخاء وفى علم وفى فهم
حاز معتقدا منهم ومقتصدا * وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين فى الاقبال فاق وفى * محبة العلم ازرى بابنه الحكم
اعمال أعـــدائه معتلة أبدا * متى يرم جزمها بالحذف تنجزم
دويل أهل التلى من حية ذكر * للمؤتلب اللهام الجـــــر ملتقم
راموا عداوته ان شاء غادرهم * مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
سوف يأكلهم من جيشه لجب * بكل قرم الى لحمانهـــــــم قرم
وان آل الاعراب اذ ساروا العابثه * لسائرون الى القسم على لقم
وهـــم كما قاله ماض أرى قدمى * بسعيه نحو حتفى قد أراق دمى
فقل اذن للمناوى الساو الآن أذى * ياغرغـــرك ما أبصرت فى الحلم
له صوارم لو ناجتـــك ألسنها * لبشرتك بصمر منـــك منصرم
وانّ روحـــك عن قرب سيقبضه * قبض المسلم ما قد سار من سلم
فهو الذى ماله ند يشابهـــه * من كل متصف بالدهى متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه * مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا * تعمى عن ادراكه ألحاظ كل عمى
ويشم الخاطر المعنى بناظره * اصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو شائجه * عن مبطل بحسام المبطل الخصم
ومسمع ليس يصغى للوشاة فلم * ينفق لديه الذى عنهم اليه نمى
فعقـــله لا توازيه العقول وهل * يوازن الطود ما قد طال من أكم
أيد جميع الورى من بدو وحضر * نداء من تبسط بالنصر مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا * قد لهها الليل بالسوّاقة الحطم
هـذا الامام المريق السعيد له * سعد يؤيده فى كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور السنة * من نحبة الاوليا مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه تروا نجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا للمأمن يحيم فيه لم يرم
من زجر وعسر قائم وندى * غمر دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها * فى كل مبتدأ منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانها بحلى * من غر أمداحه كالدر فى النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالبحر يانع فى مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذا كم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم

قوله ايد الخ فى نسخة ايه وكلتاهما غير ملائمة لقوله نداء فلعله نادى الخ وليحرر اه مصححه

كل شيء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول الناطق بهم الشيطان المسول ومن أمثالهم
سبق واصدق ولا تمتر ولا تحلق الخلق كان يفعل امثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة
احمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين
والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة في ودي تميل الى
تلك الجهة لقطعتها بل لقطعت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها غير أن الرعاع في كل وقت
وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحمق أو أجهل من أبي ثروان أو أعقل
أو أعلم من أشج بني مروان رب متهم بري ومسربل بسربال وهو منه عري
وفي الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل
تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الاجماد المتصل المقاد
وللمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد التمحض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب
وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار
ورمينا بالارجي به الكفار فضلا عن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو
ما لديكم منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تكاءة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون
وجهد في تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونطموا في سلك الملاحده
اكفرا أيضا كفرا غفرا اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ما خيل
لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا
لنا غائظين فامتن علينا من لم يكاله رزق وما كان للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل
الحل والعقد والتمييز والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يوثقنا
دينا أو يبيرنا فيقينا ابعد ما انشرأب الى ملامنا وقدح حتى في اسلامنا رويدا
رويدا فقد وجدت قوة وأيدا وبعدا لما طال لسانك علينا وامتد بالسوء الينا لان
الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب الحجاج المبير
وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبنا الى أقر بابا لخطأ في كل ورد وصدر فلله
در القائل ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر وكأنا بمتعسف اذا وصل الى هنا وعدم
انصافه بعله الهنا قد ازور متجانبا ثم افتر متهانفا وجعل يتمثل بقولهم اذا عيروا قالوا
مقادير قدرت وبقولهم المرء يعجز والمحال فيعارض الحق بالباطل والحالي بالعاطل ويتزع
بقول القائل رب مسمع هائل وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه
وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به وسنلم الآن بما يوسعه تسكيتا ويقطعه تبكيتا
فنقول له ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه
والغرض مع اجتهادك أثناءه في اصدارك وايرادك في وقوعه على وفق اقتراحك
ومرادك أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك أو كل ما تقصده وتنويه
تحرزه كما تشاء وتحويه فلا بد أن يقر اضطرارا بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا
ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن ادراكه فنقول ومسئلتنا من هذا القبيل
أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ما شئنا مما يسايرنا في غرضنا منه

الواشى لاعقد من عمره ولا فازقدحه بطمره والمولى يعلم أن الدنيا داعب بالملاعب وتجر براحتها الى المتاعب وقديما للاكياس من الناس خدعت واشرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب التى جبت وجدعت ولئن رهصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ولئن نزعت ومعضت لقد ارشدت ووعظت ويا ويلنا من تنكرها الماعزه ورميها الساقى عمرة أى عمره أيام قلبت لنا ظهر المجن وغيم افقها المصحى وأدجن فسرعان ماعاينا حالها منبته وروأينا منها مالم تحتسب كما تقوم الساعة بغته فى استفاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا الدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأيها لقد أرهقتنا ارهاقا وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسا دهاقا ولم نفرع الى غير بابكم المنيع الجناب المفتحة حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعماتكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب والى امة يلجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهى القائل ثم يقول حسبى هذا وكمان ولاريب فى اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دينا دينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان وانقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خير فيها واعطى من امانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نر وخن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر ماوجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعه وأمنا من المطالب المشاغب جمة شرا لنا الاسعه واذكرنا أى اذكار قول الله تعالى المكرر للتغاية الادكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بابلغ الكلام أنا برئ من مؤمن مع كافر لا تتراآى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتثاقله عن السير فى طريق نجاتها المطيه

وما انا والتلدذ نحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعى الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن مالامزيد عليه من الرغبات فلم نختر الادارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ولم نرتض الانضواء الالى يحبله وصل حبلنا وبريش نبله ريش نبلنا ادلالا على محل اخاء متوارث لاعن كلاله وامتثالا لوصاة اجداد لانظارهم وأقدارهم أصالة وجلاله اذ قد روينا عمن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لا يبتغوا اذادهمهم امر بالحضرة المرينية بدلا ولا يجدوا عن طريقها فى التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفحاح وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر

المتسبب من الرباب الى نور الى التحلي بأمهات الفضائل التي أضدادها أمهات الرذائل وهي الثلاث الحكمة والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ماشئت من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح بائل منور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق ويجده السامي خطره في الاخطار وبيته الذي ذكره في الساحة والنجابة قد طار يباهي بجميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفيع المنتمى والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان السائق من السراوة وسط أجبار في صفصفي المجد وبحبوح الكرم وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرم وذؤابة الشرف التي تجاذبتها الترم من معشر أي معشر بحلوا ان وهبوا مادون أعمارهم وحسوا ان لم يحموا سوى ذمارهم بتوهين وما أدراك ماتوهين

سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

اهم من الهفوات انتماء وعندهم من السير الندوية اكتفاء انتسبوا الى بربن قيس خرجوا في البر عن القيس مالهم القديم المعروف قد نفد في سبيل المعروف وحديثهم الذي نقلته رجال الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمهات ولدنهم ثم الاتوف من الطراز الاول اليهم في الشدائد الاستناد وعليهم في الازمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتماء والعشايه والحماية والرعايه الحظ الواسع والباع الاطول كما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعذلني أبناء سعد عليهم * وماقلت الا بالتي علمت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يرعون عن الخنا كل نارح قاصيم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو أحق عاقاله في منقر قيس بن عاصم

لايفطنون لعيب جارهم * وهمو لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفص منهم منه عن غيث ملث يحوآثار الربه وانشق عليهم منه عن ليث صار مقتص على راشه للوثبه فقل لسكان الملا لاتغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يبالي السرحان المواشي سواء مشى اليها النقرى أو الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يتابع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع السنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه أخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع أشده قد استحكمت سنه وبان رشده جاد مجد

فدع اذهنه يزاول قولى * فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يعنى بكل صنع ومن * ويعافى من كل بؤس ورجز

وكتابه قد عمل على شاكلة جلاله من متطلاله وتهيد خلاله وتلقى وروده بأحسن تهلله واستهلاله وتأنيسها بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعد نابه فى حله وارتحاله وما له وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيد بتأييده على نزال عدوه واستنزاله وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين فى نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأقطاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق ما نصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وأرساله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومرددهما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادى آشى فى حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس والبراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذى قطف الكمال النافر ورتب محاسن البديع فى درر فقره وطوّر وغرف من بحر عجاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى وما أحسن قوله دين قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور تنصر ضـلة * يخاف به شؤم الضلال وشره
فان يرتفع عند النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف جر يجره

وقال الوادى آشى أيضا فى موضع آخر ما نصه ولشاعر العصر مالك زمامى النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المفتى العارف الاوحد النبيه النبيل سيدى محمد العربى وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

المحسبة فى جمهور أنواره * فأين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لهن الاسباب
وأين بنت ابن المبدت * طارت اليها شوقا ألباب
وأين الالبان لا كوابها * فى برم الارز تسكاب
واللحم بالبسباس قد ألفت * لطبخه فى القدر الاحطاب
والعود ذو دندنة يطبى * آثارها للطار دبداب
وملح الاصوات قد طورحت * وجاء معبد وزرياب
وقص للهوى ختام ولم * يسد فى وجه الهوى باب
وقيل للوقار قم قبل أن * تسلب عنك الآن الاثواب
وكل انسان وما يشتهى * ليس على مناه حجاب
مسترسلا ليس له عذل * كلا ولا عليه رقاب
فراحة شلت أرسانها * لمثلها تعصر الاعناب

أم آن لي حالي لا عقـــل لي * أم حـــلم قد لاح لي في المنام
يا الله من أي من رأى حسنه * هاج لقلبه غـــراما فهام
كأنما أقبس نور البها * من وجه مولانا الامام الهمام
ابن أبي الحسن الاسرى الذي * قد كان للاملاك مسك الختام
ضرغام قد أنجب شبها له * في صدق باس ومضاء اعتزام
حامي وسامي فافاعيـــله * تنقلها إنشاء سمـــام وحام
دام له النصر الذي جاءه * والسيف من طل أعاديه دام
فيا أمير المؤمنـــين الذي * له بعروة اليقين اعتصام
أبشر بجـد مقبل لم يؤل * الى انصراف لا ولا لانصرام
وعـــزة لم يقض بانها * الى انهداد لا ولا لانهدام
لله منــك ملك جنده * زهر النجوم وهو بدر التمام

ومنها

يطرب من مادحه مثل ما * يطرب قلب الصب سجع الحمام
فيعمل الشعر بأعطافه * ما ليس تفعل بهن المدام
وان حكى في مدحه يوسفا * حسنته يشبه زهر الكمام

ومنها

فداره ليست ببغدادهم * مع أنها تدعى بدار السلام

ومنها

اسأله الاعفاء من كل ما * أعجز عن حمل له والتزام

ومنها

مستشفعا له بخير الورى * محمد عليه أزكى السلام

ومنها

وكل انسان وما اختاره * ورب ذي عذر قد أضحى يلام

وآخرها

فالحمد لله على أن غدا * للشمل بعد الانصداع التئام

واختم هذه الترجمة بقوله

جز بالبساتين والرياض بها * أم سرحتيها واو أحلاه
واعجب بها النبات ولتلتفت * أسماله ناظرا وأعلاه
وقدس الله عند ذا وقل * سبحانه لا اله الا هو

سبحان وارث الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين والحمد
لله رب العالمين

تم

تم طبع الجزء الثاني تعويض من أول القسم الثاني من
كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب
وكان تمام طبعه وتحسين تمثيله
وتصحيحه بالمطبعة المصرية
المصرية في الأيام
السعيدية

م

ويليه الجزء الثالث أوله القسم الثاني

(هذا الجزء خال من الجداول)